(١٣٥)

أولياء الله

فضيلة الشيخ
فوزي محمد أبوزيد

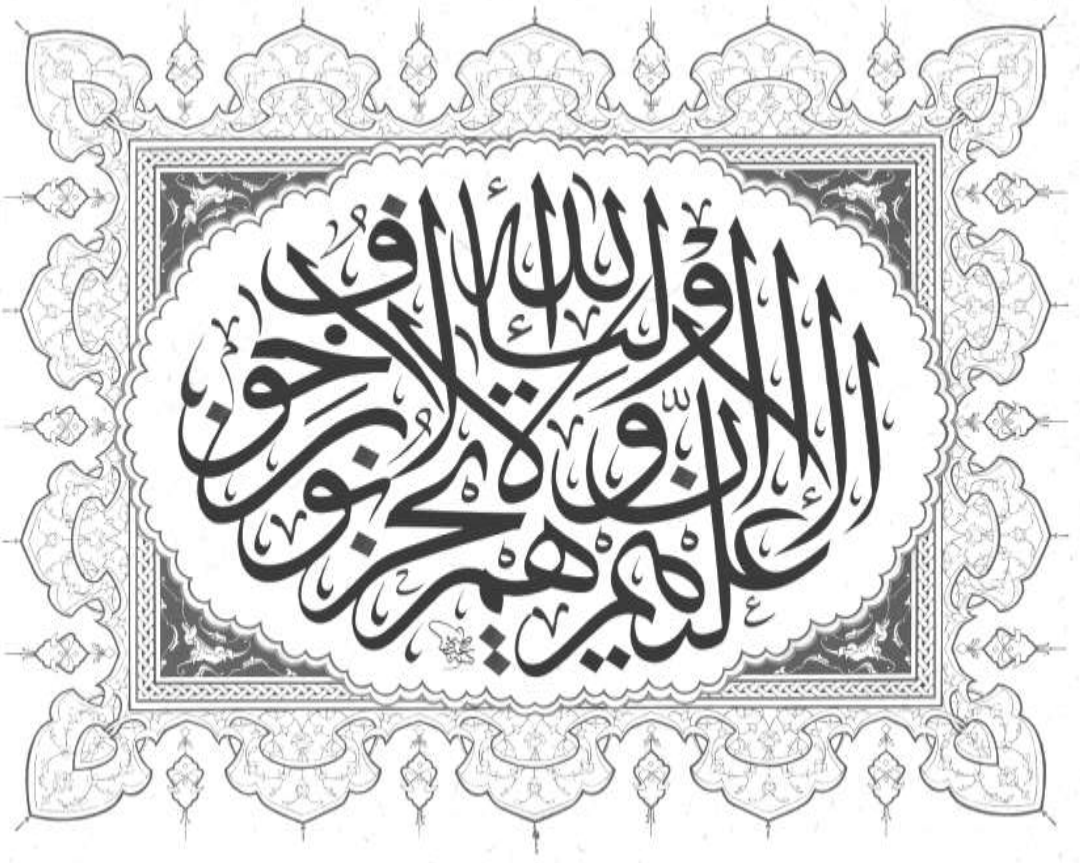
أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

الكتاب	أولياء الله
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	٢٠ أبريل ٢٠٢٢م، الموافق ١٩ رمضان ١٤٤٣هـ
كتاب رقم	مائة وخمس وثلاثون
سلسلة	من أعلام الصوفية – الكتاب التاسع
الداخلى	٢٥٦ ص*٨٠جم /١٤*٢٠، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٥٠ جم*٤ لون، سلوفان مط
إيداع محلى	٢٠٢٢/١٠٦٣٧
ترقيم دولى	٩٧٨-٩٧٧-٩٤-١٨٨٥-٨
بار كود	9 789779 418858 10637
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

متوفر الآن
أول تطبيق لفضيلة الشيخ
فوزي محمد أبوزيد
على متجر جوجل بلاي
بادر بالتحميل لمتابعة كل جديد

https://qrgo.page.link/FKDJS

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، الذي خص أولياءه بعنايته، وتوجهم بتاج كرامته، وجعلهم في الدنيا في ستره وغطاءه، وفي الآخرة من الناظرين لحضرته، والمغمورين بعطاءه.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد رسله وأنبيائه، وتاج أوليائه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد.

يقول الله تعالى مبشراً لأوليائه ومحفزاً لنا لسلوك طريق أهل محبته وعنايته:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ (يونس)

فجعل سبحانه وتعالى شرطا الدخول في ولايته والانتظام في سلك أهل معيته هما الإيمان والتقوى، وبشَّر من أخذ بذلك بإخلاص وصدق ويقين بالبشائر التي تترى عليه في الدنيا والمفاخر التي يتباهى بها يوم الدين.

ومن هنا عشق الناس الصالحين، وتاقوا إلى معرفة حياتهم وأعمالهم التي تقربهم إلى ربهم، ولذلك فقد ذكرنا في هذا الكتاب ثلة مباركة من آل بيت النبوة فيهم الأسوة والقدوة وكذلك نفراً من الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين ليقتدى بهم شبابنا ورجالنا، فينشأ جيل صادق في إيمانه بالله، وترقى في أعلى درجات التقوى في القرب من الله، فيصبحوا يراقبون الله مراقبة من يعلم علم اليقين أنه يطلع عليه ويراه، فتحدث في قلوبهم خشية الله، وتتنزل عليهم السكينة والطمأنينة من حضرة الله.

وبذلك وحده يصلح الأفراد، وتصلح المجتمعات، بل وتصلح الحياة كلها، فقد قال الله تعالى في حديثه القدسي:

{ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي

يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ }[1]

وقد ذكرنا في كتب مستقلة حياة الإمام أبو العزائم، وسيرة الشيخ محمد علي سلامة، والسيد أحمد البدوي، والسيد إبراهيم الدسوقي، والسيد أبو الحسن الشاذلي، والسيد عبدالرحيم القنائي، والسيد عبدالقادر الجيلاني والسيد أحمد الرفاعي، وذكرنا في هذا الكتاب عدداً من آل بيت النبي وأقطاب الأولياء بطريقة سهلة وميسرة، وسنتبع ذلك في أجزاء متتالية بسِيَر كُمَّل الصالحين وأئمة العلماء العاملين.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا على ذلك، وأن يمدنا بمدد من عنده لنراعي الأدب في ذكر أوليائه، ونلتفت إلى العبرة في حياتهم وسلوكهم وأعمالهم عملاً بقول الله تبارك وتعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (يوسف ١١١)

وصلى الله على سيدنا محمد معلم الناس الخير وآله وصحبه وأتباعه وسلم

الجميزة – الغربية

السبت الثامن من رمضان ١٤٤٣هـ، ٩ من أبريل ٢٠٢٢م

البريد: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية
تليفون: ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الشيخ على الإنترنت
WWW.fawzyabuzeid.com

تطبيق موقع الشيخ على جوجل بلاى للموبايل
https://qrgo.page.link/FKDJS

البريد الإليكترونى
fawzy@fawzyabuzeid.com, fawzyabuzeid٤٨@gmail.com
fawzyabuzeid@hotmail.com, fawzyabuzeid@yahoo.com

[1] صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

لحضور مجالس ودروس ولقاءات
العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد
على الهواء مباشرةً وللبثِّ الحىّ
تابعوا صفحات (الفيسبوك) و(اليوتيوب) و(الموقع الرسمى)

الموقع الرسمى لفضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.fawzyabuzeid.com
Official site of Shaikh Fawzy Mohamed Abuzeid in English
https://www.fawzyabuzeid.com/en/
الصفحة الرسمية للشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.facebook.com/fawzy.abuzeid
صفحة الشيخ فوزى محمد أبوزيد بالإنجليزية
https://www.facebook.com/fawzyabuzeid٢
مكتبة الشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.facebook.com/fawzyabuzeid.library
صفحة الخطب الإلهامية العصرية
https://www.facebook.com/khotab
صفحة قضايا الشباب المعاصر
https://www.facebook.com/shbabmoaser
صفحة المؤمنات القانتات
https://www.facebook.com/qanetat
صفحة التربية الصوفية فى القرآن والسنة
https://www.facebook.com/alsoufia
صفحة إشارات العارفين
https://www.facebook.com/esharatelaarfeen
قناة اليوتيوب ١
https://www.youtube.com/c/fawzyabuzeid١
قناة اليوتيوب ٢
https://www.youtube.com/user/eadase

تمهيد[٢]

ربما يسأل سائل:

لماذا نحكي عن الصالحين ولا نحكي عن الصحابة المجتهدين أجمعين؟

لأن ذكر الصالحين فيه إحياءٌ للعزائم، وشحذٌ للهمم، هم رجال ونحن رجال.

أما الصحابة:

فيكفيهم أن فيهم وبينهم شمس رسول الله ﷺ مشرقةٌ على قلوبهم على الدوام، وأين لنا بهذه؟!!

فإذا ذكرنا الصحابة يقول بعض أصحاب النفوس وذوي الهمم الضعيفة والعزائم الخائرة، أين نحن وأين الصحابة فقد كان الرسول معهم؟!

فنلزمهم الحُجة ونذكر الصالحين الذين جاهدوا في الله حق جهاده، ووصلوا إلى الفتح الرباني الذي ذكره الله ﷻ في القرآن الكريم، واتصلوا برسول الله ﷺ باطناً، وبعضهم اتصل به باطناً وظاهراً، رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

وسنبدأ بذكر الأعلام الذين لهم قدمٌ في جذب الخلق إلى الحق، والأخذ بأيديهم للوصول إلى مقاعد الصدق عند الله تبارك وتعالى، لأن هؤلاء همتهم أعلى.

كثيرين كانوا مجدين ومجتهدين في طاعة الله وعبادته بأنفسهم ولأنفسهم فقط، وليست هذه بغيتنا، لكن بغيتنا أن نشد غيرنا إلى الله، وأن نكون دعاة يدعون الخلق إلى الله، وندخل في قول الله:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (﴿٣٣﴾فصلت)

والحقيقة :

يكفيكم كتب الدكتور عبد الحليم محمود، وقد كتب حوالي ٢٥ كتاباً عن الصالحين بأسلوب عصري وواضح وسهل ومحقق وعلمي ...

بعيداً عن الخزعبلات والخرافات.

---

٢ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ١٦ من صفر ١٤٤٠ هـ ٢٠١٨/١٠/٢٥م

ومن يرد أن يطلع على الصالحين أجمعين ويعرف شيئاً عنهم ... فعليه :

- بكتاب (الطبقات الكبرى) للإمام عبد الوهاب الشعراني رضي الله تبارك وتعالى عنه.
- أو الكواكب الدرية للمناوي.
- أو حلية الأولياء للأصفهاني.

الرغبة في معرفة أحوال الصالحين

لو لمسنا وتحسسنا إلى أحوال الصالحين نجد أن بدايتهم كانت الغرام الشديد في سماع وقراءة أحوال الصالحين السابقين، لأنها هي التي تشد العزيمة وتقوي الهمة .

حتى إمامنا الإمام أبو العزائم ﷺ :

أن له مقدمة يتحدث فيها عن نفسه ... في كتاب (شراب الأرواح من فضل المنعم الفتاح) في طبعته الأولى التي طُبعت في حياته، ... وللأسف ... أنهم حذفوها في الطبعات التالية، فيقول:

كنت مغرماً بأحوال الصالحين وعلى شوق دائم لسماع حكاياتهم والقراءة عنهم، حتى أني من كثرة قراءتي لكتاب (روض الرياحين في مناقب الصالحين) حفظته حفظاً تاماً، لماذا؟

لأنه كان متعلقاً بهؤلاء القوم ويريد أن يكون منهم ومعهم.

وكلمة (السيد) لقب يُطلق على آل بيت النبي وهم أولاد الحسن والحسين لقوله ﷺ:

{ إِنَّ اللهَ ﷻ جَعَلَ ذُرِيَّةَ كُلِّ نَبِيّ فِي صُلبِه،
وإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ ذُرِيَّتِي فِي صُلبِ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِب }[٣]

وفي بعض الأثر عن النبي ﷺ:

((كلُّ بَني آدمَ ينتمونَ إلى عصبةِ أبيهِمْ، إلا ولدَ فاطمةَ، فإنِّي أَنا أبوهُمْ))

فذرية النبي من السيدة فاطمة ﷺ، وقال النبي ﷺ عن الحسن والحسين:

{ الحَسَنُ والحُسَيْنُ سَيِّدا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ }[٤]

---

٣ معجم الطبراني والسيوطي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
٤ جامع الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وقال عن الحسن:

{ إنَّ ابْني هذا سيِّدٌ،
وسَيُصلِحُ اللهُ بِهِ بَينَ فِئَتَينِ عَظِيمَتَينِ مِنَ المُسلِمينَ }[٥]

وقد كان.

فالنابغة من آل البيت، والزاهد العابد الصالح منهم نقول له السيد فلان.

فكلمة (السيد) هي لقب وليس اسم.

وحتى الذي اشتهر عند الناس يقولون مثلاً:

السيد البدوي، هو اسمه أحمد البدوي، ولكن الناس اختصروا الإسم وقالوا: السيد البدوي، لأن آل البيت جميعاً يُطلق عليهم السيد فلان.

والذين هم من ذرية فاطمة من الحسن والحسين رضي الله تبارك وتعالى عنهما.

وحكمة سيدنا رسول الله أن تكون ذريته من السيدة فاطمة:

لأن سيدنا علي تزوج من أخريات غير فاطمة وله منهن أولاد، لكن اختص الميراث لأولاد فاطمة الذكور وهما الحسن والحسين، وقد كان لهم أخٌ آخر اسمه محسن ومات صغيراً.

وفي عصر الدولة الأموية .. حدث اضطهاد شديد من بعض الحكام لآل بيت النبي، فاضطروا إلى الهجرة من موطنهم الأصلي في المدينة ومكة:

- وبعضهم كان في بلاد العراق ذهب إليها مع الإمام علي واستوطنوا هناك إلى جهات شتى.
- منهم من جاء إلى مصر كالسيدة زينب رضي الله عنها ومن كان معها.
- ومنهم من فرَّ بنفسه إلى بلاد المغرب الأقصى.
- ومنهم من فرَّ بنفسه إلى أقصى بلاد الشرق – أفغانستان وأوزبكستان الآن.
  - بعيداً عن سلطة الدولة التي كانت تقهرهم وتحاول أن تتخلص منهم على الدوام.

٥ صحيح البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه

موالد الصالحين

ما حكمة عمل الموالد للصالحين؟

الصالحون رضي الله عنهم وأرضاهم المربون يريدون من المريدين أن يجاهدوا أنفسهم ليصلوا إلى ما وصل إليه الصالحون، فجعلوا الموالد، وهي الاحتفال بذكرى ميلاد رجل من الصالحين جاهد إلى أن شاهد، فيشرحون لهم أحواله، ويبينون لهم أفعاله، ليمشوا على منواله فينالوا ما ناله.

ويوم واحد لا يكفي، لأن نظام الصالحين كان نظري وعملي، فيشرحون لهم محاضرات نظرية علمية، ويطبقونها عملياً، فكان لا بد أن يظلوا مع بعضهم مدة تطول أو تقُصر، وكانت في الغالب أسبوعاً.

ماذا يفعلون؟ يمشون على المنهاج فيقومون الليل، ويصلون الفجر، ويظلون يذكرون الله ﷻ حتى تطلع الشمس.

الخروج من الكِبر

وبعد ذلك في النهار يتنافسون في الخدمة، ليُزيلوا مرض الكبر، فمنهم من يحب أن يسقي الماء، ومنهم من يقدِّم الطعام، ومنهم من يساعد في الطهي، ومنهم من يكنس المكان، وكل هذا لأنه لن يصل أحدٌ إلى الله وفي قلبه ذرة من الكبر، قال ﷺ:

{ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ }[٦]

والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه قال في هذا المجال:

دعوا الكبر والحسد القبيحين سادتي ... دعوا طمعاً فيما يزول وسابقوا
ألا من يكن في قلبه بعض ذرة ... من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

لن يذوق شيئاً من أحوال الصالحين، ولا العارفين، ولا سيد الأولين والآخرين أبداً!

فكان لا بد أن يتعود الإنسان على الخدمة.

والخدمة هي الشيء الوحيد الذي يُزيل الكبر.

وأنتم ربما سمعتم حتى عصرنا هذا أن كبار الصالحين كالشيخ محمد متولي

---

٦ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الشعراوي ﷺ وأرضاه عندما كان في جامعة القاهرة لإلقاء محاضرة، وتواجد يومها عدد كبير من الملحدين، واستغرق في المحاضرة أربع ساعات، وامتلأت المحاضرة بالتكبير مرات ومرات، نُصرةً للحق على الباطل.

وعند عودته كان معه ابنه والسائق، فقال لابنه:

يا بني أريد أن أقضي حاجتي فتوقف عند أي مسجد ..

فوقف السائق عند مسجد، فدخل وغاب، فدخل ابنه ليستطلع الأمر !!

فوجده قد خلع ثوبه وأخذ يغسل المراحيض، فقال له: ماذا تفعل يا أبت؟!

فقال له: إن نفسي حدثتني بأني صرتُ شيئاً فأحببت أن أُعرِّفها مقامها!!

ماهذا؟!!

مشى على نهج السلف الصالح.

سيدنا عثمان بن عفان ﷺ كان من كبار الوجهاء:

وجدوه في ذات يوم قادماً ويحمل حملاً من الحطب، فسألوه:

ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال:

إن نفسي حدثتني أني صرتُ شيئاً فأحببتُ أن أُعرِّفها مقامها.

سيدنا عمر ﷺ دعا الناس: الصلاة جامعة، وصعد المنبر فماذا كانت خطبته؟

قال: إن اسمي الآن عمر أمير المؤمنين، وكان اسمي عُميراً، وأرعى الغنم لأهلي في مكة بقراريط من الأجر، ثم نزل ..

فسألوه: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال:

إن نفسي حدثتني أني صرتُ شيئاً فأحببتُ أن أُعرِّفها مقامها.

فهذا منهاج السلف الصالح!!

فلو ترك الإنسان لنفسه الزمام فسيبعد بُعداً كلياً عن هؤلاء الأقوام الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

فكانوا يحيون هذه الليالي ليُخرجوا منهم الكبر، وكانوا لا يفرضون عملاً على أحد، بل الكل يأتي من نفسه ويضع نفسه في الخدمة، وهذا الذي يقول فيه الله:

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣٠الكهف)

هذا الذي يستحق.

أما الذي يجلس متأففاً ويريد من يخدمه، ويخاف على نفسه، فهذا لا يصلح في هذا الطريق، لأن هذا الطريق يحتاج من الإنسان نزع مرض الكبر بالكلية من قلبه.

البذل والجود

ولكي يمشي في طريق الله وينال مناه لا بد أن يكون بذولاً، فالبخيل ليس له إلى طريق القوم سبيل، ويظل كما هو لا يفعل شيئاً، لكن عندهم لا بد من إطعام الطعام للفقراء والمساكين في الموالد، وهو أكبر باب يدخل منه الأقوام إلى رضا الله، وفتح الله، وإكرام الله.

شغل الوقت بما يفيد

هذا هو الأصل في موالد الصالحين، فبماذا يشغلون هذه الأوقات؟ بذكر الله، وبتلاوة كتاب الله، وبالأعمال الصالحة التي تقرّبهم إلى الله تبارك وتعالى.

وجدَّ في زماننا التجارة والترويح عن النفس، فالتجارة ما دامت تمشي على النهج الإسلامي الحلال ، وليس فيها غش في الكيل، ولا في الوزن، فليس فيها شيء.

والترويح على النفس إذا دخل فيه ما لا يُقرّه شرع الله فهذا حرام.

وهذه الأمور التي استُجدت في الموالد تحتاج كما يقول الرجل الحكيم:

((إن الله ليزع بالسلطان، ما لا يزع بالقرآن))

فتحتاج وزارة الداخلية، مع وزارة الحكم المحلي، مع وزارة الأوقاف، ويضعوا أيديهم في أيدي بعضهم ويوقفوا هذه الأمور التي لا تصلح أن تُوجد في مواسم الخير للصالحين أجمعين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الأول

أهل بيت النبوة

١. السيدة زينب بنت النبي محمد

٢. السيدة فاطمة الزهراء

٣. الامام الحسين بن علي

٤. السيدة زينب بنت علي

٥. الامام علي زين العابدين

٦. سيدنا زيد بن علي زين العابدين

٧. السيدة نفيسة

١٠. السيدة زينب بنت النبي محمد

رضي الله عنها[٧]

قال النبي ﷺ:

{ هِيَ أَفْضَلُ بَنَاتِي }[٨]

المذيعة:

بداية قبل أن نتكلم في سيرة السيدة زينب نريد أن نوضح أن مقام السيدة زينب الموجود في مصر البعض يظن أنه مقام السيدة زينب بنت النبي ﷺ، ولكن الحقيقة أنه مقام السيدة زينب بنت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

الرسول ﷺ له من السيدة خديجة أربع بنات، الأولى زينب، والثانية رُقية، والثالثة أُم كلثوم، والرابعة فاطمة.

وزينب الموجودة بالقاهرة بنت السيدة فاطمة وبنت الإمام علي وأُخت الحسن والحُسين وحفيدة النبي ﷺ، ولكن زينب الكُبرى هي بنت النبي مباشرة، وتوفت في حياة النبي ودُفنت في البقيع في المدينة المنورة.

ميلادها

المذيعة:

السيدة زينب ابنة النبي ﷺ، نريد أن نتحدث بداية عن ولادتها من السيدة خديجة، في أي مرحلة من المراحل؟

الرسول ﷺ كما نعلم تزوج من السيدة خديجة وكان عنده من العمر ٢٥ عاماً، وكانت السيدة خديجة عندها من العمر ٤٠ عاماً.

وبعد زواجهما بخمس سنوات وُلدت لهما زينب، وهذا كان قبل النبوة، لأن النبوة جاءته في سن الأربعين، فكانت باكورة أو بكرية أبويها كما يصح أن نقول.

---

٧ حلقة تلفزيونية - برنامج فقه المرأة - قناة القاهرة ٤ من ربيع الآخر ١٤٣٩هـ ٢٠١٧/١٢/٢٢م

٨ الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها

وكانت أثيرة عند حضرة النبي ﷺ، وكان يحبها حباً جماً لأنها أول ما رزقه الله من البنات، إلى جانب الأخلاق والهداية والمكارم العُظمى التي كان عليها بنات النبي جميعاً.

صفاتها وزواجها

المذيعة:

بالطبع ابنة النبي ﷺ كانت خلاصة الخُلُق الكريم، ووالدتها السيدة خديجة وهي الزوجة الحنون وأول من آمنت بالإسلام ولها طباع وصفات وأخلاق متميزة، وبالتالي الابنة ستكون أيضاً صورة من أُمها.

هذا إلى جانب أن الرسول ﷺ كان وسط قومه قبل الإسلام وبعد الإسلام من أعلاهم نسباً ومن أشهرهم خُلُقاً، وخاصة أنهم سموه الصادق الأمين، والسيدة خديجة كانت من أشهر نساء قريش، لأنها كانت ذات تجارة واسعة وخطبها أكابر القوم ولكنها كانت ترفض، ومن العجب أنها رفضت الأكابر وهي التي طلبت من الرسول ﷺ أو أرسلت إليه تدعوه لخطبتها لما لمست فيه من مكارم الأخلاق، ولما أيضاً توقعته له من مستقبل عظيم لأنها كان عندها استشعارٌ روحاني رباني نوراني.

ولذلك كانت هي مشيرته ومعينته عند كل الكوارث والمصائب، فكان لا يحدث مع النبي حدثٌ مع قومه إلا وذهب إليها وقصَّ عليها، فكانت هي التي تُخفف عنه، وهي التي كانت تُزيل العناء الذي انتابه، وهي التي ترفع همَّه، فكانت له نعم الزوجة السكن والراحة والبلسم لزوجها رضي الله عنها.

وبالتالي كانت السيدة زينب على نفس الشاكلة، فالسيدة زينب عندما نضجت تقدم لخطبتها كبار القوم من قريش لمكانة أبويها ولشخصيتها، إلا أن السيدة خديجة عندما طلبتها أُختها هالة بنت خويلد لابنها أبو العاص بن الربيع قبلت، وكانت هالة محببة لها وللنبي ﷺ، وابنها هذا كان من زينة فتيان قريش، وكان أبهى قريش خُلقاً وأمانةً وأوسعهم ثراءاً وتجارة، يعني كان بارعاً في التجارة وعنده مالٌ كثير إلى جانب الخُلُق والأمانة.

ولذلك عندما تقدمت أُخت السيدة خديجة تطلب زواج زينب من أبو العاص لم ترفض وطلبت من النبي ﷺ أن يوافق عليه، فوافق وزوجها من أبو العاص بن الربيع وكان الزواج قبل الإسلام.

كان أبو العاص نعم الزوج لزينب، وكانت هي نعمة الزوجة له، ثم كُلِّف النبي ﷺ بعد بعثته بالرسالة فآمنت زينب، وكان أول من آمن به زوجته السيدة خديجة وبناته كلهن، ومن ضمنهن زينب، ولكن زوجها أبو العاص لم يؤمن خوفاً من قومه.

وله موقفٌ رشيد سديد يدل على أصالته وعلى خُلُقه الطيب، فقد ذهب إليه زعماء مكة وقالوا له: هل لك أن تطلق بنت محمد على أن نزوجك من تشاء من فتياتنا؟ قال: والله لا أرضى أن أُطلق زوجتي ولو أتيتموني بأحب امرأة لكم في مكة، وكان هذا يدل على أصالته وحُسن خُلُقه الكريم ووفائه لزوجته.

الحب والوفاء

المذيعة:

هنا نتلمَّس في قصة السيدة زينب بنت الرسول وزوجها أبو العاص بن الربيع الحب والوفاء والإخلاص رغم الصعاب التي باعدت بينهما.

هنا يظهر موقف الرسول ﷺ الحنون، مع أن زوج ابنته لم يسلم إلا أنه لم يفرق بينهما، بل ظلَّا معاً في الحياة الزوجية بعد الإسلام، فزوجها لم يُسلم، وبعد هذا نزلت آيات تحريم زواج المؤمنة من الكافر:

﴿ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ ﴾ (١٠ الممتحنة)

أبقى الرسول ﷺ الصلة بينهما طمعاً في إسلامه، ولحُسن خُلقه، فمر هذا الأمر لفترة حوالي ست سنوات، لأن الرسول ﷺ هاجر وظلت هي مع زوجها لم تهاجر، وهي على دين الإسلام، وهو على دين أهل مكة، وأهل مكة كانوا يعبدون الأوثان.

وحدثت غزوة بدر وانتصر فيها الإسلام بفضل الله وبمعونة الله للمسلمين، وتم أسر سبعين رجلاً من قريش، ومن جملة هؤلاء الأسرى كان زوج زينب أبو العاص بن الربيع، لأنه كان يحارب مع قومه خوفاً منهم، لأنهم كانوا أشداء في هذا الأمر.

فأبو بكر الصديق كان ابنه عبد الرحمن يحارب ضده مع الكفار، وسيدنا أبو عبيدة بن الجراح كان أبوه يحارب ضده، فتعمد أن يقتله في هذه المعركة.

وعندما تم أسر أبو العاص بن الربيع أباح النبي لأهل الأسرى أن يُفدوا أسراهم بمال، فأرسلت السيدة زينب أخو زوجها ومعه بعض المال، ومعه العُقد الذي أهدته لها

السيدة خديجة في ليلة عُرسها، فلما رأى الرسول ﷺ هذا العقد أخذه حنينٌ وشفقة وعطف وتذكر خديجة، وكان يحبها حباً جماً، فقال للمسلمين. وهذا يعلمنا لطف القائد مع جنده، لا على هيئة الأمر ولا بشدة ولا بقهر ولكن بلطفٍ:

{ إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا، فَقَالُوا: نَعَمْ }[٩]

هل هناك أدبٌ جمٌّ مثل هذا الأدب؟

قائد عام يتلطف مع جُنده ويقول لهم: إن شئتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا لها ما لها؟ وعندما وافقوا دعاه النبي – وهنا تظهر حكمة النبي البالغة – دعاه فيما بينه وبينه، ولم يتسمَّع بذلك أحدٌ مطلقاً ممن حوله، وطلب منه أن يطلق سراح زينب ويرسلها إلى المدينة، لأنها لم تعد تصلح له، فهو على دين غير دينها، وكان هذا بينه وبين النبي ولم يسمع بذلك أحد، فوعده أبو العاص بذلك.

الحوار الكريم

المذيعة:

نريد أن نتوقف عند اللغة في الحوار، فسيدنا النبي ﷺ يتكلم مع زوج ابنته كحمو، فلعل ما فعله النبي ﷺ يكون لنا أُسوة، كيف يكون الحمو مع الزوج، ونحن نجد في الحياة أتفه الأمور قد تؤدي إلى الانفصال والطلاق؟

الأمر أشد من ذلك، فالرسول ﷺ كان معه الاستطاعة أن يُبقيه عنده حتى يُرسل هو من يأتي بابنته، ولكنه لم يستخدم هذا الأسلوب، وهو أسلوب التهديد، أو أسلوب الوعيد، أو أسلوب الشدة، ولكنه اكتفى منه بوعد بينه وبينه حتى بغير شهود، وهذا يعلمنا مدى رحمة النبي في معاملة أصهاره.

أخلاق المؤمنين

المذيعة:

نتمنى أن نتأسى بهذا الأسلوب ! فهناك بيوتٌ كثيرة ستستقر ولن تصل إلى الطلاق، فبالتأكيد عندما تكون هناك مشكلة بين الزوج والزوجة ويصل الأمر إلى الحماة قد تأخذه حمية الجاهلية، ولا يتأسى بسيدنا النبي، فنريد توجيه رسالة لكل من يقول: لا

---

٩ سنن أبي داود ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

أنا لست النبي، فماذا نقول له؟

الرسول ﷺ كان وصفه في التوراة:

{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَبْدِي الْمُخْتَارُ لَا فَظٌّ وَلَا غَلِيظٌ وَلَا صَخَّابٌ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ }[١٠]

وصفه بهذه الأخلاق الكريمة والتي لخصها النبي ولخص فيها دعوته فقال:

{ إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ }[١١]

وحتى لا يظن كثيرٌ من المسلمين أن هذه الأخلاق خصوصية لحضرة النبي، فإن النبي ﷺ عندما وضح صفة المسلم قال:

{ الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ }[١٢]

ووضح صفة المؤمن فقال:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ وَلَا الطَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ }[١٣]

لو كان المسلمون والمؤمنون في أي زمان على هذه الأخلاق الطيبة فلن يحدث بينهم نزاعٌ ولا مشكلات، وهذه واحدة، والثانية: سيدخل الآخرين في دين الله أفواجاً فيما رأوه عليهم من جميل الصفات وكريم الأخلاق.

فسيدنا رسول الله ألَّف زوج ابنته أبو العاص بن الربيع بوعده أن يرد إليه ابنته بدون غلظة ولا شدة ولا استغلال لموقفه كقائد، وهذا أسير يصنع فيه ما يريد.

هجرتها إلى المدينة

ذهب أبو العاص إلى مكة وجاء إلى أخيه كنانة بن الربيع وأمره أن يأخذ زينب ويهاجر بها إلى النبي ﷺ.

والنبي ﷺ كان قائداً حكيماً، يرسم لكل أمر خطته الماهرة الباهرة، وهو يعلم أن أبا العاص لا يستطيع أن يُرسل زينب إلى المدينة فأرسل من عنده زيد بن حارثة ومعه

---

١٠ سنن الدارمي عن كعب الأحبار رضي الله عنه
١١ سنن البيهقي والشهاب عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٢ البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه
١٣ مسند أحمد والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

رجلٌ من الأنصار لسيتقبلوها خارج مكة، يعني مهمة أبو العاص ايصالها إلى زيد بن حارثة ومن معه خارج مكة، وهم يكملون المسير معها إلى المدينة.

المذيعة:

السيدة زينب كانت محبة لزوجها ومخلصة له ووفية له، ... كيف كان موقفها في هذه اللحظة؟

لا بد أن تستجيب لأمر الله، وهنا يظهر الإيمان، فإذا كان أمرٌ من الله، وهناك محبة للزوج، فلا بد أن تكون محبة الله أعظم وأعلى حتى من محبة النبي.

فهذا أمرٌ لا بد منه، مع أنها لا تريد فراق زوجها، ولكنها كانت تطمع أن يسلم إن شاء الله رب العالمين.

وأعطى النبي زيد ومن معه الخاتم كعلامة، حتى إذا رأت الخاتم تعلم أنهما مرسلان فعلاً من قِبَل النبي وليس رجلان أجنبيان.

خرج كنانة بن الربيع في النهار ومعه السيدة زينب على جمل ومعه سهامه، فلما رآه الكفار وكانوا حديثوا عهد بما حدث لهم في بدر من نكبة وذُل وخزي على يد المسلمين، فخرجوا أفواجاً وقالوا: بنت محمد تهاجر في وسط النهار، لا يكون، وروَّعها رجلٌ منهم وكانت تجلس في هودج على الجمل، فنخس الرجل الجمل فجري الجمل بسرعة فسقطت من عليه وكانت حاملاً فوضعت حملها واستمر نزيفها رضي الله تبارك وتعالى عنها، فأسقطت ما في بطنها قبل أن تصل إلى المدينة.

فنصب كنانة سهامه وقال: من يأتيني سأفعل فيه كذا وكذا، فقال أبو سفيان وكان عاقلاً: انتظر يا رجل وسنكلمك، أنت تعلم ما حلَّ بنا، فلِمَ تضرب بالسهام؟! وكونك تخرج بابنة محمد بالنهار فهذا معناه ذلٌ لنا وخزيٌ لنا لأنها خرجت رغماً عنا، فانتظر حتى تهدأ الأرجل ويعود القوم واخرج بها ليلاً، فلا حاجة لنا أن تبق بنت محمد عندنا.

وهذا أيضاً كان رأياً وجيهاً، فرجع، لكنها أُصيبت في سبيل الهجرة ولم ينس لها النبي ﷺ هذا الموقف حتى أنه قال عند وفاتها:

{ هِيَ أَفْضَلُ بَنَاتِي أُصِيبَتْ فِيَّ }[١٤]

لأنها أُصيبت رضي الله تبارك وتعالى عنها في سبيل الله والهجرة، فانتظر كنانة حتى هدأت الأرجل وخرج بها، وكان زيد ينتظرها، فوجد راعياً للغنم فسأله: لمن ترعي هذه الغنم؟ فقال: لزينب بنت محمد، فقال له: هل لك أن توصل لها هذا الخاتم؟ قال نعم، فأوصل لها الخاتم فعلمت أنهما مرسلان من قبل أبيها لأخذها، فأخذها كنانة إليهما وذهبت معهما إلى المدينة المنورة.

وهنا موقفٌ عظيم يدل على أدب السيدة زينب رضي الله عنها، عند ركوبها قال لها زيد: اركبي أمامي على بعيري، قالت: لا، بل أركب خلفك، وهذا يدل على حُسن التربية الإيمانية التي ربّى عليها النبي ﷺ بناته.

أولادها

هاجرت السيدة زينب وعاشت مع النبي ﷺ بعيداً عن زوجها الذي تركته في مكة، لكنها رضي الله عنها كانت وفية لزوجها وكان هو يعرف ذلك منها، وكان بينهما محبة ومودة قوية وهو يستشعرها جيداً.

وكانت قد أنجبت منه أُمامة وعلي، وعلي عاش حتى ركب خلف النبي ﷺ في فتح مكة، ولكنه مات في عصر النبي ﷺ، وصلَّى عليه النبي.

أما أُمامة فقد بقيت، وكان يحملها بحنانه العظيم في صلاته، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ قَالَ:

{ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَؤُمُّ النَّاسَ، وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ وَهِيَ ابْنَةُ زَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى عَاتِقِهِ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ مِنَ السُّجُودِ أَعَادَهَا }[١٥]

إذا قام النبي ﷺ إلى الوقوف حملها، وفي الركوع والسجود يضعها بجواره، فإذا قام حملها، وأتم صلاته بهذه الكيفية حناناً عليها رضي الله عنها.

السيدة فاطمة رضي الله عنها في مرض وفاتها:

١٤١٤ الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها

١٥ البخاري ومسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه

أوصت الإمام علي أن يتزوج ابنة أُختها أُمامة.

فتزوجها الإمام علي بعد موت فاطمة.

وظلت معه إلى أن تُوفي ﷺ وبقيت بعده بفترة.

إسلام زوجها

المذيعة:

ماذا حدث بعدما هاجرت السيدة زينب إلى المدينة وتركت زوجها في مكة؟

أهل مكة كان عندهم جشع، فاستولوا على كل ما كان يملكه المسلمون من أموال ومن دور ومن تجارات بدون وجه حق، فأراد الله ﷻ أن يعوضهم شيئاً، فتعرضوا لقافلة قادمة من بلاد الشام وكان يقودها أبو العاص بن الربيع !

وانتدب الرسول ﷺ لملاقاة هذه القافلة زيد بن حارثة ومعه مائة وسبعين رجلاً، ليعوضوا بعض ما أخذه منهم أهل مكة.

وقع العاص أسيراً ومعه كثيرٌ من المشركين، فدخلوا المدينة في الليل ولأنه يعلم مبلغ محبة زوجته ومودتها تسلل إليها حتى دخل حجرتها وطلب منها أن تُجيره، كأنه استنجد بها.

فالرسول ﷺ خرج إلى صلاة الفجر ..

فإذا بالسيدة زينب من صفوف النساء تقول:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الصَّلَاةِ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لَمْ أَعْلَمْ بِهَذَا حَتَّى سَمِعْتُمُوهُ، أَلَا وَإِنَّهُ يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ }[١٦]

يعني إذا أحدٌ من المسلمين ولو كان صغيراً أجار، فكلنا نحترم هذا الجوار وهذه الحماية، ثم ذهب إليها وقال لها:

{ أَيْ بُنَيَّةُ، أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، وَلَا يَخْلُصَنَّ إِلَيْكِ؛ فَإِنَّكِ لَا تَحِلِّينَ لَهُ }[١٧]

---

١٦ الطبراني والحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها

١٧ السنن الكبرى

يعني أكرميه ولكن لا يصل إليك لأنه على غير دينك !

وطلبت من النبي أن يردَّ إليه تجارته، فرجع النبي إلى الناس ..

يعني الأمر شورى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (﴿٣٨﴾الشورى) فجاءوا بها جميعاً وردُّوها إليه اكراماً للنبي ﷺ.

فأطلقوا سراحه وأخذ تجارته ورجع إلى مكة ونادى في قومه: يا معشر قريش كل من له تجارة فليحُضر، وأعطاهم حقوقهم، ثم قال لهم: هل بقي لكم شيء عندي؟ قالوا: لا، وجُزيت خيراً، قال: أُشهدكم أني آمنتُ بالله رباً وبمحمد نبياً، وعاد للمدينة وردَّها عليه النبي ﷺ زوجة بعد ست سنوات من تركها.

المذيعة:

ست سنوات ولم تتزوج غيره؟

نعم، وكذلك هو ست سنوات ولم يتزوج غيرها.

المذيعة:

نريد أن نأخذ الدرس المستفاد، ونعرف كيف كان يتعامل النبي ﷺ كصهر؟ وكيف نتأسى برسول الله ﷺ؟

بالأخلاق الطيبة والكلمة اللينة يستطيع الإنسان أن يتغلب على كل الصعاب، وأن يُغير العدو إلى صديق، وأن يجعل الناس كلهم يحبونه ويُقبلون عليه ويُنهي كل المشكلات.

وفاتها

المذيعة:

متى توفيت السيدة زينب ابنة النبي ﷺ؟

تُوفيت من العام الثامن من الهجرة، والرسول ﷺ صلَّى عليها بعد أن وضع جُبَّته فوق كفنها لتكون رحمة لها عند الله تبارك وتعالى، ودُفنت بالبقيع في المدينة المنورة.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

السيدة فاطمة الزهراء

رضي الله عنها[١٨]

نشأتها

المذيعة:

السيدة فاطمة كانت من أقرب بنات النبي إلى قلبه، وسُميت بفاطمة الزهراء، نبدأ بمعنى الإسم ومتى وُلدت؟ ولماذا هي أفضل أو الأقرب إلى قلب النبي ﷺ؟

وُلدت السيدة فاطمة الزهراء في العام الذي اختلفت فيه قُريش في بناء البيت فيمن يضع الحجر الأسود في الكعبة، وأنهى هذا الخلاف الرسول ﷺ.

وكان ذلك قبل البعثة بخمس سنوات، يعني كان عمر النبي ٣٥ سنة، وهي آخر بنات النبي ﷺ في الولادة.

وهي التي بقيت بعد وفاة بناته الثلاث جميعاً في حياته، وهذه كانت لها نظرتها عند حضرة النبي، فسُمت أُم أبيها لأنها كانت ترعى أباها كأنها أُمه، وتقوم بكل شؤونه وترعاه بعد وفاة أُمها خديجة.

وهي أيضاً التي رُزق منها النبي ﷺ بالولد.

لأن بناته الأُخريات لم ينجبن.

والتي أنجبت توفت ابنتها صغيرة، فالسيدة فاطمة هي الوحيدة التي قال فيها ﷺ:

{ إِنَّ الله ﷻ جَعَلَ ذُرِيَّةَ كُلِّ نَبِيّ فِي صُلبِه، وإِنَّ الله تَعَالَى جَعَلَ ذُرِيَّتِي فِي صُلبِ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِب}[١٩]

فجعل ذريته من أبناء السيدة فاطمة:

وقد أنجبت الحسن، والحُسين، .. ومُحسن وقد مات صغيراً، ... وزينب، ... وأم كلثوم رضي الله عنهم.

---

١٨ حلقة تلفزيونية - برنامج فقه المرأة - قناة القاهرة ٢٥ من ربيع الآخر ١٤٣٩هـ ٢٠١٨/١/٢١م

١٩ معجم الطبراني والسيوطي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

جهادها

المذيعة:

بعد خمس سنوات نزلت الرسالة، وبدأت تنشأ مع بداية نزول الوحي على رسول الله، فكانت التنشئة في بداية حياتها كلها روحانيات وكلها إيمانيات وكلها معاناة.

كانت حياتها كلها جهاد في سبيل الله، فوجدت المعاناة الشديدة التي يتعرض لها أبوها فكانت تشاركه في هذه المعاناة.

وفي إحدى المرات كان النبي ﷺ يُصلي بجوار الكعبة، وجاء رجلٌ من الكفار الأشداء وجاء بسلي جزور، أي بأحشاء جمل وهي المخلفات التي تلقى بعد الذبح، فألقاها على ظهر النبي وهو ساجد لله ﷻ، فما كان منها إلا أن أتت مسرعة وألقت هذه القاذورات عن ظهر أبيها ونظفته، وأخذت تدعو على الكافرين أن ينتقم الله تبارك وتعالى منهم جزاء فعلهم في أبيها عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

فكانت تشاركه في هذه المعاناة، وشاركته أيضاً عندما حاصره الكفار هو وبني هاشم في شعِب بني أبي طالب، وكان حصاراً شديداً، وكانت هي التي وقفت بجواره بعد وفاة أُمها، وكان ذلك قبل الهجرة بعام، وكان بنات النبي وهنَّ زينب زوجة العاص بن الربيع في بيت زوجها، ورقية مع عثمان في بلاد الحبشة مهاجرة إلى الله ﷻ، فلم يكن مع فاطمة إلا أُختها أُم كلثوم، فكانت هي بمثابة الراعي الأمين لهذا البيت تعوِّض النبي ﷺ عما يتعرض له كما رأت أُمها تفعل معه رضوان الله تبارك وتعالى عليها على الرغم من صغر سنها.

وصفها

المذيعة:

السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام:

وُصفت بأنها أقرب السمات الشخصية شكلاً وجوهراً وفي الصفات الداخلية للنبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

هذا وصف السيدة عائشة رضي الله عنها، فقد قالت:

{ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلًّا وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللَّهِ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا }[٢٠]

وفي رواية أخرى:

{ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ كَلَامًا وَحَدِيثًا مِنْ فَاطِمَةَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ }[٢١]

فكانت السيدة فاطمة أكثر الناس شبهاً بالنبي ﷺ، وفي صوت النبي ﷺ، فكانت فيها بصمة وراثية من صوت النبي ﷺ في دقته وفي نعومته وفي حلاوته وفي طلاوته صلوات ربي وتسليماته عليه.

حنان الأُبوة

كانت من جملة اهتمامها بالنبي واهتمام النبي بها:

أنها إذا دخلت على النبي ﷺ قام لها، وقال:

مرحباً بابنتي ويحتضنها ويُقبلها ويُجلسها بجواره.

وكانت هي تبادله نفس الفعل: إذا ذهب إليها تقوم إليه وتحتضنه وتقبله وتُجلسه في أعز مكان عندها، وهذا يوضح لنا حُنُو الرسول بأولاده وبناته.

وهذا يوضح لنا درساً كيف يكون حنان الأُبوة للأولاد، وهذا ما يجعل الأولاد منقادين انقياداً سهلاً للآباء، فكانت السيدة فاطمة مرتبطة بالنبي ﷺ برباط المحبة.

فالروابط بين الآباء والأبناء هي روابط المحبة والعطف والحنان، فإذا وجدهما الصبي تهافت على أبويه ويحرص على ارضائهما بكل ما في وسعه.

لكن الأسلوب الأجشُّ الذي فيه نهر وزجر وفيه خروج عن المألوف يجعله ينفر من والده، فالنبي صلوات ربي وتسليماته عليه علَّمنا بأسلوبه مع السيدة فاطمة وأخواتها الأسلوب الذي ينبغي أن نتبعه مع أبنائنا وبناتنا.

---

٢٠ سنن الترمذي عن عائشة رضي الله عنها

٢١ الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها

المذيعة:

وصف الله النبي بقوله:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩آل عمران)

وهذا بالنسبة للناس عامة فما بال الابنة؟ بالتأكيد سيكون التعامل معها بالمودة والتراحم والحنان.

نعم، فقد كان ﷺ رحمة سابغة وهذا ظهر معها ومع أولادها، فكان المثال الأعظم مع أولادها، فكان ﷺ ذات مرة يخطب على منبره ورأى الحسن يدخل من باب المسجد وتعثَّر ووقع، ودخل بعده الحُسين وتعثَّر ووقع، فنزل ﷺ من على المنبر وحمل الحسن بيمينه وحمل الحُسين بيساره وصعد بهما المنبر، ثم قال:

{ صَدَقَ اللَّهُ: "إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ" رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ، ثُمَّ أَخَذَ فِي الْخُطْبَةِ }[٢٢]

فهذه كانت مباسطة النبي ﷺ، وكانت السيدة فاطمة قد علمتهما أن لا يقولا: جدي، ولكن يقولا: أبي !

وهذا شيء نحتاجه في المجتمع، فكان كل واحد منهما يقول لرسول الله: أبي، فالأبُوة أعلى وأغلى من الجد، وكلمة أبي يكون فيها حنانٌ وعطفٌ أكثر، وأيضاً من باب الذوق الرفيع أنه أعلى في السن، ... والإسلام دين رفق ... ، فيشعر أنه لا يزال في فترة الشباب.

فالسيدة فاطمة جعلت النبي أباً لأبنائها، وتعتبر هذه سُنَّة عن رسول الله ﷺ.

المذيعة: وهل هذا الموقف له علاقة بالآية:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٩المنافقون)؟

إذا أثرت مشاغل الدنيا في الإنسان عن إقامة الصلاة في وقتها، وعن أداء ما طلبه منه الله في حينه، فيكون قد دخل في هذه الآية.

---

٢٢ سنن أبي داود وابن ماجة عن بريدة رضي الله عنه

المذيعة:

لكي نتعلم اللين والمودة، فكيف نتعامل مع الصغار عموماً، والأحفاد والأبناء، لأنه لا يوجد أعظم من شعائر الله كالصلاة، فكيف نعاملهم عند تركها؟ هل بالعقاب أم هناك ما هو أفضل؟

كثيرٌ من الناس ينهرون الأولاد الذين يدخلون المساجد، فيخرج الأولاد ويظهر عليهم سيما الغضب، وربما لا يعودون، وهذا ليس بالأسلوب النافع، بل نأخذهم ونربيهم ونأخذهم بالرفق واللين، ثم نعلمهم أدب الجلوس في المساجد، وكيفية الطهارة، وكيفية الوضوء.

وكانت السيدة فاطمة – لأنها تعلم أن أولادها يجلسون ويلعبون مع حضرة النبي – تعلمهم الطهارة والوضوء وهم في سن ثلاث سنوات.

المذيعة:

نتعلم من سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام المودة والتراحم مع الأبناء والبنات ومع الأحفاد ومع الصغار بصفة عامة، كيف نعلمهم الصلاة والوضوء والطهارة؟

كان ﷺ يبني المعاملة مع الصغار عموماً على المحبة أولاً: وبعد المحبة فإن الأطفال يميلون دائماً إلى المحاكاة، فالطفل يحاول دائماً أن يقلد ويحاكي دائماً من يُحبه .. فكانت السيدة فاطمة تعلمهم ذلك .. ولذلك كان ﷺ يدلل الحسن والحسين ..

وورد أنه ﷺ كان يجلس على يديه ورجليه، ويركبا على ظهره ويمشي بهما، فرآه سلمان الفارسي ﷺ فقال:

{ نِعْمَ الْمَطِيَّةُ مَطِيَّتُكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَنِعْمَ الرَّاكِبانِ هُمَا }[٢٣]

فلا بد للإنسان أن يتنزَّل لسن الطفل الصغير ليدَلِّه ويلاعبه ويُكسبه المحبة ! وبعد المحبة يثق تماماً أن الطفل سيكون كعجينة في يده يُشكله كما يريد ؟؟؟ المهم أن تكون المحبة بينهما في البداية.

٢٣ كنز العمال للمتقي الهندي، ومجمع الزوائد للهيثمي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه

المذيعة:

كان للنبي من البنات السيدة زينب والسيدة رُقية والسيدة أُم كلثوم والسيدة فاطمة، لماذا سُميت السيدة فاطمة ووُصفت في حديث للرسول ﷺ أنها من أكمل النساء؟

قال ﷺ:

{ كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَرْيَمُ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ }[٢٤]

كرامتها عند الله

المذيعة:

ما المقومات في السيدة فاطمة بالتحديد التي جعلتها تنال هذا التكريم؟ هل لأنها ابنة النبي عليه الصلاة والسلام أم لأن لها صفات تُشبة صفات رسول الله ﷺ؟

فهذا التكريم بسبب تقواها لله تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١٣الحجرات)

فقد ورد أنها مع عُلوِ شأنها ورفعة نسبها عندما تزوجت ابن عم النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب لم يكن لها خادم، وكانت تعمل بيدها، وكان الخُبز يُطحن على مطحنة يدوية، فكان يأتي الإمام علي بالشعير وتطحنه بالمطحنة ثم تعجنه ثم تخبزه حتى أثرت المطحنة بيديها من عناء العمل.

فالإمام علي أراد أن يُخفف عنها في البداية، وكانت أُمه تسكن معه في المنزل، فقسَّم العمل في المنزل بينها وبين السيدة فاطمة، وهذا تقسيمٌ حسن، فقال لها: اكف فاطمة خارج المنزل ما تحتاجه من ماء ومن غذاء وغيره، وتكفيكي ما بداخل المنزل من طهي ومن غسيل ومن نظافة، وهكذا.

ولما سمع أن النبي ﷺ جاءه خدم من إحدى الغزوات ويوزعهم، فقال لها: اذهبي إلى أبيك واطلبي منه خادماً، فذهبت رضي الله عنها، ولكنها من شدة حيائها استحيت

٢٤ جامع البيان عن تأويل آي القرآن عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

أن تذكر حاجتها، فسلمت على النبي ثم رجعت، وقالت للإمام علي: استحييت أن أسأله، فذهبا معاً إلى رسول الله ﷺ وقال الإمام علي:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى اشْتَكَيْتُ صَدْرِي، وَقَالَتْ فَاطِمَةُ: قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَتْ يَدَايَ، وَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ بِسَبْيٍ وَسَعَةٍ فَأَخْدِمْنَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تُطْوَى بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ لَا أَجِدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَبِيعُهُمْ وَأُنْفِقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ، فَرَجَعَا }[٢٥]

انظر إلى روعة رسول الله ﷺ، مع شدة رفقه ورأفته بابنته، لكنه فضَّل فقراء المهاجرين والأنصار.

ولأنه ﷺ رحمة في كل أموره، وحتى لا يُحزنهما، ذهب إليهما في بيتهما قال لهما:

{ أَلَا أُخْبِرُكُمَا بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ قَالَا: بَلَى، قَالَ: كَلِمَاتٌ عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: تُسَبِّحَانِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَتَحْمَدَانِ عَشْرًا، وَتُكَبِّرَانِ عَشْرًا، فَإِذَا آوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، قَالَ عليّ: فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ }[٢٦]

التسبيح والعمل

المذيعة:

نستطيع أن نستنتج من هذا الحديث وهذا الحوار بين سيدنا محمد ﷺ وبين السيدة فاطمة أن التسبيح قد يعين الإنسان على أداء عمل لا يستطيع أن يقوم به؟

نعم، فالتسبيح يعين على العمل الشاق، ولذلك سُئل الإمام علي: أما تركتهنَّ؟ قال: لا، قيل: ولا في ليلة صفين؟ وهي التي كانت بينه وبين معاوية، قال: ولا في ليلة صفين.

من لحظة أن أوصاه النبي بهن يمشي عليهن، لأن التسبيح كأنه مساج يعوض الإنسان الإجهاد، ويرد إليه قوته وعافيته مرة أُخرى كما بيَّن النبي ﷺ.

---

٢٥ مجمع الزوائد لابن حجر عن علي رضي الله عنه

٢٦ مجمع الزوائد لابن حجر عن علي رضي الله عنه

وهذه ناحية، والناحية الأُخرى هي عدالة النبي، أنه لم يحاب في العطاء حتى ابنته، كما لم يحاب في إقامة الحدود، وقال عندما جاءوا بامرأة يشفعون فيها فقال:

{ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا }[٢٧]

تقواها

المذيعة:

كلما سمعنا عن قصة بين سيدنا محمد ﷺ وبين ابنته فاطمة نتعلم المزيد والمزيد، فهي أكمل النساء وقد ذكرنا أنها أنها تتقي الله كيف نبين ذلك؟

ننظر إلى موقف عظيم آخر في تقواها لله تبارك وتعالى حين جاءها الأجل، فقد كان هناك حديثٌ بينها وبين السيدة أسماء بنت عميس رضي الله عنها زوجة جعفر بن أبي طالب، وقد تزوجت بعده أبا بكر الصديق ﷺ، وهذا الحوار يبين تقواها لله، فقالت:

يا أسماء إنهم يحملون النساء وليس عليهن غطاء، وتكون أعضاؤهن مكشوفة وإني أستحي من هذا الموقف عند موتي.

بلغ بها الحياء أنها تخشى أن يرى القوم أعضاءها وهي ميتة من فوق الملابس التي يضعونها فوق الكفن.

فقالت لها أسماء عندما كنت في الحبشة كانوا يصنعون شيئاً طيباً يضعون فيه النساء، كانوا يصنعون خشباً ويضعون فوقه ثوباً ويضعون هذا الخشب فوق النعش، فلا يُرى منها شيئاً، قالت لها: إصنعيه وأرنيه، فكان أول من وُضع في النعش هي السيدة فاطمة رضي الله عنها وأرضاها، ومنه الصندوق الذي يُحمل فيه الموتي الآن.

وكان العرب يضعون موتاهم على خشبة، ولا تزال بعض البلاد العربية على هذه الشاكلة، يصنعون هذا السياج الخشبي ويوضع عليه الميت وقد كُفن وعليه غطاء فقط.

فلما رأت ذلك سُرَّت وقالت: الحمد لله الذي أوجد لي مخرجاً من هذا الأمر، وهذا يدل على مدى تقوها لله تبارك وتعالى.

ثم أوصتها وقال: إذا أنا مِتُّ فلا تُدخلي عليَّ أحداً، وغسليني أنت وعليٌّ فقط،

---

٢٧ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

لأنها لا تريد أن يطلع عليها أحدٌ أجنبي، وهذا يدل على أنها أكمل النساء، لأنها أكمل السيدات تقوى لله تبارك وتعالى في زمنها وفيما بعد زمنها.

زواجها

المذيعة:

يُحكى أنها في ليلة زفافها اختلت بنفسها وظلت تصلي، وقد استاء زوجها علي بن أبي طالب، فوضحت له هذا التصرف، فلأي مدى صحة ذلك؟

هذه الرواية ليست صحيحة، والرواية الصحيحة الموجودة في الكتب الصحاح أن النبي ﷺ بعد أن أدخلها بالإمام عليّ أمرهما أن ينتظراه، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وقَالَ لِفَاطِمَةَ:

{ ائْتِينِي بِمَاءٍ، فَقَامَتْ إِلَى قَعْبٍ فِي الْبَيْتِ فَجَعَلَتْ فِيهِ مَاءً فَأَتَتْهُ بِهِ، فَمَجَّ فِيهِ ثُمَّ قَالَ لَهَا: قَوْمِي، فَنَضَحَ بَيْنَ ثَدْيَيْهَا وَعَلَى رَأْسِهَا ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: أَدْبِرِي، فَأَدْبَرَتْ، فَنَضَحَ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَالَ لعليٍّ: ائْتِينِي بِمَاءٍ، فَعَمِلْتُ الَّذِي يُرِيدُهُ، فَمَلَأْتُ الْقَعْبَ مَاءً فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ بِفِيهِ، ثُمَّ مَجَّهُ فِيهِ، ثُمَّ صَبَّ عَلَى رَأْسِي وَبَيْنَ يَدَيْ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُعِيذُهُ وَذُرِّيَّتَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَالَ: ادْخُلْ عَلَى أَهْلِكَ بِسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَةِ }[٢٨]

تجهيزها لبيت الزوجية

المذيعة:

نتعلم من زواجها أيضاً التساهل في الأمور، فقد تزوجت من سيدنا علي بن أبي طالب بدرع.

النبي ﷺ هو الذي خطب الإمام علي، فقد تقدم لخطبة السيدة فاطمة كبار القوم، ومنهم أبو بكر وعمر، ولم يكن هناك عيباً أن يتزوج الرجل الكبير بشابة صغيرة، فاعتذر إليهما النبي ﷺ، ثم أرسل إلى عليٍّ من يدعوه إلى الزواج، فقال: لا أملك شيئاً، فقال: الدرع الذي أخذته يوم بدر، فجاءه بالدرع وعرضه للبيع فباعه، قيل: بيع بحوالي

٢٨ المعجم الكبير للطبراني عن أنس رضي الله عنه

أربعمائة وثمانين درهماً وهذا كان مهر السيدة فاطمة.

فأمر النبي ﷺ أن يُشترى ببعضه عطراً، وببعضه طعاماً وصنع وليمة، وهنا أمورٌ نقف عندها:

أولاً: النبي ﷺ اختار الرجل الفقير المتدين لابنته، ولم يبحث عن الغنى ولا عن الثراء، مع أن الكل كان يطمع في أن يتزوج بابنة النبي، ولكنه – لنأخذ بهذه السُنَّة – أمرنا ووجهنا في عمله أن نختار الزوج الصالح الذي يرعى مشاعر البنت.

ثانياً: التخفيف في المهور وعدم المغالاة كما قال ﷺ:

{ خَيْرُهُنَّ أَيْسَرُهُنَّ صَدَاقًا }[٢٩]

ثالثاً: الوليمة في ليلة الزفاف، والوليمة يكون الجزء الأعظم منها للفقراء، وجزءٌ للأغنياء، وهي سُنَّة حسنة، فقد قال ﷺ في حديثه:

{ شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَى إِلَيْهِ الأَغْنِيَاءُ، وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءِ }[٣٠]

لأن الأغنياء لا يحتاجون لهذا الطعام وعندهم منه الكثير، والذي يحتاج إلى هذا الطعام هم الفقراء، وتكون الوليمة صدقة للعروسين وخير بداية لهم لمباركة الحياة الزوجية.

الوليمة للفقراء

المذيعة:

يعني نعتبر أن هذه دعوة لكل زوج يوفر مبلغاً من المال للفقراء لإطعامهم.

نعم، وإن لم يدعوهم للحفل فيوزع عليهم الطعام، أو يوزع عليهم مبلغاً من المال يشترون به الطعام، فهذه صدقة من الصدقات تمنع البلاء الذي ينزل، والذي أدَّى إلى كثرة حالات الطلاق في هذه الأيام.

فالصدقة تجعل هذا الزواج زواجاً صالحاً، ولذلك كان النبي يوصي بالوليمة، فعندما تزوج عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال له النبي ﷺ:

---

٢٩ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
٣٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ }[31]

والنبي ﷺ في زواج السيدة فاطمة أَوْلم، قيل: أولم بتمر وزبيب، يعني من ليس عنده لحم يُولم بتمر وزبيب وهي وليمة يأكل منها الفقراء ويحمدون الله تبارك وتعالى ويدعون للعروسين بحياة طيبة رغيدة سعيدة إن شاء الله، وإذا كان معه يُنفق، والمهم أن يكون هناك وليمة بين الطرفين.

إطعام الطعام

المذيعة:

النبي ﷺ كان دائماً يُوصي بالطعام، فيقول:

{أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوْا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ}[32]؟

الرسول ﷺ قال:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ }[33]

وفي رواية أخرى:

{ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ }[34]

فكان النبي ﷺ طيب الكلام ليّن، والسيدة فاطمة كانت تُشبهه.

والمؤمنون جميعاً يقول لهم الله:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ (٢٤الحج) فالمؤمن دائماً يقول القول الطيب الذي يجعل من يسمعه يسر خاطره، وأفضل شيء هو جبر الخاطر، وجبر الخاطر يمنع كل المشاكل بين الناس إن شاء الله.

---

٣١ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه
٣٢ المعجم الأوسط للطبراني عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه
٣٣ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن أبي مالك الأشعري
٣٤ مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

أوصاف الإمام علي

المذيعة:

علي بن أبي طالب ﷺ ابن عم النبي ﷺ والذي نام في فراشه ليلة الهجرة، هل اختيار النبي ﷺ له كان له علاقة بهذا؟

الإمام عليّ كان فارساً لا يخش إلا الله، وكان أشد الناس أخذاً للعلم عن رسول الله، وكان عمر بن الخطاب إذا وقعت أي مسألة يقول: أين علي؟ فيأتي عليٌ فيُفتيه، فيقول: لولا أبو الحسن لهلك عمر، وكان النبي ﷺ يقول فيه:

{ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا }[٣٥]

فكان عالماً من العلماء الأجلاء في دين الله تبارك وتعالى، وكان فارساً قوياً، وكان شديد الحب لله تبارك وتعالى ولرسوله ﷺ، وكان النبي يعلم بما علَّمه الله فيقول:

{ مَا تَزَوَّجْتُ شَيْئًا مِنْ نِسَائِي، وَلا زَوَّجْتُ شَيْئًا مِنْ بَنَاتِي إِلا بِإِذْنٍ جَاءَنِي بِهِ جِبْرِيلُ عَنِ اللَّهِ ﷻ }[٣٦]

يعلم من الله أن هذا هو الذي سيتزوج فاطمة وستكون ذريته ﷺ منه.

المذيعة:

هل كان الإمام علي بن أبي طالب من الصباح حتى الليل مع سيدنا النبي ﷺ؟

لا، فالإمام علي ﷺ وأرضاه كان ليس له دخل إلا عمل يده ..

كان لا يملك مزارع ولا تجارة، فكان يعمل على ذراعه ..

يُصبح الصباح فيقف لمن يطلبه للعمل,

وذات يوم طلبته امرأة يهودية ليُخرج لها ماءاً من بئرها، والبئر كان عميقاً، واتفقت معه على أن كل دلو بتمرة، فعمل حتى كلَّت يداه وأخذ التمر وذهب به إلى النبي ﷺ ففرح به وأكل منه ودعا له.

فكان الإمام علي يعمل أولاً ويطلب العلم في وقت فراغه من حضرة النبي.

---

٣٥ الحاكم في المستدرك والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

٣٦ حلية الاولياء لأبي نعيم وتاريخ دمشق لابن عساكر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

الزوجة الصالحة

المذيعة:

الزوج يطلب العمل خارج المنزل طوال اليوم، فكيف كانت الزوجة الصالحة؟

كانت السيدة فاطمة مُنشغلة بأولادها وأمور بيتها، فكانت هي التي تصنع الطعام كله من أوله لآخره، فهي التي تخبز، وهي التي تقوم بكل طلبات المنزل، وهي التي تقوم بكل طلبات أولادها، ولا ننسى أنها تزوجت وعمرها ١٨ عاماً، ولقيت الله تبارك وتعالى وعمرها ٢٧ عاماً، وفي هذه السنين ولدت خمسة أولاد، وهي أول من لحقت بالنبي بعد ستة أشهر من انتقاله، فكانت فترة زواجها حوالي عشر سنين أنجبت خلالها خمس أولاد، الحسن والحُسين ومُحسن وزينب وأم كلثوم.

فكانت بين حمل ورضاع وتجهيز للمنزل وتجهيز للزوج، ورعاية للخيل التي كان يركبها في المعارك، ورعاية للجمل الذي كان يركبه في السفر، ورعاية لأُمه التي كانت تعيش معها، كل ذلك كانت تقوم به بمفردها بدون خدم ولا مساعدة ولا معاونة.

بشرى النبي لها بلحاقها به

المذيعة:

كانت السيدة فاطمة شديدة الحب لأبيها، وفي اللحظة الأخيرة قبل وفاة النبي عليه الصلاة والسلام كانت شديدة التأثر فيها، ولكنها ابتسمت عندما أسر لها أبوها أنها ستكون أول من يلحق به، عندما كان النبي في أنفاسه الأخيرة وأخبرها وأسرَّ لها في أُذنها فبكت، ثم أسرَّ لها في أُذنها فضحكت، فقالت لها: السيدة عائشة رضي الله عنها بعد مدة من وفاة النبي ﷺ:

{ أَرَأَيْتِ حِينَ أَكْبَبْتِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَبَكَيْتِ، ثُمَّ أَكْبَبْتِ عَلَيْهِ فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَضَحِكْتِ، مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَتْ إِنِّي إِذًا لَبَذِرَةٌ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ هَذَا فَبَكَيْتُ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي أَسْرَعُ أَهْلِهِ لُحُوقًا بِهِ فَذَاكَ حِينَ ضَحِكْتُ}[٣٧]

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٣٧ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

الإمام الحسين بن علي

رضي الله عنه[٣٨]

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي جعلنا من الأُمَّة المُكرَّمة؛ أمَّة حبيب الله ومصطفاه، والصلاة والسلام على مصدر كل إكرام، وسر كل إنعام من الله ﷻ لجميع الأنام؛ سيدنا محمد إمامنا في الدنيا وشفيعنا يوم الزحام، صلى الله عليه وعلى آله الكرام، وعلى أصحابه نجوم الاهتدا الذين يُمحَى بهم الظلام، وعلى كل من تبعهم بخير إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

نعيش بالروح والقلب مع سيدنا الإمام الحُسين ﷺ، ونأخذ ما ينفعنا من سيرته، والعظة والعبرة التي ينبغي أن نعرفها في حياته ونشأته، وهذا الإحتفال الواجب أن يكون به.

اختيار الزوج الصالح

سيدنا الإمام الحُسين وأخوه الحسن أبناء الإمام عليّ بن أبي طالب، ولنا وقفةٌ هاهنا يحتاجها كل أفراد مجتمعنا.

فالنبي صاحب الوحي الذي شرَّفه الله بالنبوة، وشرَّفه بالرسالة، وتوَّجه بتاج الاصطفاء، يطلب ابنته التقية النقية السيدة فاطمة الوجهاء والأغنياء، فيأبى أن يُزوِّجها لهم، ويختار رجلاً من الفقراء لصلاحه وتقواه، لماذا؟ عملاً بقول الله له ولنا جميعاً:

﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾ (٣٢النور).

نُزوِّج أولادنا من الصالحات، ولو كُنَّ فقيرات، ونُزوِّج بناتنا من الصالحين ولو كانوا فقراء، فالغنى والفقر عرَضٌ، والعرَض يروح ويأتي، لكن مرض النفس قد لا يشفى منه الإنسان، فتكون حياته كلها همٌّ وغمٌّ ونكدٌ بين الزوجة وزوجها أو بين الزوج وزوجته.

ما الذي يزيل كل الهموم والغموم والأنكاد؟

إذا كان الرجل صالحاً والزوجة صالحة.

---

٣٨ الأقصر – إسنا – طفنيس ٢٧ من ربيع الأول ١٤٣٨ هـ ٢٠١٧/١/٢٥م

ذهب رجلٌ إلى الإمام الحسن يقول له: ابنتي جاءها خاطبون، فلان وفلان وفلان من الأغنياء، وفلان وفلان وفلان من الفقراء، فلمن أُزوجها؟ فقال له هذه الحكمة العظيمة: زوِّجها للتقي، فقال له ولِمْ؟ قال: إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يُهنها.

فلن يقول لها شيء عن أبيها وأمها، ولن يُفكِّر أن يستحوذ على جهازها ويُخفيه حتى لا تأخذ منه شيئاً، ويرفع عليها قضايا كيدية لينكِّد عليها حياتها، لن يفعل ذلك، ولن يفعل إلا ما يُرضي الله جل في عُلاه.

زواج فاطمة من عليّ

هذه بادرة سنَّها سيدنا رسول الله ﷺ لأصحابه ومشوا عليها، ونحن في زماننا نشمئز أن نفعلها، فقد طلب ﷺ من إحدى الصحابيات الفُضليات أن تذكر فاطمة لعليٍّ، فذهبت إليه، وسألته: لم لا تتزوج؟ فقال لها: وهل معي شيء؟! لأن سيدنا علي كان يعمل من كدِّ يده، فيُصبح في الصباح إذا أتاه عملٌ ذهب ليعمله، وإن لم يأته عملٌ يبقى ولا يذهب، فليس له وظيفة أو دخل ثابت، ولا تجارة ولا زراعة، ولا شيء أبداً، فكان رجل فقيرٍ، ولكنه عند الله كبير، وله منزلةٌ كبيرة عند الله: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات ١٣) لم يقُل الله: أغناكم، ولكن (أَتْقَاكُمْ) والتقوى محلها القلب.

فقالت له: فكيف لو تيسَّرت لك الأمور كلها؟ فقال لها: كيف؟ فقالت له: ما رأيك في فاطمة بنت رسول الله؟ فقال لها: وكيف أتزوج من فاطمة؟! وهل معي شيء؟! وأخذت تلح عليه حتى وافق وذهب لحضرة النبي ﷺ.

مهرها وجهازها

يقول الإمام علي رضي الله عنه:

{ وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَلالَةٌ وَهَيْبَةٌ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ أُفْحِمْتُ، فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا جَاءَ بِكَ، أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَسَكَتُّ، فَقَالَ : لَعَلَّكَ جِئْتَ تَخْطُبُ فَاطِمَةَ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تَسْتَحِلُّهَا بِهِ؟ فَقُلْتُ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: مَا فَعَلَتْ دِرْعٌ سَلَّحْتُكَهَا، فَوَالَّذِي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ إِنَّهَا

لَحُطَمِيَّةٌ مَا ثَمَنُهَا أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، فَقُلْتُ: عِنْدِي، فَقَالَ: قَدْ زَوَّجْتُكَهَا، فَابْعَثْ إِلَيْهَا بِهَا فَاسْتَحِلَّهَا بِهَا }[٣٩]

ماذا كان جهاز بنت حضرة النبي ﷺ؟ جلد خروف وهذا هو السرير والمرتبة التي ينامون عليها، وقصعة في البيت ليعجنوا فيها العجين، ويملؤون فيها الماء، ويغسلون فيها ملابسهم، ولها وظائف متعددة، والدولاب عبارة عن حبل ممتد بين الحائطين يضعون عليه ثيابهم، وكان في الجهاز كوباً يشربون فيه الماء.

وجهَّزوها ودخلت بيتها، وطلب رسول الله من عليّ أن ينتظره بعد أن يدخلا بيتهما، فذهب ﷺ وجلس بينهما، ودعا لهما، وبيَّن لهما ولنا إلى قيام الساعة ما على الزوج وما على الزوجة، فعلى الزوج ما بخارج البيت، وعلى الزوجة ما بداخل البيت.

وتم زواج الإمام عليٌّ بالسيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ التي يقول فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَرْيَمُ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ }[٤٠]

فالسيدة فاطمة رضي الله عنها وأرضاها وصلت لدرجة الكمال.

أولادهما

رزقهما الله ﷻ بولد، وسيدنا عليّ كان فارساً مغواراً في الحروب، وكانوا يقولون: كفُّه ككفِّ أسد، يعني كان من قدراته إذا أمسك رجلاً من من معصم يده لا يستطيع أن يتنفَّس!!، وفي غزوة خيبر رفع باب الحصن بيديه الإثنين ليحتمي به، وبعد انتهاء المعركة ثلاثين رجلاً لم يستطيعوا تحريك الباب من مكانه!!، فكان معه قوة خارقة، وكان يُحب الحرب، فلما وُلد الولد قال: نسميه حرب، لكن سيدنا رسول الله ﷺ سمَّاه الحسن فاستجاب، وعقَّ عنه رسول الله بكبش.

بعد ذلك ولدت ولداً آخر أراد الإمام عليٌّ أن يُسميه حرب، لكن رسول الله ﷺ سمَّاه الحُسين، وبعد ذلك أنجبت ولداً فسمَّاه مُحسن، وأنجبت بعد ذلك بنتاً فسمُّوها زينب، وهي السيدة زينب رضي الله عنها، وتربوا جميعاً في بيت النبوة.

---

٣٩ البيهقي ومسند أحمد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

٤٠ جامع البيان عن تأويل آي القرآن عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

وبيت السيدة فاطمة كان بجوار بيت سيدنا رسول الله، فمن زار منكم البقاع المقدسة، يجد بيت سيدنا رسول الله، والجزء الكبير الذي خلفه هو بيت السيدة فاطمة، وكان بيتها يمر ببيت السيدة عائشة رضي الله عنها.

رعاية النبي لأحفاده

كان سيدنا رسول الله يهتم بالأولاد فيلاعبهم ويلاطفهم بشفقة وحنان وعطف تعزُّ عن الوجود كله، فكان يعمل نفسه جملاً ويركبه الإثنان ويمشي بهما، فرآه سلمان الفارسي فقال:

{ نِعْمَ الْمَطِيَّةُ مَطِيَّتُكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَنِعْمَ الرَّاكِبانِ هُمَا }[٤١]

يذهب ليُصلي فيجري الحسن ويتخطَّى الصفوف ويركب على ظهر رسول الله ﷺ، فيظل النبي ساجداً ويُطيل السجود فلا يرفع يده من عليه ولا يُلقي به، ولا أي شيء من هذا القبيل، بل يتركه حتى يأخذ غايته، وبعد أن ينزل يقوم، وبعد الصلاة يقولون له:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ هَذِهِ سَجْدَةً قَدْ أَطَلْتَهَا، فَظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ قَدْ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ }[٤٢]

أولادنا أليسوا في حاجة إلى مثل هذا؟! أولادنا نحن من نصيبهم بالأمراض النفسية بسبب النهر والزجر والضرب والطرد، وهذا الكلام ليس في النبوة، وليس في العلم، وليس في التربية النفسية الحديثة، ولكنه تقليد لمن كان قبلنا في الجاهلية، ونحن يجب أن نقلد رسول الله:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب)

كان ﷺ واقفاً على المنبر يخطب وجاء الحسن والحُسين ودخلا من باب المسجد، وكانا لا يقولان جدِّي كما يقول أحفادنا الآن، ولكن كانا يقولان لرسول الله: أبي، فنزل من على المنبر لأنه رأى أحدهم وقع على الأرض وحمل الحسن بذراع، والحُسين بذراع، وصعد بهما على المنبر وأكمل خطبته!.

---

٤١ كنز العمال للمتقي الهندي، ومجمع الزوائد للهيثمي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه
٤٢ مسند أحمد والنسائي عن شداد بن الهاد رضي الله عنه

ما هذا الحنان؟! وما هذا العطف؟! أولادنا في حاجة لهذا العطف وهذا الحنان الذي علَّمه لنا سيدنا رسول الله، وأعطانا درساً قاسياً في الشخص الذي جاءه فوجده يقبِّل هذا ويقبِّل هذا، فقال له الرجل: أتقبلون الصبيان؟! إن لي عشرة من الولد ما قبلتُ واحداً منهم قط!!، فقال له:

{ أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟! }[٤٣]

فالقُبلة للطفل أحسن من وجبة غذائية، وتربيت الرجل بيده على كتف الطفل بحنان أفضل من أن يأتيه بأحسن طعام في العالم ويُعطيه له، لأن الأولاد أشوق للحنان والعطف والرحمة والمودة والمعاملة الطيبة التي يحتاجون إليها.

لكن تُطعمه ثم تُسمِّمه بالكلام!، أو تُطعمه ثم تسمِّمه بالضرب!، فهذا عمل مخالفٌ لهدي سيد الأنام ﷺ.

فالسيدة فاطمة رضي الله عنها لما رأت أن سيدنا رسول الله يهتم بالأولاد، والأولاد يذهبون إليه، فعلَّمتهم وهم في سن ثلاث سنوات آداب الاستنجاء والوضوء، وجعلتهم لا يخرجون إلى حضرته إلا على وضوء، لماذا؟ حفاظاً على الطهارة الكاملة لسيدنا رسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه.

وكان من ضمن مكارمهما إذا كانت السيدة فاطمة مشغولة وليست موجودة، وأحدهما بكى وجاع، كان رسول الله يضع في فمه لسانه فيرضع من لسان رسول الله ويشبع.

تربوا على هذه التربية الإلهية النبوية، فكانا أتقياء أنقياء حتى قال فيهما سيد الرسل والأنبياء:

{ الحَسَنُ و الحُسَيْنُ سَيِّدا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ }[٤٤]

وهل في الجنة عجزة؟

وهل فيها شيوخ؟

لا !!

فالكل يدخل الجنة وهم شباب في سن الثلاث والثلاثين:

---

٤٣ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

٤٤ جامع الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

{ لَا يَبْلَى شَبَابُهُمْ }[٤٥]

فهما سيدا أهل الجنة، وسيدنا رسول الله كان رقيقاً في كلماته، لمَّاحاً في اختيار عباراته، فهما سيدا أهل الجنة.

الوفاء بالنذر

وهؤلاء الذين نزل فيهم آيات سورة الدهر، لما مرضا هما الإثنان ونذر سيدنا علي والسيدة فاطمة إن شفا الله الغلامين أن يصوما ثلاثة أيام لله ﷻ.

وسيدنا علي كان رجلاً يعمل بمجهوده، فلم يكن يملك أرضاً ولا يملك محلاً للتجارة، فكان يذهب ليعمل باليومية وفي آخر اليوم يشتري من شغله قدحاً من الشعير، والسيدة فاطمة كان عندها رحاية، فتضع الشعير في الرحاية وتطحنه وبعد أن تنتهي تعجنه، ثم تخبزه، وهذا كان طعامهم وليس معه غُموس ولا غيره، حتى تعلموا كيف كان آل بيت يجاهدون في الله ﷻ؟!

فشفا الله الحسن والحسين، وبدأوا بتوفية النذر، فصاموا لله ﷻ، على أي شيءٍ يفطرون؟ على رغيف واحد، وقبل الإفطار بلحظات طرق الباب، وقال الطارق: مسكين يا آل بيت النبي ولم أذق الطعام منذ يومين، فأعطوه الرغيف وأفطروا على الماء وأصبحوا صائمين لتكملة النذر.

وذهب سيدنا علي ليعمل في اليوم الثاني وأتى بالشعير وصنعت السيدة فاطمة الرغيف، وقبل الإفطار طرق الباب رجل وقال لهم: يتيم يا آل بيت النبي ولي ثلاثة أيام لم أذق طعاماً، فأعطوه الرغيف، وأفطروا على الماء !!

وفي اليوم الثالث تكرر الأمر، وقبل الإفطار طرق الباب رجل وقال: أسير يا آل بيت النبي، فأعطوه الرغيف، فنزل قول الله ﷻ:

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾ (الإنسان).

يطعمون الطعام على حب الله ... وليس حب الطعام كما يقول بعض الجُهَّال حين يُفسِّرونها.

---

٤٥ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

طعام المحبة

أيضاً آل بيت النبي من العارفين والصالحين إلى يوم الدين يطعمون أهل المحبة طعام القلوب الذي يقربهم إلى الحبيب المحبوب، فالزاد الموصل إلى رب العباد للمسكين الذي سكن قلبه إلى مولاه وخرج من الدنيا وحظه وهواه، فأصبح مسكيناً والذي يقول فيه الله عندما قال سيدنا موسى: يا رب أين أجدك؟ فقال الله:

{ أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي }[٤٦]

فالله ﷻ لم تسعه سماواته ولا أرضه ولا ملأه الأعلى بل وسعه قلب العبد المؤمن التقي النقي، واليتيم الذي لم يعد له ملجأ يعتمد عليه غير مولاه، لا يعتمد على مال ولا ولد ولا أهل ولا خلان ولا وظيفة ولا علم ولا عمل ولا حال، لا يعتمد إلا على فضل الواحد المتعال ﷻ.

والأسير الذي أسرته العناية الإلهية فجذبته إليها، فأصبح مجذوباً للحضرة الإلهية بالكلية، فلا يميل إلى دار الدنيا الدنية، ولا يميل حتى إلى المنازل الأُخروية، ولا الدرجات الجنانية، لا يميل إلا إلى رب البرية ﷻ.

وهي أيضاً أحوال العارفين والصالحين إلى يوم الدين، نسأل الله ﷻ أن يجمعنا عليهم أجمعين.

فكان سيدنا الحسين ﷺ وأرضاه إماماً لا يُشق له غبار، صورة كاملة في حركاته وسكناته وأخلاقه وأقواله وأفعاله من النبي المختار ﷺ.

أهل العباءة

ولذلك روى الشيخ أبو عيسى التُرمذي صاحب صحيح التُرمذي يقول: كأنه رأى القيامة قد قامت ورأى أهوالها وشداتها فتوجَّه إلى رب العزة وسأله: ما الذي ينجيني من ذلك؟ قال له:

قل بعد صلاة الفجر:

(اللهم بحق الحسن وأخيه وأمه وأبيه وجده وبنيه فرِّج عنا ما نحن فيه، اللهم إنا لا نسألك ردَّ القضاء بل نسألك اللطف فيه).

---

٤٦ أورده الغزالي في البداية

وهذا الدعاء مجُرب، فلا يقع أحدٌ في شدّة ويدعُو به إلا فرَّج عنه مولاه ويداوم عليه، ولا يوجد أحدٌ يقع في ورطة ويدعو به إلا جعل الله له مخرجاً جل في علاه، لماذا؟ لأن هؤلاء أهل العباءة المذكورين في كتاب الله.

فعندما جاء جماعة من النصارى إلى رسول الله ﷺ وجادلوه وقالوا: نحن الذين على الحق، فسيدنا رسول الله دعاهم للمباهلة، وهي أن يقفوا هم وأكابرهم، وهو والذين معه، وهؤلاء يدعون وهؤلاء يدعون، ومن يستجيب له الله ﷻ فهو الذي معه الحق، فوافقوا، كما ورد:

{ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي }[٤٧]

فوقف سيدنا رسول الله على الجبل ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين ووضع عباءته عليهم، فعندما رأى القساوسة آل بيت النبي في عباءة النبي قالوا: هذه وجوه لو دعت على جبل أن يزول لزال، فلن نباهل.

فعندما يُعطي ربنا هذا الدعاء لإمام من أئمة الحديث نعلم أن هؤلاء يُتوسَّل بهم إلى الله ﷻ، فعندما يدعوا الإنسان بهذا الدعاء في أي شدة يُفرجها الله، ولو لزمت به لفُتحت لك الأبواب.

عبادة الحُسين

الحُسين ﷺ تفرَّغ تفرغاً تاماً لعبادة الله وطاعة الله، حتى أنه مما يُذكر عنه أنه حجَّ خمسة وعشرين مرةً ماشياً على قدميه، وركائبه تُساق أمامه!، فليس هذا من قلة ما عنده، ولكنه يريد أن يعمل بالأشقِّ لينال رضاء الله ﷻ.

كما كان يفعل سيدنا رسول الله، فكان يقوم الليل كله على قدم واحدة، تذللاً وتبتلاً وتضرعاً لذات الله ﷻ، ولذلك كانت تتورم قدماه، إلى أن قال له الله عزوجل:

﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ ﴾ (طه)

وفي قراءة أخرى: (طأها) يعني أنزل هذه القدم وصلي على الإثنين، فلم أُنزل عليك القرآن للشقاء.

---

٤٧ صحيح مسلم والترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

فكان سيدنا الحُسين ﷺ يحجُّ ماشياً من المدينة إلى مكة إلى المناسك والركائب أمامه، تبتلاً وتضرعاً وإخباتاً لله ﷻ، يريد أن يكون له الأجر الأعظم، لأن النبي ﷺ فخَّم أجر من يحج ماشياً، وقال فيه ﷺ:

{ مَنْ حَجَّ مِنْ مَكَّةَ مَاشِيًا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَكَّةَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ سَبْعَمِائَةِ حَسَنَةٍ، كُلُّ حَسَنَةٍ مِثْلُ حَسَنَاتِ الْحَرَمِ، قِيلَ: وَمَا حَسَنَاتُ الْحَرَمِ؟ قَالَ: بِكُلِّ حَسَنَةٍ مِائَةُ أَلْفِ حَسَنَةٍ }[٤٨]

سخاؤه وجوده

وكان هو وأخيه من أسخى الأسخياء، وكان شعاره الحكمة الراسخة التي عبَّر بها عن نفسه، ويقول لأهل بيته: ((حوائج الناس إليكم من فضل الله ﷻ عليكم، فمن بخل بنعم الله على عباده، نقلها الله عنه وحوَّلها إلى غيره)).

العادة – كما نرى – أن الناس تتضرر وتتبرَّم، عندما يأتيهم أُناسٌ يريدون مصالح، ولكنه كان يفرح ويقول: هذا من فضل الله علينا، أن يجعل الناس تحتاج إلينا، ومن يبخل فيُحذِّره أن الله سيرفع هذه النعم وينقلها لغيره.

جهاده في الفتوحات الإسلامية

وكان من أصحاب المروءات البالغة، فكان يخوض المعارك مع الجيوش الإسلامية في الفتوحات، واشترك في فتوحات بلاد الروم، وفي فتوحات بلاد فارس، ويحارب كجنديٍّ عادي، ولا يقول: أنا جدِّي النبي، أو أنا كبير القادة أو غيره، بل كان يحارب كجندي عادي.

وبعد المعركة الأخيرة مع بلاد فارس، وقع بنات كسرى آخر ملوك فارس في الأسر، وكن ثلاث بنات، والغنائم كانوا يوزعونها على الجيش، ويأخذ كل واحد نصيبه من الغنائم ويتصرف فيه كما يريد، لكنه من مروئته قال: أبناء الملوك لا يكونوا كأبناء السوقة – يعني الناس العاديين – فدعا سيدنا عبد الله بن عمر، وسيدنا عبد الله بن عباس، فقال: نشتريهن ونُحررهن من الرقَّ ونكرمهن ونتزوجهن، لأنهن بنات ملوك، وكن يعشن في الرغد والغنى.

---

٤٨ الحاكم في المستدرك ومجمع الزوائد عن ابن عباس رضي الله عنهما

فتزوَّج من إحداهنَّ وهي التي أنجبت له سيدنا علي زين العابدين بن الإمام الحسين، والفُرس كانوا يقدِّسون الملوك ويعتبرونهم في مرتبة الآلهة، فعرفوا هذا الجميل لسيدنا الحُسين، ولذلك تشيَّعوا واخترعوا التشيُّع الذي نسمع عنه، لماذا؟ لأنه أكرم بنات ملكهم، وإلا فلماذا لم يتشيَّعوا لأولاد الحسن؟!! لأن التشيَّع لأبناء الحُسين فقط، وسيدنا الإمام علي لم يكن له الحسن والحُسين فقط، ولكن كان له أولاد آخرين، كمحمد بن الحنفية وغيره وغيره، ولكنهم تشيَّعوا لأولاد الحُسين فقط، لماذا؟ ليُرِدُّوا الجميل له.

فالتشيَّع أمر سياسي، والحُسين ليس له شأنٌ به، والإسلام ليس له شأنٌ به، وليس لنا شأنٌ به كلنا، ولكن هذا الأمر سياسي بسبب إكرام سيدنا الحسين لبنات الملك، وقالوا: يجب أن تكون الخلافة إلى قيام الساعة للحُسين وذريته، وأخرجوا النظريات الشيعية التي ما أنزل الله بها من سلطان، والموجودة الآن.

جهاده في التمسك بالشورى في الحكم

معاوية بن أبي سفيان كان قد أخذ البيعة في حياته لابنه يزيد، وكان النظام الإسلامي أن يختار المسلمون أحدهم بالشورى بينهم، فكونه أعطاها لابنه فقد غيَّر النظام الذي كان يسير عليه الخلفاء الراشدين.

فكثير من أصحاب رسول الله الذين كانوا يعيشون وقتها وأبناءهم وغيرهم اعترضوا على هذا الأمر لأنه يُغيِّر النظام السائد في الإسلام وهو:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (﴿٣٨﴾الشورى)

والإمام الحُسين كان من ضمن الذين لم يُقرُّوا بيعة يزيد، وإنما يريد أن تختار الأمة الإسلامية من يبايعوه.

في هذا الوقت أرسل له أهل العراق وقالوا له: تعالى معنا ونحن نؤيدك في هذا الطلب، فالبعض الذين لم يُوفِّقوا في كتابة التاريخ يقولون: أنه هو الذي طلب الخلافة، لكنه لم يرد الخلافة بل أراد أن ترجع الأمور إلى مسارها الطبيعي، ويريد فقط من يؤيده، لأن يزيد كان معه جيشاً، والحُسين لم يكن معه أحد.

أهل العراق أهل أهواء، حتى أن سيدنا علي ﷺ كان يقول لهم: يا أهل العراق يا أهل النفاق.

وسيدنا الحُسين وهو ذاهبٌ لهم لم يكن معه إلا أولاده، وأولاد إخوته، ونساؤه، فكان العدد حوالي سبعين بما فيهم النساء والأطفال، فلم يذهب ليحارب، وهو في الطريق قابله الشاعر الفرزدق وكان يُحب آل البيت، فقال له: إلى أين أنت ذاهب؟ فقال له: ذاهب للعراق، وسأله عن أحوالهم، فقال: تركت القوم وقلوبهم معك، وسيوفهم عليك.

هم يحبونك ولكنهم سيحاربونك، وكان الحسين قد بعث ابن عمه مسلم لينظر الوضع هناك، فذهب إلى البصرة واجتمع حوله الكثير، فأرسل للحسين بأن الأعداد كثيرة وفي انتظاره.

صلَّى خلف مسلم صلاة المغرب عشرون ألفاً، وبمجرد أن أنهى الصلاة وقال: السلام عليكم، ونظر خلفه فلم يجد أحد، لأنهم عندما شعروا بقدوم العسكر أسرعوا بالهروب، ثم أخذوا مسلم وقتلوه، ولم يستطع أن يرسل للحسين.

في كربلاء

فذهب الحُسين مضطراً، وتقابل مع جيش يزيد في كربلاء التي قُتل فيها، وكان معه كما قلنا سبعين، والجيش الآخر أربعة آلاف، فتفاوض مع قائد الجيش وقال له: اتركني أرجع للمدينة، فقال له: لا، فقال له: اتركني أخرج للجهاد في سبيل الله، فقال له: لا، فقال له: اتركني أذهب ليزيد فهو ابن عم، فقال له: لا، فقال له: ماذا تريد؟ قال له: رقبتك، لأنه يريد أن ينال المنحة، وتكون له يدٌ عند يزيد، فأصر على القتال.

فقاتل سيدنا الحُسين، وكان سيدنا الحُسين عنده أربعة عشر ولداً، قتلوا أمامه كلهم في المعركة وهو يحارب، ما عدا سيدنا علي زين العابدين فكان عنده حُمَّى ومريض.

رأس الحسين

وعند موعد كل صلاة يتوقف القتال ليُصلوا !! ويأتي أهل العراق كلهم ويصلون خلف الإمام الحسين!، وبعد الصلاة يحاربوه بالسيوف! !!

حتى كان يوم عاشوراء، فقد جاءه سيدنا رسول الله ﷺ في المنام وقال له: ستفطر عندنا اليوم، وفي هذا اليوم قُتل الإمام الحُسين، وجزُّوا رقبته، وأخذوها وسافروا بها إلى يزيد في بغداد، ودُفن الجسم في كربلاء.

أمر يزيد بدفن الرأس في دمشق، ثم عاد وخاف أن يثور الناس، فأمر برفعها خُفية ودفنها في بلد اسمها عسقلان في فلسطين الآن، إلى أن جاء عهد الدولة الفاطمية التي حكمت مصر، وجاء وزير اسمه طلائع بن زريق، وكانت الشام تابعة للدولة الفاطمية، فاستقدم رأس الحُسين من عسقلان وبنى لها المكان الذي فيه الآن بمصر، ووُضعت فيه رأس الإمام الحُسين رضي الله تبارك وتعالى عنه.

أما الخلافات بين الناس على أن الرأس في مصر بدون الجسم، أو هناك الجسم بدون الرأس، فهي خلافات ليست من دين الله في قليل ولا كثير.

أحد المعاصرين لنا، وكان خطيب مسجد سيدنا الحُسين، وكان اسمه الشيخ عبد ربه سليمان، ومات في أواخر الأربعينات، وكان من الصالحين على قدمٍ عظيم.

هذا الرجل جاء ليتعلم في الأزهر، وأبوه ليس معه شيء، فاحتار في نفقاته، ماذا يفعل؟!!، فرأى الإمام الحُسين في المنام وقال له: كلما احتجت إلى مال اذهب إلى السجَّادة التي في موضع كذا وارفعها تجد ما تريده من المال.

ومشى على ذلك حتى تعلَّم، وتعيَّن مدرساً في الأزهر، وبعد أن كبر أصبح إماماً وخطيباً لمسجد الإمام الحُسين.

وذات يوم كان هناك جماعة يتحدثون معه، فقال بعضهم: هنا الرأس فقط، وبعضهم يقول: لا توجد الرأس هنا !!

وأخذ يجادل معهم، وكان من وجهة نظره أن الرأس فقط هنا.

فرأى الإمام الحُسين في المنام وقال له: يا عبد ربه الذي كان يُعطيك المال هل الرأس أم اليد؟!!.

فهذه حقائق إلهية، ولا يجب أن نُكيِّفها بعقولنا البشرية!!

فالرأس والجسم في عالم المحسوسات، أما عالم البرزخ فهو عالمٌ آخر ليس لنا اطلاعٌ على خصائصه، ولا أحكامه، ولا أحواله، ويجب أن نُسلِّم فيه الأمر لله ﷻ تسليماً كاملاً.

الشيخ الشعراوي رحمة الله عليه، كان في المدينة المنورة في بعثة، وحدث خلافٌ بين عبد الناصر وبين الملك سعود، فاستدعى عبد الناصر البعثة كلها.

فقال: ذهبتُ عند سيدنا رسول الله وقلتُ: يا سيدي يا رسول الله كيف أتركك؟ وإلى أين أذهب؟ !!

فقال: نمتُ فوجدتُ رسول الله يقول لي: لنا باب عندك في مصر وهو الحُسين، إذا أردتنا فاذهب إلى الحُسين!!.

أنا أريد أن أقول: أن الخلافات الشكلية ليس لنا شأنٌ بها، ولا نتكلم فيها، ولا نحاول أن نشغل أنفسنا بها، لأنها تعوقنا عن السير إلى الله ﷻ !!

لكن أحوال الله ﷻ العلية البرزخية لا يدريها إلا ذاته ..

وأسوق إلى ذلك مثالاً ذكره السادة العلماء الأجلاء، فالرسول ﷺ قال:

{ مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا }[٤٩]

لذلك الناس يتهافتون على الموت في المدينة والدفن في البقيع ..

فسُئل بعض الصالحين عن ذلك فقالوا: نفرض أن رجلاً مات ودُفن في البقيع وهو ليس من الصالحين، بل من المذنبين المسرفين الذين لم يتوبوا إلى رب العالمين، فماذا يكون شأنه؟

فقال: يضعه الناس في القبر، وتحمله الملائكة إلى خارج البقيع وتدفنه في أرض أُخرى، ومن الناس من يُدفن في أرض من أرض الله غير البقيع، وتحمله الملائكة وتدفنه في البقيع ... فهذه أمورٌ برزخية ليس لنا شأنٌ بها أبداً، لا يدريها إلا رب البرية ﷻ، وما دُمنا لم نر ولم نطلع، فليس لنا شأنٌ بهذا الأمر، ونترك الأمر لمقلب القلوب الذي بيده الأمر كله وهو الله ﷻ.

لكننا نقتدي بالحُسين في سيرته، ونحاول أن نبحث عن بعض أحواله في التقرب إلى الله، وبعض أخلاقه الكريمة التي كان يتعامل بها مع خلق الله، لعلَّ الله ﷻ ينظر إلينا نظرة رضا، فيرزقنا متابعة هؤلاء الأقوام ويُلحقنا بهم، أو يجعلنا لهم من جُملة الخدام.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٤٩ سنن الترمذي ومسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

السيدة زينب بنت علي

رضي الله عنها [٥٠]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

مولدها

السيدة زينب هي ابنة الإمام علي، وبنت السيدة فاطمة الزهراء، ووُلدت بعد الحسن والحُسين في العام السادس من الهجرة، وعند مولدها أخذوها إلى جدها عليه أفضل الصلاة وأتم السلام فسمَّاها زينب، وزينب يعني المرأة القوية في جسمها، الحكيمة في عقلها، وهذا معناها اللغوي عند العرب.

أدب أهل بيت النبوة

جدها لأمها هو سيدنا رسول الله ﷺ، وجدتها هي السيدة خديجة بنت خُويلد رضي الله عنها، وكانت السيدة فاطمة أصغر بنات النبي وأحبُهن إليه ﷺ، وهي التي بقيت بعد وفاة أخواتها حتى جاء ميعاد رحيل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ورُوي عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ:

{ لَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ دَخَلَتْ فَاطِمَةُ فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَبَكَتْ، ثُمَّ أَكَبَّتْ عَلَيْهِ ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ مِنْ أَعْقَلِ نِسَائِنَا فَإِذَا هِيَ مِنْ النِّسَاءِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ قُلْتُ لَهَا أَرَأَيْتِ حِينَ أَكْبَبْتِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَبَكَيْتِ، ثُمَّ أَكْبَبْتِ عَلَيْهِ فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَضَحِكْتِ، مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَتْ إِنِّي إِذًا لَبَذِرَةٌ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ هَذَا فَبَكَيْتُ،ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي أَسْرَعُ أَهْلِهِ لُحُوقًا بِهِ فَذَاكَ حِينَ ضَحِكْتُ}[٥١]

كانت جالسة بجوار النبي ﷺ في مرض موته، فأشار إليها ﷺ أن تُقبل عليه ليُسر

٥٠ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ١١ من رجب ١٤٤١ هـ ٢٠٢٠/٣/٥م

٥١ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

لها بحديث فبكت، ثم أسَّر إليها بحديث آخر فضحكت واستبشرت، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها حاضرةٌ هذا الحوار، وورد أنها سألتها عندما خرجت: لماذا بكيت ثم ضحكت؟ وما الذي حدَّثك به النبي حتى فعلت ذلك؟ فقالت رضي الله تبارك وتعالى عنها: ما كنتُ لأُفشي سر النبي ﷺ، لأنهن كُنَّ مؤدبات على الأدب العالي الغالي

أهم شيء لأي مسلم أو مسلمة يلتحق بالإسلام أن يعلموه ويهذبوه ويؤدبوه على حفظ الأسرار، وعدم إشاعتها مهما كانت الظروف.

وبعد انتقال النبي ﷺ ووضعه في روضته المباركة بأيام، قالت لها السيدة عائشة: الآن يمكنك إذاعة السر، ماذا قال لكِ النبي حتى بكيت ثم ضحكت، قالت: أخبرني أنه خُيِّر بين الحياة والرفيق الأعلى فاختار الرفيق الأعلى، فعلمت أنه سيموت فبكيت، ثم أخبرني أنني أول أهله لحوقاً به فاستبشرتُ وضحكت، ولذلك ماتت السيدة فاطمة بعد النبي ﷺ بستة أشهر، وكانت أول أهله لحوقاً به.

تربيتها

إذاً السيدة زينب كانت في هذا الوقت تقترب من الخمس سنوات، وما زالت طفلة صغيرة، لكنها تربت في بيت يغرس في نفوس أبنائه وبناته الفضائل الإسلامية، والآداب الربانية، والأحكام القرآنية، فتفقهت في دينها، وكانت الراوية الوحيدة لأحاديث النبي عن طريق أمها وأبيها وأخويها الحسن والحُسين.

وكان سيدنا عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما ابن عم النبي، وهو الذي دعا له النبي وقال:

{ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ }[٥٢]

كان يقول: ((كنا نأخذ حديث آل البيت من عقيلة بني هاشم)) وهو اسمٌ من الأسماء أو الكُنى التي أُضيفت للسيدة زينب رضي الله عنها، فابن عباس مع جلالة قدره في العلم، كان يأخذ منها ويروي عنها الأحاديث التي ترويها عن أبويها وعن أخويها رضي الله تبارك وتعالى عنهم.

وكانت حياة السيدة زينب حياةٌ كلها شدات، وكلها معاناة، وشدات لا يتحملها عتاة البشر وليس امرأة، فعتاة البشر لا يتحملون ما تعرضت له رضي الله تبارك وتعالى عنها.

---

٥٢ مسند أحمد وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما

زواجها وزوجها

بعد أن كبر سنها ووفاها البلوغ تزوجت، وزَوَّجها أبوها من ابن أخيه عبد الله بن جعفر، وسيدنا جعفر كان يُسمى جعفر الطيار، وعبد الله كان أول غلام يُولد للمسلمين بعد هجرتهم إلى بلاد الحبشة، عندما أمرهم النبي ﷺ بعد أن اشتد أذى الكفار أن يهاجروا إلى الحبشة، وكان من أول المهاجرين جعفر بن أبي طالب وزوجته السيدة أسماء بنت عميس رضي الله عنهما.

فأول مولود وُلد للمسلمين في بلاد الحبشة كان عبد الله بن جعفر هذا، يعني وُلد تقريباً قبل الهجرة بعام ولذلك لحق من حياة النبي ﷺ حوالي عشرة أعوام، وكان يكبر السيدة زينب بحوالي خمس سنوات.

أبوه كان يقود المسلمين في غزوة تبوك في بلاد الشام مع الروم، وقطع الروم يده اليمنى فأمسك الراية بيده اليُسرى، فقطعوا يده اليُسرى فأمسك الراية بعضديه يعني الجزئين العلويين من الذراع، وأخذ يقاتل حتى قُتل.

وكان النبي ﷺ من إعجاز الله معه جالساً في ذاك الوقت في مسجده المبارك وحوله أصحابه يصف لهم المعركة وصفاً تفصيلياً كأنهم يرونها، فيقول:

{أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَمَضَى حَتَّى اُسْتُشْهِدَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، وَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لَهُ، وَقَدْ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ يَسْعَى، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَمَضَى حَتَّى اُسْتُشْهِدَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَدَعَا لَهُ، وَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لَهُ، وَقَدْ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَهُوَ يَطِيرُ فِيهَا بِجَنَاحَيْنِ حَيْثُ شَاءَ}[٥٣]

ولذلك سموه جعفر الطيار، وهو أخو الإمام علي ﷺ، ولكنه أكبر من الإمام علي، وابن عم الرسول ﷺ.

عبد الله بن جعفر كانت فيه سجايا وأخلاقٌ كريمة وعظيمة لا تُعد ولا تُحد، وكان يُضرب به المثل في الكرم والجود، حتى أنه كان يجود بكل ما عنده ولا يُبقي لنفسه ولا لأولاده شيئاً، وتكرر ذلك معه عدة مرات، وكان لطيف الحديث حُلو الشمائل فيه كل الصفات الطيبة.

---

٥٣ نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ومسند أحمد والطبراني عن عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه

فتزوجت السيدة زينب من ابن عمها عبد الله بن جعفر، وأنجبت منه خمسة أولاد، ثلاثة رجال وبنتين، وكانت تؤدي رسالتها في دين الله مع قيامها بحقوق زوجها وأولادها، فكان يذهب إليها في بيتها كثيرٌ من نساء المسلمين يتفقهن في الدين، وتعلمهن ما يحتجن إليه من شرع رب العالمين ﷻ.

فتنة مقتل عثمان

تطورت الأمور وحدث ما لا يُحمد عقباه، حيث دخل اليهود وصنعوا فتنة بين المسلمين، فجعلوا المسلمين يذهبون من مصر واليمن والشام إلى المدينة، وقتلوا خليفة المسلمين في ذاك الوقت وهو سيدنا عثمان بن عفان ﷺ وأرضاه، وقد كانت بداية الفتنة التي حلت بالأمة الإسلامية بعد مقتل عثمان.

عثمان كان من المبشرين بالجنة !!

وغزوة تبوك التي تحدثنا عنها عندما ذهب إليها رسول الله ﷺ بعد قتل جعفر وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ليأخذ بثأرهم كان المؤمنين في حالة اقتصادية سيئة، فقام عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه بالتبرع للجيش بألف فرس محملةٌ بكل ما يحتاج إليه المقاتل على ظهرها، وتبرع بأشياء كثيرة حتى قال ﷺ:

{ مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ }[٥٤]

لم يعد عليه شيء، وضمن دخول الجنة لأنه أدَّى ما عليه لله ﷻ.

خلافة الإمام علي

اختار الناس بعد مقتل عثمان الإمام علي بن أبي طالب أبو السيدة زينب لخلافة المسلمين، وكانت هذه بداية معاناة آل بيت النبي، وهم الإمام علي وذريته وأخواته وأبناؤهم وآل النبي أجمعين.

ولذلك يُروى أن الإمام علي مكث في الخلافة حوالي خمس سنين، وأرسل رسالة لأهل الكوفة والذين كان يعتبرهم أنصاره يقول فيها: (ليتني ما عرفتكم، ما رأيت منكم إلا كل شر وضُر) لأن هؤلاء الأقوام تشدقوا بحب آل البيت، ولكن لحظة الجد تجدهم أول المحاربين والمقاتلين لآل البيت، هذه طبيعة هؤلاء الأقوام، ولذلك كان يقول لهم:

---

٥٤ جامع الترمي ومسند أحمد عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه

(يا أهل العراق يا أهل النفاق) !!

لأن هذا كان حالهم.

عندما تولى سيدنا الإمام علي الخلافة، كان معاوية والياً على بلاد الشام، فطلب معاوية – لشيء في نفسه – بقتلة عثمان ليثأر منهم لعثمان، ولم يكن ذلك في يد الإمام علي، ولكنه يريد سبباً للإستقلال ببلاد الشام عن الدولة الإسلامية في حينها، وحدثت حروب لا أطيل الحديث بذكرها، هذه الحروب كلها جعلت الإمام علي ينتقل إلى الكوفة في بلاد العراق، ومعه أولاده، ومعه بني إخوته، ومن جملة الذين انتقلوا معه السيدة زينب وزوجها عبد الله بن جعفر ومعهم أولادهم حتى يكونوا قريبين من ميادين القتال، لأن العراق قريبة من بلاد الشام.

معركة صفين

ظهر في هذا الوقت – وهم آفة العصر الذي نحن فيه – طائفة من الخوارج، ففي معركة صِفين وهي المعركة الرئيسية بين الإمام علي وبين معاوية كان مع معاوية عمرو بن العاص، وكان كما يُوصف بأنه داهية من دواهي العرب، في الفكر والذكاء وحُسن الحلية.

عندما حدثت حربٌ بينه وبين طائفة من الروم محصنين في حصن، ويريد أن يعرف أخبار الحصن من الداخل، تنكر ودخل على أنه رسولٌ من عمرو بن العاص، ولم يفطنوا له إلا عند خروجه، ففر ولم يلحقوا به، أرأيت الذكاء والفطانة وصلت لأي مرحلة!!، يدخل هو بنفسه ليعرف الأخبار ولا يثق في أحد، ولم يكتشفوه إلا في اللحظات الأخيرة.

فأشار عمرو بن العاص على معاوية بحيلة، وهي أن يرفع المصاحف على أسنة الرماح، ومعناها أننا نريد حكم الله بيننا وبينك، والمعركة كانت على وشك أن تنتهي بانتصار الإمام علي، وانكسار جيش الشام الذي يقوده معاوية، لكن الذين مع علي وهم بداية الخوارج قالوا له: لقد رفعوا المصاحف فلا يصح أن نحاربهم ويجب أن نقبل بحُكم الله، فقال لهم: إنها حيلة وإنه عمرو وأنا أعرفه، قالوا له: بل نقبل بحكم الله.

فوضعت الحرب أوزارها، وبمجرد أن وضعت الحرب أوزارها، قالوا له: لِمَ تقبل بحكم الناس في كتاب الله؟! قال: أنتم الذين أشرتم بذلك وأصررتم، ولذلك حيروه

وديروه، فكان يشكو إلى الله ويقول: اللهم إني قد سئمت وسئموني، اللهم أرحني منهم، فانقلبوا عليه وحاربوه وكانت هذه بداية الخوارج، وكانوا حوالي أربعة آلاف.

والإمام علي كان الرسول ﷺ قد أخبره بكل شيء سيحدث له، فكان قبل أي موقعة يقول لهم: سيحدث كذا، فقبل الواقعة قال: ستقاتلون الخوارج، وسيموتون جميعاً ولن يبق منهم إلا تسعة، وهذا ما حدث، فقد قامت المعركة وقُتل الخوارج ولم يبق إلا تسعة على قول الله:

﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ (٤٨النمل)

هم الذين نشروا الفساد في الأمة الإسلامية كلها كما تروهم الآن، ...

وهم من ذرية الخوارج.

مؤامرة قتل الإمام عليّ

من الذي حضر هذه المعارك كلها؟ السيدة زينب رضي الله عنها، فالخوارج بعد ما حدث لهم ما حدث، اجتمعت المجموعة الذين كانوا قد حضروا المعركة وألَّفوا معهم مجموعة أُخرى، وقالوا: نقتل علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص في ليلة واحدة ونريح المسلمين منهم، واتفقوا على ذلك.

واتفقوا على ليلة السابع عشر من رمضان، فقالوا: ومتى نقتلهم؟ قالوا: عند خروجهم لصلاة الفجر، ولم يكن في هذه الأيام حرس ولا غيره.

فالإمام علي ليلة الجمعة وهو خارج لصلاة الفجر طلع عليه عبد الرحمن بن ملجم قاتله الله وضربه بسيفه، ونُقل الإمام علي إلى منزله والدم ينزف منه، وأراد أبناؤه قتل الخارجي، ولكنه رغم شدة علّته قال لهم: انتظروا، فإذا أنا متُّ فاقتلوه ولا تقتلوا أحداً غيره، وإذا عشتُ فسأرى فيه رأيي.

ومعاوية بن أبي سفيان لم يخرج في هذه الليلة، وأناب عنه صاحب الشرطة، فقُتل صاحب الشرطة، أما عمرو بن العاص كان في مصر وأيضاً لم يخرج في هذه الليلة فنجا من القتل.

فرأت السيدة زينب أباها في هذه الحالة، وتولَّى بعد علي ابنه الإمام الحسن، ولكن الإمام الحسن عمل بما أشار به ﷺ:

{ إنَّ ابْني هذا سيِّدٌ، وسَيُصلِحُ اللهُ بِهِ بَينَ فِئَتَينِ عَظِيمَتَينِ مِنَ المُسلِمينَ }[٥٥]

بعد أن ظل الإمام الحسن في الحكم ستة أشهر تفاوض مع معاوية، وقال له: أنا سأترك لك الحكم ولكن بشرط أن لا تورث الحكم لأحد من أولادك من بعدك، ويكون الحكم شورى بين المسلمين، فوافق.

لكن تم الاتفاق مع زوجة الحسن أن تضع له السم، فمات الإمام الحسن سنة خمسين من الهجرة، وكل هذا تراه السيدة زينب رضي الله عنها وأرضاها.

بيعة يزيد

عادوا إلى المدينة، فعقد معاوية البيعة لابنه يزيد بأن يحكم بعده، وطلب من الولاة في الأنصار أن يأخذوا البيعة ليزيد، ويزيد كان مشهوراً بين المسلمين أجمعين بأنه غير سويٍّ في طاعة الله، بل إنه كان يشرب الخمر وغير ذلك، فكيف يكون خليفة؟!.

فجمع والي المدينة كبار المدينة، الحُسين بن علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وغيرهم، وقال لهم: إما البيعة ليزيد وإما السيف، والإسلام لا يرضى بالبيعة بالإكراه، فحاولوا أن يقنعوه ولكن بلا فائدة.

فخرجوا إلى مكة، وفي هذا الوقت أرسل أهل الكوفة إلى الحسين بن علي رسالة مفادها: تعالى إلينا، فهناك مائة ألف سيف معك حتى تقيم الحق، وترد الشيء إلى أصله.

الإمام الحسين لم يجد مكاناً يهرب فيه، ولا يريد أن يبايع مُكرهاً لأنه رجلٌ من الرجال، وسيدنا عبد الله بن عباس كان حكيماً فقال له: لا تطعهم وابق ولا تسافر، وسيدنا عبد الله بن عمر قال له كذلك، ولكنها إرادة الله.

معركة كربلاء

فأخذ أهله ونساءه وسافر.

ولم يكن جيشاً لأن جملة ما كان معه حوالي سبعين، رجال ونساء، وأثناء مسيره قابله الشاعر المشهور الفرزدق، وكان يحب أهل البيت فقال له:

---

٥٥ صحيح البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه

ما رأيك في أهل الكوفة؟

قال: قلوبهم معك وسيوفهم عليك، وفعلاً كانت عبارة دقيقة، يعني يتكلمون جيداً جداً، ولكن قلوبهم معك وسيوفهم عليك.

وكان والي الكوفة في ذاك الحين عبيد الله بن زياد!!

وكان رجلاً قاسي القلب، فجهز جيشاً من أربعة آلاف ليقضي على الحُسين ومن معه، والحسين لم يكن معه جيش، ولكن كان معه أولاده، وأولاد إخوته والنساء، فتقابلوا في كربلاء (كرب وبلاء).

وكربلاء فيها نهر دجلة، فعسكروا على النهر ومنعوهم من الشرب وحاصروهم، فعرض عليهم الحسين ﷺ أن يتركوه أن يرجع إلى المدينة فأبوا، أو يأخذوه إلى يزيد بن معاوية فأبوا، أو يتركوه يذهب إلى ميدان الجهاد ويجاهد في سبيل الله فأبوا، ولم يقبلوا أي شرطٍ من هذه الشروط، ولا بد من الحرب.

هذه حرب غير متكافئة فكيف يحاربهم؟

في هذا الوقت الإمام الحُسين ﷺ وأرضاه كان له أربعة عشر ولد، ماتوا كلهم أمامه واحداً وراء الآخر، ولم يبق غير سيدنا علي زين العابدين، وكان مريضاً مرضاً شديداً بالحمى وكان نائماً في الخيمة.

وأخذ الإمام الحُسين يحارب بالسيفين، حتى تكسرت السيوف، وكانت الطعنات التي فيه أكثر من ثمانين طعنة إلى أن استشهد في يوم العاشر من المحرم.

وكان يعلم أنه سيموت، لأنه دعا أخته السيدة زينب في الصباح وقال لها: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقال لي: يا حُسين عطشوك؟ قلت: نعم، قال: حاصروك؟ قلت: نعم، قال: إن شئت نُصرت عليهم، وإن شئت تُفطر عندنا.

فرأت السيدة زينب هذا المشهد، ورأت هؤلاء غلاظ القلوب يمرون بخيولهم ذهاباً وإياباً على جسده الشريف، فلم يقتلوه فقط، حتى أن هذا العمل لا يعمله أعتى الكفار، مع أنهم كان عندما يحين وقت صلاة الظهر وينوي الحسين الصلاة ومن معه، فكل جيش عبيد الله بن زياد يصلون خلف الحسين، وبعد إنتهاء الصلاة يمسكون بالسيوف ويقاتلوه، أي ناسٍ هؤلاء؟!! وهذا البلاء الذي حلَّ بالمسلمين.

فخرجت السيدة زينب، وكانت أول مرة تخرج من بيتها، لأنها كانت لا تخرج من بيتها إلا لماماً !!، وأخذت تصيح وتنادي بفصاحتها:

يا محمداه يا محمداه، هذا الحسين، وهؤلاء أولادك وذريتك ماتوا من العطش!!

وسمعوا وتأثروا ولم يستجب أحدٌ منهم قط، وساقوهم سبايا !!

والسبايا هم الذين يأخذونهم في ميدان القتال ويُباعوا في الأسواق، وهذا لا ينبغي لمسلم ولا لمسلمة، فساقوهم إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة.

ودخلوا عليه القصر، فدخلت السيدة زينب وكانت هي صاحبة القدوة في هذا الأمر، فأراد أن يُعيرها فقال لها: أرأيتِ ما صنع الله بذويك وأهلك؟

قالت: برزوا إلى مضاجعهم والموت حقٌ عند الله ﷻ.

فكلم علي زين العابدين وكان صغيراً، ما اسمك؟ قال: عليٌ بن الحُسين !

قال: وهل هناك علي بن الحُسين؟ ألم يُقتل؟ لأن سيدنا الحُسين كان يُسمي أكثر من ولد من أولاده باسم علي، علي الأكبر، وعلي الأوسط، وعلي الأصغر ..

فسكت الغلام، فأمر بقتله، فاحتضنته السيدة زينب رضي الله عنها، وقالت له: إن كنت مسلماً فاقتلني معه إن أردت قتله، فتركه، وأرسلهم على هذه الهيئة إلى يزيد بن معاوية في دمشق.

موكب لم يسمع التاريخ بمثله، يتقدمهم رأس الحسين لأنهم قطعوا رأسه، ولا بد أن يذهبوا برأسه إلى يزيد، ثم نساء آل بيت النبي، لأنه لم يعد غير النساء، والولد الباقي الوحيد هو علي زين العابدين.

ودخلوا على يزيد، والسيدة زينب كان لها أخت بنت الإمام علي واسمها فاطمة، والسيدة زينب وأختها فاطمة كانتا تتميزان بالجمال، جمال الخلقة، وجمال الخُلق، وجمال الطبع، وقل ما شئت.

فأحد الجالسين مع يزيد من أهل الشام، ظن أن هؤلاء سبايا من المعركة، فنظر إلى فاطمة بنت الإمام علي وقال: يا أمير المؤمنين اعطني هذه الفتاة – يعني تكون ملكاً

لي – فخافت البنت وأمسكت بأختها السيدة زينب، فقالت السيدة زينب: ليس لك ولا له هذا الأمر، فاغتاظ يزيد من الكلمة، فقال لها: بل لي هذا الأمر، وأستطيع أن أفعل ذلك إن شئت، قالت: لو فعلت ذلك كفرت وخرجت من ملة الإسلام !

قال: الذي كفر أبوكِ وأخويكِ، قالت: أنا على دين أبويا وأخوايا وجدي، ولولاهم ما كنت مسلماً أنت ولا قومك.

كانت في غاية الشجاعة في هذا الموقف العظيم، فيزيد تأثر وأمر بأن يرجعوا إلى المدينة المنورة.

عودتها إلى المدينة

جاءوا إلى المدينة المنورة، والناس كلهم كانوا متأثرين بالطريقة التي مات بها الإمام الحُسين وقومه رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، لأنها طريقة غير مقبولة بالكلية حتى من الكافرين، فالرجل خيركم بين ثلاثة أشياء، فاختاروا حتى ولو واحدة منهن، لكن لهم قلوبٌ أشد قسوة من الحجارة والعياذ بالله تبارك وتعالى..

ولذلك عندما دخل الكوفة أخذ نساء أهل الكوفة يصيحون ويبكون والرجال كذلك، فسيدنا علي زين العابدين كان لا يزال ضعيفاً فقال:

ماذا تصنعون؟ ألستم الذين قتلتمونا؟!.

فقابلهم أهل المدينة بحزن شديد ووضع يليق بآل بيت النبي ﷺ، فلما وصلت السيدة زينب وكما قلنا كانت شجاعة ولا تخشى في الله لومة لائم، والناس يذهبون إليها ليواسوها ويعزوها، فوالي المدينة أرسل ليزيد وقال له: لن يستقر الحكم لنا في المدينة إلا إذا خرجت زينب من المدينة، فقال له: خَيِّرها تختار أي مكان وتذهب إليه، فكان من فضل الله على أهل مصر أنها اختارت مصر.

خروجها إلى مصر

وصلها أن أهل مصر يحبون أهل البيت ويحبون النبي ﷺ، وأنهم قومٌ كرام السجايا، فقالت له: سأذهب إلى مصر ! .. وأخذت معها أولاد أخواتها كلهم، لأن أولادها الذكور ماتوا كلهم أمامها في كربلاء أيضاً، فكان لها ثلاثة أولاد ذكور ماتوا كلهم أمامها في كربلاء مع سيدنا الحُسين وأولاده.

فجاء آل البيت جميعاً إلى مصر، وكان من يحكم مصر في هذا الوقت صحابي من صحابة رسول الله ﷺ، واسمه مسلمة بن مُخَلَّد، وكان رجلاً صالحاً، فلما سمع بمجيئهم خرج لاستقبالهم عند بلبيس، وبلبيس كانت هي الطريق للقادم من غزة ثم العريش ثم الفسطاط وهي عاصمة الدولة المصرية، وهي القاهرة حالياً.

وأقامها في بيته، فجعل لها مكاناً مخصوصاً في بيته أقامت فيه، وتفرغت لطاعة الله وعبادة الله ﷻ.

رئيسة الديوان

وكان لكل والي مجلس من الأعيان يسمى الديوان يستشيرهم في الأمور المهمة، فالتماساً لبركة السيدة زينب كان يطلب منها أن تحضر المجلس ولكن من وراء ستار، وتشير عليهم بالرأي الذي فيه الصواب، ولذلك يسمونها رئيسة الديوان، واسمها صاحبة الشورى لأنهم كانوا يستشيرونها في الأمور المهمة.

بعض الصوفية هداهم الله يؤلفون روايات وينسجونها وليس لها أساس – وهذا الكلام مكتوب في الكتب ويحتاج للإزالة – فيقولون: هناك ديوان للصالحين، وهذا الديوان يُعقد في كل أسبوع في غار حراء، ويحضره حضرة النبي ﷺ، ويجتمع فيه الأولياء كلهم، ورئيسة هذا الديوان السيدة زينب، فهل هذا الكلام يصدقه العقل؟ ولنفرض أن هذا الديوان موجود، فهل السيدة زينب ترأس مجلس فيه حضرة النبي؟! أو تكون رئيسة مجلس فيه سيدنا الحُسين؟! ولكن هذه خرافات.

ولكنها كانت رئيسة الديوان الذي كان يعقده الوالي في بيته، وهذا الديوان كان لكبار الدولة ليستشيرهم في الأمور المهمة، وكان تحضر من خلف ستارة، ويطلبون منها أن تُدلي برأيها، لأنها كانت معروفة بالحكمة ورجاحة الفكر والعقل، فهذا ديوان السيدة زينب.

أما الديوان الآخر الذي يتكلمون عنه، وتجد كل أصحاب الموالد يقولون أن الديوان يُعقد كل ليلة جمعة، ويصدر أحكام، ويحكم العالم كله، فيقول: هذه الدولة ستنتصر، وهذه الدولة ستنهزم، فمن أين جاءوا بهذا الكلام؟!! هذه خرافات وخزعبلات ونحن لا نقبلها بالكلية، ونحاول أن نرشد الناس ولكن بالحكمة ! وطبعاً أصحاب الموالد لا تستطيع إقناعهم .. ولكننا نرشد الناس العلماء الحكماء، حتى يفهموا الحقيقة في هذا المجال.

وفاتها

عاشت السيدة زينب في هذا البيت حوالي سنة.

ثم جاء أجلها ...

فدفنت في غرفتها في بيت الوالي الذي كانت تتعبد إلى الله تعالى فيه.

وبيت الوالي هو الذي أصبح مسجدها الموجود الآن وهو مسجد السيدة زينب رضي الله تبارك وتعالى عنها.

وأين زوجها؟ تركته في المدينة ..

لأن الحكم كان شديداً، فحكموا أن يفرقوا بينها وبينه ...

يعني لا يذهب معها زوجها، وهذه أيضاً كانت شدة شديدة تعرضت لها في حياتها، أن زوجها يكون في المدينة، وهي هنا وحدها.

عقيلة بني هاشم

السيدة زينب كانوا يسمونها عقيلة بني هاشم، ولماذا هذا الإسم؟

لأنها بعد الحسن والحُسين كانت الملجأ لآل البيت في الإستشارات، فكانوا يذهبون إليها يستشيرونها في كل الأمور الهامة.

وكانوا يسمونها بأُم العواجيز، لأن بيتها كان مليئ بكبار السن العجزة والمرضى لتطعمهم، في الفترة التي قضتها في مصر.

توفت في الخامس عشر من رجب سنة احدى وستون من الهجرة، ولذلك يعقدون مولدها ليكون في شهر رجب في ميعاد الوفاة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بها وبالصالحين أجمعين، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١٠ الإمام علي زين العابدين

رضي الله عنه[٥٦]

في الحقيقة أن سيدنا على زين العابدين قدوة طيبة وعظيمة، ومثالٌ لمن أراد أن يكون من كُمَّل الصالحين، ومن أئمة المصطفين الأخيار.

آخر موقعة للمسلمين في بلاد فارس، كان ملك الفُرس في وقتها اسمه (يُزدجرد) وكان آخر ملك من ملوك الفُرس وقُتل في هذه الموقعة، وكان له بنات ثلاثة وأُسرن، وكُنَّ في غاية الجمال كبنات الملوك.

واحتار سيدنا عمر ومن حوله ماذا يفعلوا بهن؟

فسيدنا الإمام علي بن أبي طالب ﷺ قال: يُقومَّن، يعني نقدر ثمنهن، ويُدفع ثمنهن ويتحررن ويتزوجهن أحراراً، وهذا تكريم لهن.

إحداهن كان اسمها سُلافة، تزوجها سيدنا الحُسين، وهي التي أنجبت سيدنا علي زين العابدين المتبقي من ذرية سيدنا الإمام الحُسين.

والثانية تزوجها سيدنا عبد الله بن عمر، وأنجبت سالم بن عبد الله بن عمر، وكان من خيار العلماء العاملين والأولياء والصالحين.

والثالثة تزوجت سيدنا محمد بن أبي بكر وأنجبت القاسم، وكان من أكابر علماء المدينة في زمانه، والذي أشرف على تربيته السيدة عائشة عمته رضي الله عنها وأرضاها، وكان الثلاثة أولاد خالة.

فلما ذهب الحُسين ومن معه إلى معركة كربلاء كان علي زين العابدين مريضاً فلم يشترك في المعركة لمرضه الشديد، فقد كان عنده حُمَّى شديدة.

فبعد أن أجهزوا على أبناء الحُسين وكثير من أبناء الحسن، قتلوا سيدنا الحُسين، وأصرُّوا على قتل سيدنا علي زين العابدين، لكن السيدة زينب رضي الله عنها احتضنته وقالت: إن كنتم لا بد قاتليه فاقتلوني معه، فتركوه، فهو الوحيد الذي نجا من القتل، ومنه ذرية الإمام الحُسين كلها إلى يوم القيامة.

---

٥٦ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ٢٣ من صفر ١٤٤٠ هـ ٢٠١٨/١١/١م

إخلاص العمل لله

سيدنا علي زين العابدين ﷺ وأرضاه كان مثالاً للشاب الصالح الذي نشأ في طاعة الله، وكان مُقبلاً على طاعة ربه، ولا يغفُل عن طاعة الله طرفة عين ولا أقل، وهو الذي أسَّس العبادة الخالصة لوجه الله، وقال: (لا تعبد الله لنيل عطاء، فتكون كالأجير السوء، لو لم يأخذ الأجرة لم يعمل، ولا تعبد الله خوفاً من ناره فتكون كالعبد السوء، لو لم يخف مولاه لم يُطعه، واعبد الله عبادة الأحرار وهي أن تعبده طلباً لوجهه الكريم).

فوضع الأساس الأول للعبادة الخالصة، لذلك كانت عبادته كلها لوجه الله ﷻ، فكانت عبادته تتميَّز بالإخلاص، لا يطلع على عمله إلا خواص الخواص، لأنه يعمل لينال رضا مولاه تبارك وتعالى.

السجَّاد

وكان يُسمَّى السجَّاد، سُئل ابنه محمد الباقر ﷺ: لم سُمي أبوك بالسجاد؟ فقال: لأنه لم يقرأ آية في كتاب الله فيها سجدة إلا وسجد لله، ولم يأته خيرٌ إلا وسجد لله، ولم يُدفع عنه شرٌ إلا وسجد لله، ولم يستجب الله له دعاء إلا وسجد لله!!.

كلما حدث له خير أو يُكفى من شر كان يسجد لله شكراً لله، لأن السجود هو موطن القُرب: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ (١٩العلق) وقال ﷻ:

{ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ }[٥٧]

وقال ﷺ:

{ إِذَا سَجَدْتُمْ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ قَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ }[٥٨]

يعني جديرٌ أن يستجيب.

فسُمي السجَّاد لأنه يُكثر السجود لله في كل أحواله التي تنتابه في الدنيا توجهاً إلى الله ﷻ.

وهذا يُعطينا أنه كان لا يشهد فاعلاً إلا الله ﷻ، ويتوجه إليه بالشكر في السراء والضراء وكل أمر من الأمور يحدث له في دنياه.

---

٥٧ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

٥٨ سنن البيهقي والنسائي عن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما

زين العابدين

وسُمي بزين العابدين لأنه – كما قلت – كانت عبادته خالصة لله، ولا يرجو من ورائها إلا وجه مولاه تبارك وتعالى.

هذا الرجل كان حريصاً على قيام الليل وصيام النهار، حتى أنه سُئلت خادمته عن حاله مع الله، فقالت للسائل: أأُطنب – يعني أوسع في الإجابة – أم أوجز؟ فقال: أوجزي، فقالت: ما فُرش له فراشٌ في الليل قط، وما أكل طعاماً بالنهار قط.

ومعنى ذلك أنه قائم الليل على الدوام، وصائم النهار على الدوام، فحتى الخادمة من مرافقتها له أصبحت حكيمة، فنطقت بألفاظ حكيمة رضي الله عنهم أجمعين.

إقباله على العلم

فكان قائم الليل، صائم النهار، ومع ذلك كان مقبلاً على العلم ويرى أن العلم أُسُّ الفرائض، حتى رُوي أنه كان يتسابق إلى مساجد العلماء في المسجد النبوي، ويتخطَّى الصفوف حتى يجلس بجوار العالم، فقيل له: يا ابن الحُسين أنت في غنىً عن ذلك، قال: ما عُبد الله تبارك وتعالى بخيرٍ من الفقه في الدين، يعني أفضل العبادة الفقه في الدين، ولذلك قال ﷺ:

{ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ }[٥٩]

فكان يتسابق إلى العلماء، وكان أيضاً يُكرم من يأتيه من طلاب العلم لتلقِّي العلم منه، ويقول لهم:

(طالب العلم تُسبِّحُ كل أرض تحت قدمه إلى الأرض السابعة) حتى يُشجعهم على طلب العلم، فكان يتلقَّى العلم، ويُلقِّن العلم رضي الله تبارك وتعالى عنه.

المُحدِّث

ولم ينس وهو في ذلك أن يجمع أحاديث رسول الله ﷺ، حتى أن أول من دوَّن الحديث النبوي في عصر سيدنا عمر بن عبد العزيز الإمام الزُهري، والإمام الزُهري تلقَّى الحديث من الإمام علي زين العابدين، ولذلك يقول المحدثون: خير سندٍ في الحديث الزُهري عن علي زين العابدين.

---

٥٩ مسند البزار والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

يعني كان له باع طويل في الحديث الشريف الذي سمعه من السيدة عائشة، ومن سيدنا الحُسين، ومن سيدنا الحسن، ومن الصحابة الذين كانوا في زمانه، فكان يجتهد في جمع الأحاديث رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين.

المحسن

ودخل إلى الله ﷻ من بابٍ لا يستطيع وُلُوجه ولا دخوله إلا خيار أحباب الله ﷻ، لأن باب العبادة قد يستطيع دخوله كثيرٌ من الناس، لأن العبادة سهلة على النفس، لكن أشد الأبواب مشقة على النفس باب الصدقة وإخراج المال.

لا يستطيع الجود إلا من قلبه خرجت منه الدنيا، وتعلَّق بالواحد المعبود ﷻ، وهذا الدليل الأعظم على محبة العبد لمولاه.

كثيرٌ من العُبَّاد قائمين الليل صائمين النهار لكنهم شحاح وبُخلاء، وهؤلاء لا يُحصِّلون من فضل الله قليلاً ولا كثيراً، فقد قيل: ((أقبح القبيح صوفي شحيح)) لا بد للصوفي أن يجود بما في يده، وقال الله تعالى في حديثه القدسي وهو يُغني الكل:

{ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ }[٦٠]

هل هناك حديثٌ أوضح من ذلك؟!! فإذا أردت أن يُعطيك الله فأعط غيرك، قال ﷺ:

{ مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا }[٦١]

ودعاء الملائكة مستجاب، وكما اتفقنا من قبل وقلنا: أن القرآن لم يجعل عُذراً للإنسان في الإنفاق، لأن الله قال:

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ (﴿١٣٤﴾آل عمران)

فهل هناك عُذر بعد ذلك؟! لا، فجُد بما عندك، قال ﷺ:

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ }[٦٢]

---

٦٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
٦١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
٦٢ البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه

يعني نصف تمرة، المهم أن الإنسان يُعوِّد نفسه على العطاء، حتى يدخل في دائرة المعطي تبارك وتعالى.

فكان ﷺ وأرضاه يجود بكل بما عنده، حتى قيل أنه قاسم مولاه في ماله مرتين، يعني يأتي على ماله ويُقسِّمه نصفين، نصفٌ يُخرجه لله، ونصفُه لضروریاته هو وأهله.

ورُوي أنه عندما تُوفي وأرادوا تغسيله وجدوا له (كالُّو) كبير في ظهره كأنه كان يعمل عتَّالاً، مع أنه كان مرفهاً، فتعجبوا، وبعد مرور مدة من الزمن انكشفت مائة عائلة في المدينة المنورة، ولا يجدون ما يسد رمقهم من الطعام، فسألوهم: كيف كنتم تعيشون؟! قالوا: كان يأتينا رجلٌ في الليل يحمل جوالاً فيه دقيق، ووعاء فيه سمن، وصُرَّة فيها مال، ويطرق الباب، وعندما نقول: من ونخرج، نجد هذه الأشياء، ولا نجد هذا الرجل.

من هذا الرجل؟

سيدنا علي زين العابدين.

ما الذي كشف أمره؟

أحد المعاصرين المباركين له وهو محمد بن الزُبير ﷺ، رآه في ليلة شاتية يحمل الدقيق على ظهره، والسمن في يد، والصُرة في يد، والبرد كان شديداً، فقال: يا ابن رسول الله ﷺ دع غلامي يحمل عنك، قال: لا، قال: أحمل أنا عنك، قال: لا، قال: ولِمْ؟ قال: لأني أعُدُّ هذا ليوم شديد، فظنَّ أن هذا اليوم الشديد في الدنيا، وأنه سيضعهم في مخزن، فقال له: هو يوم القيامة!، فكانت القيامة منه على بال على الدوام.

الحليم

الذي يُظهر جمال هذا الولي حُسن تخلقه بأخلاق النبي، فكان مثالاً عظيماً لخُلُق الحلم، والحلم خُلُق الأنبياء: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤التوبة).

متى تعرف أنك سُجلت في ديوان الأولياء واكتملت ولايتك؟

إذا وجدت نفسك حليماً في المواقف التي تستدعي شدة الغضب، فإذا كنت لا تزال تغضب وتثور، فأنت لا زلت في حاجة لأن تجاهد نفسك، وتحاول أن تتلقَّى النور من أهل النور لتتَّصف بالوصف الكريم الجميل الذي كان سيدنا رسول الله يتَّصف به، وكذلك أنبياء الله وأحباب الله الصادقين الصالحين.

جماعة من العرب وهم قبيلة قيس جاءوا في عام الفتح لزيارة سيدنا رسول الله ﷺ، فلما وصلوا على باب المدينة أسرعوا كلهم للقاء رسول الله، إلا كبيرهم وحكيمهم وكان اسمه الأشجِّ، لأنه وهو صغير وقع فحدث له شجّ في رأسه، فقال لهم:

لن أدخل هكذا، قالوا: لماذا؟

قال: أنا قد جهزت ثوبين جميلين، فسأغتسل أولاً ثم ألبس الثوبين وبعد ذلك أذهب لأزور حضرة النبي!!.

لكنهم أسرعوا إلى النبي ﷺ، فسألهم النبي عن الأشجّ، لأنه يريد أن يلفت نظرهم – ليس للأشج – ولكن للصفات الكريمة التي في هذا الرجل، فقالوا:

إنه يفعل كذا وكذا، فلما جاء الأشج قال ﷺ له:

{ إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ }[٦٣]

يعني حليم وتتأنَّ ..

فكان الإمام علي زين العابدين مثالاً أعظم لا يستطيع مضاهاته ولا مماثلته إلا الأقلين في خُلُق الحلم، فقد حدث ذات مرة أن جارية له كانت تصبُّ عليه الماء، فسقط الإبريق في الطست، وتناثر الماء على ملابسه، والمياه التي في الطست ..غير نظيفة، ... فقالت:

﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ (١٣٤آل عمران) قال: كظمتُ غيظي، قالت:

﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ﴾ (١٣٤آل عمران) قال: عفوت عنك، قالت:

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (١٣٤آل عمران) قال:

اذهبي فأنت حُرة لوجه الله تبارك وتعالى !

فمن يفعل ذلك غير هؤلاء العلماء.

وحدث نقاش بينه وبين ابن عمه الحسن بن الحسن، وبعد أن انتهى النقاش

---

٦٣ سنن أبي داود والبيهقي عن زارع بن عامر رضي الله عنه

وانصرفا، ذهب إلى بيت الحسن بن الحسن، وقال:

يا ابن عم إن كان فيَّ ما تقول، فقد غفرتُ لك ..

وإن كان ليس فيَّ ما تقول فقد عفوت عنك!!.

ما هذه الأخلاق؟!

وأين هذا الكلام؟!

كان يؤدب الناس بمثل هذه الأخلاق.

رجل استأجره قوم ليؤذيه، فجعل يمشي وراءه ويسُبه وهو لا يلتفت، فجاء الرجل إليه وهزَّه وقال: إياك أعني، قال: وأنا عنك أُغضي!!

يعني أنا سمعتك ولكنني أغضي عنك:

﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (١٩٩الأعراف).

هذه أخلاق النبوة، ولن يكون عليها إلا خاصة أهل الفُتوة ..

لكن أهل النفوس صعب عليهم هذه الأمور، فهي تحتاج إلى جهاد شديد، جهاد الصديقين والأفراد المرادين لرب العالمين ﷻ.

ورجل آخر مشى خلفه يشتم فيه:

فقال: يا أخي إن أمامي عقبةً كئود وهي النجاة يوم القيامة، فإن نجوتُ منها فأسامحك في كل ما قلته، وإن لم أنجُو منها فأنا أستحق كل ما قلت!، فكان يُضرب به ﷺ المثل في هذا الحلم العظيم.

برّه بأمِّه

ومن أخلاقه الكريمة التي يحتاجها شبابنا برِّه الشديد بأُمه، حتى أنه من شدة برِّه بأمه، كان يُحضر لها الطعام ويرفض أن يأكل من الطبق الذي تأكل منه، فقيل له: لم لا تأكل معها؟

فقال: أخاف أن تشتهي عينها شيئاً في الطبق فأسبقها إليه فأكون قد عققتُها!، فأين نحن في هذا الزمن من هذا الحال؟!!

نحن نخطف الشيء من يديها، وهم مسامحون، لكنه أدب عالي كان عليه ﷺ وأرضاه في بره لأمه.

كان منشغلاً بربه بالكلية ..

ولم يفتح لنفسه باب السياسة، ولا باب المناوشات والفتن، واشتغل بالله تبارك وتعالى طوال حياته.

وعندما أراد الشيعة في العراق أن يستفزوه، ويحرضوه ليخرج بزعم أن يأثر لأبيه الحُسين ﷺ، فدخلوا عليه ووقعوا في الصحابة – وهي آفة الشيعة – فقال لهم:

هل أنتم من الذين قال الله فيهم:

﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾ (٨الحشر)؟

قالوا: لا، قال: هل أنتم من الذين قال الله فيهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾ (٩الحشر)؟

قالوا: لا ! وهو يقصد المهاجرين والأنصار، قال:

وأنا أشهد أنكم لستم من الآية التي تقول:

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ (١٠الحشر)

قوموا من عندي غضب الله عليكم ولعنكم ولا تعودوا إليَّ أبداً !!

وطردهم شر طردة !!

لأنهم يريدون أن يقعوا في الصحابيين الجليلين أبو بكر وعمر، .... وفي زوجات النبي وفي غيرهم.

فظلَّ وفياً على عهده حتى لقي الله ﷻ على هذا النهج الكريم.

سيدنا زيد بن علي زين العابدين

رضي الله عنه[٦٤]

باديء ذي بدء ألفت النظر إلى أن سيدنا على زين العابدين نفسه ابن الإمام الحُسين مات في المدينة المنورة ومدفونٌ بها، أما المقام الموجود هنا في مصر فهو مقام ابنه زيد بن علي زين العابدين، لكن الناس كانوا طيبين فأقاموا ضريحين، ضريح لزيد، وضريح لسيدنا علي، لكن الموجود الآن ضريح واحد.

سيدنا علي زين العابدين هو الوحيد الذي نجا من القتل في معركة كربلاء حيث كان مريضاً، وكل أولاد الحُسين توفوا في المعركة أمام أبوهم، فلما تزوج سيدنا علي زين العابدين أنجب أربعة أولاد، فبعض الناصحين له من حوله قالوا له: أنت لا بد أن تتزوج أكثر لتزيد من عدد أولادك لتعوض من ماتوا من إخوتك، وتحفظ نسل الإمام الحُسين، فقال لهم: كيف أتزوج؟ فقالوا له: تسرَّى، يعني اشتري الإماء، ويلدن، والإسلام فيه حُكمٌ في غاية الجمال، أن الأَمَةَ إذا حملت من سيدها وولدت له فلا بد من عتقها، والإسلام شجَّع على هذا الأمر، فكان من هؤلاء السراري ابنه زيد.

سيدنا زيد بن علي زين العابدين ما الذي جاء به إلى مصر؟ كان قد فتح الفتاح عليه بالعلوم الوهبية، والأسرار القرآنية، مع أنه كان شاباً في مقتبل العمر، وكان في غاية من الطلاقة في اللسان والبلاغة في المنطق.

وحدث له موقف مع والي المدينة:

وأهانه والي المدينة، فذهب إلى الخليفة الأموي في ذلك الوقت في دمشق وكان هشام بن عبد الملك، ولكن الخليفة زاد في إهانته، فتركه حتى أنهى كل أمور الناس، مع أنه من المفروض أن يبدأ به أولاً، لأنه من آل بيت النبي، وبعد أن مشى الناس كلهم جاء به وكلَّمه بكلام في غاية الإهانة!!، وقال له: لم أتيت إلى هنا؟!

أنسيت أنك ابن أَمَة؟!!، الملوك كانوا جبابرة، فقال: إذا كنت أنا ابن أَمَة، فإسماعيل كانت أُمُّه هاجر أَمَةً لسارة!، وكان فصيح اللسان.

---

٦٤ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ٢٣ من صفر ١٤٤٠ هـ ٢٠١٨/١١/١م

لكن الخليفة أسمعه من الكلام ما جعله يتأثر تأثراً بالغاً، فخرج من عنده عاقداً العزم على أن يقوم بعصيانه وبثورةً عليه، وهدفه الأصلي ليرُد الخلافة لمن يستحقها، وهذه كانت وجهة نظره السديدة.

صادف هذا الأمر هوى أهل الكوفة، الذين دعوا جده الحُسين وخانوه!، وهذه طبيعتهم، فقد دعوا الحسين وأرسلوا له وقالوا: أن هناك مائة ألف سيف في انتظارك، فأرسل سيدنا الحُسين ابن عمه مسلم بن عُقيل ليستوثق من ذلك، فقابلوه وصلى خلفه صلاة المغرب عشرون ألفاً، فأرسل إلى سيدنا الحسين رسالة وقال له: الناس هنا في انتظارك، كما ذكروا له.

بعد أن أرسل مسلم بن عقيل الرسالة ووصلت الحُسين أخذ أهل بيته وكانوا سبعين رجلاً، وخرج.

وفي الطريق قابل الشاعر الفرزدق وكان يُحب آل البيت، فقال له: من أين أتيت؟ قال: من العراق، قال له: ما حالهم؟ قال: قلوبهم معك، وسيوفهم عليك، وهذا خير تعبير عن هؤلاء الأقوام، صحيح أنهم يحبوك ولكنهم سيحاربوك لأجل الدنيا.

وفي اليوم التالي وجد مسلم بن عُقيل المسجد مملوءًا على نهايته، وصلى بهم، وكان الوالي قد سمع بهذا التجمع في المسجد فأرسل قواته، فبمجرد أن قال مسلم بن عقيل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لم يجد أحداً خلفه، وكل من في المسجد خرج!

فعرف أن الأمر فيه خدعة، ولم يتمكن من إرسال رسالة لسيدنا الحُسين، وهو أيضاً كان في خطر.

فأهل الكوفة أغروا سيدنا زيد بن علي زين العابدين أن يذهب إليهم وهم سيساندوه ويناصروه، فنصحه المقربون وقالوا له: سيفعلون معك ما فعلوه مع جدك، لأن هؤلاء القوم ليس لهم عهد، لكنه خُدع بكلامهم وذهب !!

وفعلاً اجتمع حوله حوالي أربعين ألفاً، إلى أن سمعت القوات الأموية والجيش الأموي وجاءوا، فبحث حوله فلم يجد إلا مائة وخمسون رجلاً!!، وفرَّ الباقون!.

وكانت النتيجة أنه قُتل، وبعد أن قُتل كان أولاده معه، ويعرفون أن الحكام جبابرة، فدفنوه خُفية في مكان حتى لا يعرفه أحد ويمثِّلوا به.

لكن عن طريق الجواسيس والمال عرفوا مكانه وأخرجوه، وحزُّوا رأسه، وأرسلوه إلى هشام بن عبد الملك، وصلبوا الجسم بمسامير في خشبة وهو عاري، وصمم هشام بن عبد الملك أن يدور به على العالم الإسلامي بهذه الكيفية!، وكان من إكرام الله لهذا الرجل الصالح أن الله ﷻ أرسل عنكبوتاً فنسجت على عورته حتى لا يراها أحد، وكلما وجَّهوا الخشبة التي كان عليها إلى غير القبلة، يجدون الخشبة تتجه إلى القبلة.

فبعد ذلك اضطر هشام عندما وجد الضغوط، فقال لهم: أحرقوا الجسم حتى يصير رماداً وارموه في الفرات، والرأس نجعله يدور في البلاد.

فجاءت الرأس ووصلت مصر، وأرادوا أن يعلقوها في مكان عام ليراها الناس، لكن أهل مصر لأنهم يحبون آل البيت جماعة منهم سرقوا الرأس، ودفنوها في الموضع التي فيه الآن، وظلت في هذا الموضع حتى جاءت الدولة الفاطمية فبنوا في هذا الموضع ضريحاً ومسجداً وسموه باسم سيدنا علي زين العابدين، حتى أن الحي كله سُمِّي بالإسم، ومع التحريف صار اسمه (حي زينهم) نسبة إلى زين العابدين.

فالموجود عندنا في القاهرة هو سيدنا زيد بن علي زين العابدين، وهو صاحب المذهب الزيدي الذي انتشر في بلاد اليمن.

وهو كان أقرب المذاهب الشيعية إلى أهل السُنَّة حتى وقت قريب، إلى أن استولى عليه الإيرانيون وحولوهم إلى المذهب الإثنى عشر الذي هم عليه الآن.

والفرق بين المذهب الزيدي والمذاهب الأُخرى أنه يرفض سبُّ الصحابة.

ولذلك كان سبب تخلي عدد كبير من أهل العراق عنه أنهم سألوه: ما رأيك في أبو بكر وعمر؟

فقال: خليفتا رسول الله ﷺ، فلم يعجبهم وتركوه !!

فقال لهم: أنتم الرافضة، وسماهم الروافض، لأنهم يرفضون تبجيل وتعظيم الصحابة المباركين وزوجات النبي أمهات المؤمنين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١٠. السيدة نفيسة

رضي الله عنها

السيدة نفيسة ابنة الإمام الحسن الأنور بن زيد الأبلج ابن الإمام الحسن ابن الإمام على بن أبي طالب، ولدت في مكة المكرمة سنة ١٤٥هـ في الحادي عشر من ربيع الأول، فرحت بها أمها زينب بنت الحسن واستبشر بها أبوها، و يقال أن أبوها كان يأخذها وهى صغيرة لزياره جدهم المصطفى ﷺ ويقول إني راض على ابنتى نفيسة، فجاءه الرسول ﷺ في المنام وقال له: إني راض على ابنتك نفيسة برضائك عليها وإن الله راض عنها برضائي عليها.

نشأت في مكة حتى صحبها أبوها مع أمها إلى المدينة المنورة؛ فكانت تذهب إلى المسجد النبوي وتسمع إلى شيوخه، وتتلقى الحديث والفقه من علمائه، حتى لقبها الناس بلقب (نفيسة العلم) قبل أن تصل لسن الزواج، حتى بلغت مبلغ النساء، وعاشت في المدينة لا تفارق الحرم النبوي، قارئة ذاكرة وحجت أكثر من ثلاثين حجة أكثرها ماشية.

زواج السيدة نفيسة

لما بلغت السيدة نفيسة سن الزواج تقدَّم إليها كثير من الخُطَّاب من السلالة النبوية الشريفة من بنى الحسن والحسين رضى الله عنهما، كما تقدَّم إلى خطبتها الكثير من أشراف قريش وغيرهم لما عرفوه من كمالها وصلاحها، فكان أبوها يأبى إجابة طلبهم ويردهم رداً جميلاً.

حتى جاء إسحاق بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على، وكان يدعى (إسحاق المؤتمن) يخطبها من أبيها، فصمت ولم يرد جواباً، فقام إسحاق من عنده وتوجه إلى الحجرة النبوية الشريفة، وخاطب جده المصطفى صلى الله عله وسلم بعد الصلاة والسلام عليه، وشكى إليه همومه ورغبته في زواج السيدة نفيسة لدينها وعبادتها، ثم خرج.

فرأى والدها في المنام في تلك الليلة رسول الله ﷺ وهو يقول له: يا حسن، زوّج نفيسة من إسحاق المؤتمن، فزوَّجه إياها في بيت أبيه في شهر رجب سنة ١٦١هـ.

وكان إسحاق مشهود له بالصلاح، وقد أخذ عن أبيه الكثير من علومه وآدابه وأخلاقه، حتى أصبح له شأن ومقام، وبزواجهما أنجبت لإسحاق ولدًا وبنتًا هما القاسم وأم كلثوم.

السيدة نفيسة في مصر

لم تكشف كتب التاريخ الدوافع التي أدت بقدوم السيدة نفيسة مع زوجها إلى مصر، ما اذا كانت دوافع سياسية ناتجة من الضغوط التي كان يواجهها آل البيت من قبل القوى الحاكمة، وقد كان والد السيدة نفيسة والياً على المدينة من قِبَل أبي جعفر المنصور ثم غضب عليه وعزله ومن ثم رحلت معه وزوجها إلى مصر، أم أن هناك دوافع أخرى.

وقد أجمع المؤرخون على أنها وصلت مصر سواء مع زوجها أو أبيها أو كلاهما، ويحكى أن أهالي مصر شُغفوا حبّاً بالسيدة نفيسة، واستعدوا لاستقبالها عندما علموا أنها في الطريق إلى مصر، فخرج لاستقبالها أهالي الفسطاط – القاهرة – وأعيانها في العريش شمال مصر الشرقي.

وكانت تدعو الله قائلة: إلهي يسر لي زيارة قبر خليلك إبراهيم، فاستجاب الله لها، وزارت هي وزوجها قبر الخليل.

ثم رحلا إلى مصر في رمضان عام ١٩٣ هجرية في عهد هارون الرشيد، وفي العريش بأقصى شمال مصر الشرقي استقبلها أهل مصر بالتكبير والتهليل وخرجت الهوادج والخيول تحوطها وزوجها، حتى نزلا بدار كبير التجار وقتها جمال الدين عبد الله الجصاص.

وصلت السيدة نفيسة إلى القاهرة يوم السبت ٢٦ من رمضان ١٩٣ هجرية قبل أن يأتي إليها الإمام الشافعي بخمس سنوات، ونزلت بدار سيدة من المصريين تُدعى أم هانئ، وكانت دارًا واسعة، فأخذ يقبل عليها الناس يلتمسون منها العلم، حتى ازدحم وقتها، وكادت تنشغل عما اعتادت عليه من العبادات، فخرجت على الناس قائلة: إني كنت قد اعتزمت المقام عندكم، غير أني امرأة ضعيفة، وقد تكاثر حولي الناس فشغلوني عن أورادي، وجمع زاد معادي، وقد زاد حنيني إلى روضة جدي المصطفى.

ففزع الناس لقولها، ورفضوا رحيلها، حتى تدخَّل الوالي السري بن الحكم وقال

لها: يا ابنة رسول الله إني كفيل بإزالة ما تشكين منه، ووهبها دارًا واسعة، ثم حدد يومين في الأسبوع يزورها الناس فيهما طلبًا للعلم والنصيحة، لتتفرغ هي للعبادة بقية الأسبوع، فرضيت وبقيت.

السيدة نفيسة والإمام الشافعي

لمَّا وفد الإمام الشافعي إلى مصر توثقت صلته بالسيدة نفيسة، واعتاد أن يزورها وهو في طريقه إلى حلقات درسه في مسجد الفسطاط، وفي طريق عودته إلى داره، وكان يصلى بها التراويح في مسجدها في شهر رمضان، ويعتبر الإمام الشافعى أكثر العلماء جلوساً إليها وأخذاً عنها، في الوقت الذي بلغ فيه من الإمامة في الفقه مكاناً عظيماً، فقد كان يعتبر مجلسه في دارها مجلس تعلم عنها، ومجلسه في مسجد الفسطاط مجلس تعليم الناس.

وكان الإمام الشافعى إذا مرض يرسل لها ليسألها الدعاء فلا يرجع الرسول إلا وقد شفى الشافعى من مرضه، فلما مرض مرضه الذى مات فيه أرسل للسيدة نفيسة يسألها الدعاء كعادته فقالت: متعه الله بالنظر إلى وجهه الكريم فعلم الشافعى بدنو أجله.

وأوصى الشافعي أن تصلي عليه السيدة نفيسة في جنازته، فمرت الجنازة إلى دارها فصلَّت عليه مأمومه بالإمام يعقوب البويطى حين وفاته عام ٢٠٤ هجرية تنفيذاً لوصيته.

وكان لها دخل كبير في حضور الإمام الشافعي إلى مصر، ولهذا كان يكثر زيارتها والتلقى عنها وفي صحبته عبد الله بن الحكم، وكان يصلى بها في مسجد بيتها وخصوصاً تراويح رمضان، وكانت تقدره وتمده بما يعينه على أداء رسالته العلميه الكبرى، ولما مات الشافعى في رجب سنه ٢٠٤هـ حملوه ودعت له وشهدت فيه خير الشهاده وقالت عنه عبارتها العجيبه المشهورة:

رحم الله الشافعي فقد كان يحسن الوضوء.

السيدة نفيسة والإمام أحمد بن حنبل

للإمام أحمد بن حنبل نصيب في الأخذ عن السيدة نفيسة، وبهذا تكون نفيسة ذات أثر علمي في فقه عالمين كبيرين من أئمة المسلمين، وهما الشافعي وأحمد بن حنبل.

من كرامات السيدة نفيسة

- من كرامات السيدة نفيسة أن جاريتها جوهرة خرجت في ليلة ذات مطر كثير لتأتيها بماء للوضوء ففاضت ماء المطر، فلم يبتل قدمها.
- قبرها معروف بإجابة الدعاء، عليه مهابة ونور، مقصود للزيارة من كل جهة.
- فى صحن دارها حفرت قبرها بيدها، وكانت تنزل فيه وتصلى كثيرًا، حتى أنها قرأت فيه المصحف مائة وتسعين مرة وهى تبكي بكاءاً شديدًا.
- حينما قدمت إلى مصر نزلت في دار جمال الدين عبد الله:

فأقامت بها مدة شهور، وكان بجوارها يهود، من جملتهم امرأة يهودية لها ابنة مشلولة مقعدة لا تقدر على الحركة، فأرادت الأم أن تذهب إلى الحمام، فسألت ابنتها أن تأخذها معها إلى الحمام فامتنعت البنت، فقالت لها أمها: سأتركك في الدار وحدك! فقالت لها: أشتهي أن أكون عند جارتنا الشريفة حتى تعودين.

فجاءت الأم إلى السيدة نفيسة واستأذنتها في ذلك فأذنت لها فحملتها ووضعتها في زاوية من البيت وذهبت، ثم إن السيدة نفيسة توضأت فجرى ماء وضوئها إلى البنت اليهودية، فألهمها الله ﷻ أن أخذت من ماء الوضوء شيئاً قليلاً بيدها ومسحت به على رجليها فشفيت من الشلل في الحال، وقامت تمشى على قدميها كأن لم يكن بها مرض قط!، هذا والسيدة نفيسة مشغولة بصلاتها مستغرقة، وقلبها يناجى الخلاق سبحانه، ولم تعلم ماجرى ..

ثم إن البنت سمعت مجيء أمها من الحمام فخرجت من دار السيدة نفيسة حتى أتت إلى دار أمها فطرقت الباب، فخرجت الأم تنظر من يطرق الباب، فدخلت البنت وعانقت أمها وقبلتها، فلم تعرفها أمها لأن ابنتها هى مقعدة، فقالت لها من أنت؟ فقالت: أنا ابنتك، وأخبرتها بما حدث !!

فقالت الأم: هذا والله الدين الصحيح وما نحن عليه من الدين قبيح، ثم دخلت على السيدة نفيسة تقبل قدمها وقالت لها: امددي يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدك محمد رسول الله، فشكرت السيدة نفيسة ربها ﷻ وحمدته على هداها وإنقاذها من الضلال.

ثم مضت المرأة إلى منزلها، فلما حضر زوجها وكان اسمه أيوب ولقبه أبو السرايا وكان من أعيان قومه ورأى البنت على تلك الحالة ذُهل وطاش عقله من الفرح، فأخبرته زوجته بما حدث، فرفع رأسه إلى السماء وقال:

سبحانك هديت من تشاء وأضللت من تشاء والله هذا الدين الصحيح ولا دين إلا دين الإسلام !

ثم أتى إلى باب السيدة نفيسة فمر بخديه على عتبة بابها وأسلم، ثم شاع خبر البنت وإسلامها وإسلام أبيها وأمها فأسلم جماعة من الجيران اليهود.

– توقف النيل عن الزيادة في زمنها فحضر الناس إليها وشكوا إليها ما حصل من توقف النيل، فدفعت قناعها إليهم وقالت لهم:

ألقوه في النيل، فألقوه فيه فزاد.

– أُسِر ابن لامرأة ذمّية في بلاد الروم، فأتت إلى السيدة نفيسة وسألتها الدعاء أن يردّ الله ابنها عليها، فلما كان الليل لم تشعر الذمّية إلا بابنها وقد هجم عليها دارها، فسألته عن خبره فقال: يا أمّاه لم أشعر إلا ويد قد وقعت على القيد الذي كان في رجليَّ وقائل يقول: أطلقوه قد شفعت فيه نفيسة بنت الحسن، فوالذي يُحلَفُ به يا أمّاه لقد كُسر قيدي وما شعرت بنفسي إلا وأنا واقف بباب هذه الدار !!

فلما أصبحت الذمّية أتت إلى السيدة نفيسة وقصت عليها الخبر، وأسلمت هي وابنها وحسن إسلامهما.

– قيل أنه لما اشتد ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها، فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: في غد، فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت:

يا أحمد بن طولون!

فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه، وأخذ منها الرقعة وقرأها، فاذا فيها:

(ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم ففسقتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نفاذة غير مخطئة لا سيّما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما

شئتم فإنَّا إلى الله متظلمون، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون).

يقول القرماني:

فعدل من بعدها ابن طولون لوقته! ورفع المظالم عن الناس.

– كان الأمراء يعرفون قدرها وقدرتها على توجيه عامة الناس، بل دفعهم للثورة في الحق إن احتاج الأمر، حتى أن أحد الأمراء قبض أعوانه على رجل من العامة ليعذبوه، فبينما هو سائر معهم، مرَّ بدار السيدة نفيسة فصاح مستجيرًا بها، فدعت له بالخلاص قائلة: حجب الله عنك أبصار الظالمين !!

ولما وصل الأعوان بالرجل بين يدي الأمير، قالوا له:

إنه مرّ بالسيدة نفيسة فاستجار بها وسألها الدعاء فدعت له بخلاصه.

فقال الأمير: أو بلغ من ظلمي هذا يا رب، إني تائب إليك واستغفرك !!

وصرف الأمير الرجل، ثم جمع ماله وتصدق ببعضه على الفقراء والمساكين.

صفاتها الشخصية

- كانت من أفضل النساء في رعاية زوجها وبيتها وأسرتها.
- ومن أحسنهن اتقاناً لفن إدارة المنزل الذي كانت تعمره:
  - بالعبادة والذكر والتربية الحسنة.
  - وحسن التعامل مع زوجها الذي كان يسعد بها كل السعادة ويصرح لها بجمال ما أودع الله فيها من صفات حسنة شكلاً ومضموناً، فما ترد عليه إلا بوجه بشوش، وكلمات راقية تدل على أدبها الجم.
- وكن صاحباتها يجدن من الأنس بمجلسها ما لا يجدنه عند غيرها، وتجد صدورهن من الانشراح، وقلوبهن من الارتياح ما يجعلهن ينظرن إليها نظر التلميذ لشيخه.
- وكانت تغمر من يجلس إليها بالمودة، وتُفيض عليهن من التوجيه والعلم.

من أقوالها

- من أراد النجاة من الفقر فعليه بقراءة سورة الواقعة.
- ومن أراد الثبات على الإسلام فعليه بقراءة سورة تبارك.
- ومن أراد النجاة من عطش يوم القيامة فعليه بقراءة الفاتحة.
- ومن أراد الشرب من حوض النبي ﷺ فعليه بقراءة إنا أعطيناك الكوثر.

وكانت تحرص على ربط نفسها ومن تجالسهن:

- بالقرآن الكريم.
- وأحاديث الرسول ﷺ.
- وبما تحصِّله من العلم النافع والمعرفة المفيدة.
  - مع أنها كانت صاحبة دراية وإتقان في شؤون منزلها,
  - ورعاية زوجها وأبنائها.

من الكلمات المأثورة للسيدة نفيسة عندما شكا لها البعض تعسف الولاة:

(كيفما تكونوا يولى عليكم)

أى أصلحوا ذات بينكم يصلح الله لكم ملوككم.

السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب:

شجرة طيبة في واحة طيبة.

امرأة مسلمة، قوية الشخصية، راجحة العقل.

ذات علم ومعرفة وأدب جم.

ليست عاطلة من عمل الدنيا؛ لأنها تدير مملكتها الخاصة بها.

وليست غافلة عن عمل الآخرة، كأني بها توجه رسالتها إلينا جميعاً، وإلى بنات جنسها خاصة قائلة:

ما أجمل الثبات على الحق وأسعد صاحبه.

وفاتها

كان لأخيها يحيى المتوّج بنت واحدة اسمها زينب انقطعت لخدمة عمتها، تقول:

لقد خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة، فما رأيتها نامت بليل أو أفطرت بنهار، إلا في العيد وأيام التشريق.

وتقول: كانت عمتي تحفظ القرآن وتفسّره وتقرأه وتبكي.

هكذا عاشت في مصر معززة مكرّمة ...

ينتهل من نمير علومها أهالي مصر، وكانت مثال قول الإمام علي ﷺ:

(عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنّوا إليكم، وإن متّم بكوا عليكم).

وهكذا ما أن حلَّ عام ٢٠٨هـ ولم تكد تدخل سنتها الرابعة والستين حتى أحست بدنو أجلها، فكتبت إلى زوجها تطلب حضوره.

وكانت السيدة نفيسة صائمة كعادتها، فألحوا عليها أن تفطر رفقًا بها فرفضت.

وشاءت السيدة نفيسة أن تختم حياتها بتلاوة القرآن، وبينما كانت تتلو سورة الأنعام، حتى إذا بلغت قول الله تعالى:

﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٧)الأنعام)

غشي عليها، تقول زينب بنت أخيها:

فضممتها إلى صدري، فتشهدت شهادة الحق !!

وصعدت روحها إلى باريها في السماء.

ولما فاضت روحها أراد زوجها أن ينقلها إلى البقيع عند جدها عليه الصلاة والسلام، ولكن أهل مصر تمسكوا بها وطلبوا منه أن يدفنها عندهم فأبى ...

ولكنه رأى في منامه الرسول ﷺ يأمره بدفنها في مصر.

فدفنها في قبرها الذي حفرته بنفسها في مصر.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني

أولياء الله

- الإمام الشافعي
- السيد ذو النون المصري
- الإمام الجنيد
- السيد عبد القادر الجيلاني
- السيد أحمد الرفاعي

. السيد عبد الرحيم القنائي

. السيد أحمد البدوي

. السيد أبو العباس المرسي

. السيد ابراهيم الدسوقي

. السيد احمد بن عطاء الله السكندري

. الامام أبو العزائم

. الشيخ محمد علي سلامة

الإمام الشافعي

رضي الله عنه[٦٥]

الإمام الشافعي رجل من كُمَّل الصالحين، ومن العلماء الأولياء، والأولياء العلماء، فكان من كبار العلماء، حتى قال فيه ﷺ قبل ميلاده:

{لا تَسُبُّوا قُرَيْشًا؛ فَإِنَّ عَالِمهَا يَمْلأُ الأَرْضَ عِلْمًا}[٦٦]

وقد حدث، وكان من الأولياء لأنه كان على بصيرة نافذة، وهب حياته كلها للعلم ولله تبارك وتعالى، وهو الإمام محمد بن إدريس الشافعي ﷺ.

نشأته

الإمام الشافعي كُتب فيه كتب لا تُعد، وسأذكر قصته باختصار شديد، فالإمام الشافعي أبوه كان رجلاً فقيراً، وهو من رهط النبي، يلتقي مع النبي ﷺ في الجد الثالث للنبي وهو عبد مناف، وهو الجد السادس للشافعي.

ولذلك يُروي أنه قبل أن يبلغ رأى النبي ﷺ في المنام فقال: ممن أنت يا فتى؟ قال: قلت من رهطك يا رسول الله – يعني من جماعتك يا رسول الله – قال: افتح فاك، قال: فأخذ من ريقه ووضعه على لساني وشفتيَّ، فقام من النوم لا يُلحن قط في نُطق أي كلمة، ولذلك كان بليغاً وفصيحاً.

أبوه كان فقيراً، ومكة كما نعلم في دائرة العمل بلد فقيرة، فانتقل أبوه إلى غزة الموجودة الآن، ووُلد الشافعي في غزة سنة ١٥٠ هجرية.

ولكي نعلم قول الله تبارك وتعالى:

﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾ (١٠٦البقرة)

يعني الأولياء كالزعماء، كلما مات زعيم قبل أن يدفنوه يكون لهم زعيمٌ آخر، كذلك فكل ولي ينتقل إلى جوار الله فلا بد للتركة التي معه أن يرثها وليٌ جديد من أولياء

---

٦٥ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ٣ من رجب ١٤٤١ هـ ٢٠٢٠/٢/٢٧م

٦٦ سير أعلام النبلاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الله، وهي سُنَّة الله إلى يوم القيامة.

ففي نفس العام الذي انتقل فيه إلى جوار الله سيدنا الإمام أبو حنيفة ﷺ، وُلد الإمام الشافعي ﷺ سنة ١٥٠ هجرية.

الأم المربية الحكيمة

أُمُّه كانت كنساء العصر الأول تقية نقية، وحريصة على زرع النقاء والصفاء والتُقى في قلب ابنها، فأرسلته ليحفظ القرآن، وكان طفلاً صغيراً، يقول: حفظت القرآن ولي سبع سنوات، وكانت أمي لا تجد ما تعطيه للشيخ، لأن أبوه توفى بعد ولادته بسنتين، وأمه التي تكفلت بتربيته.

وكان قد وهبه الله شدة الذكاء والألمعية، فكان يسمع الشيخ يُقرئ غيره أو يستمع منه، فيحفظ ما يسمعه، فكان يحفظ من أول مرة.

فلما وجد الشيخ سرعة بديهته، وجودة حفظه، ارتضى منه أن يجلس مكانه ويكون هذا بمثابة أجره، يعني إذا ذهب الشيخ إلى قضاء شيئاً له، فمن الذي يجلس مكانه ويُحفِّظ الأولاد؟ الشيخ الشافعي، وهذا كان بديل الأجر.

بعد أن أنهى حفظ القرآن في عمر سبع سنوات، أُمه من فقهها قالت له: هيا بنا نذهب إلى بلدك مكة لتتربى في وسط أهلك، وتأخذ الفصاحة من أهلها، فانظر كيف كان نساء الزمن الفاضل ونساء زماننا؟!! ففي زماننا قد تمنعه من زيارة أهله، وإذا ذهب إليهم قد تخاصمه!!.

فأخذته وذهبت به إلى مكة، وكان بيت الله الحرام معهداً علمياً يُدرَّس فيه الأئمة العظام في الإسلام، منهم من يُدرِّس حديث، ومنهم من يدرس فقه، ومنهم من يدرس تفسير، فكان يتنقَّل بين هذه الحلقات، وساعده – كما قلت – جودة الحفظ.

كان في هذه الآنات كتاب مشهور وضعه الإمام مالك اسمه (الموطأ) والموطأ يعني المؤسس، فيقول: وبعد أن أتممت حفظ الموطأ وعندي عشر سنين أخذت أحفظ الأحاديث، ولذلك يسمى (ناصر الحديث).

أي عالِم يعتمد على ما درسه في معاهد العلم والجامعات فقط، فهذا ليس معه شيء، ولن يكون له شأنٌ في مجتمعه، لكن العالِم الذي يريد أن يكون له شأنٌ ماذا يفعل؟

يُكمِّل نفسه، فينظر إلى مؤهلات العالم ويستكملها.

يعني هو ضعيف في السيرة فيستكمل السيرة، أو ضعيف في الحديث فيقرأ الأحاديث، أو ضعيف في الفتاوي، فيقرأ كتب الفتاوى، وهذا – والحمد لله – النهج الذي مشينا عليه.

إجادته الافتاء

فالإمام الشافعي لم يستعجل على الظهور إلا بعد أن ربَّى نفسه في كل النواحي، حفظ الموطأ، وحفظ الأحاديث، وعرف كل المسائل الفقهية، وكان قد وصل إلى سن الخامسة عشرة سنة، حتى أن إمام علماء الحرم في عصره وكان اسمه مسلم بن خالد الزنجي، قال له: أنت تُفتي وقد أذنتُ لك بالفتوى، لماذا؟ لمخايل النجابة التي رآها عليه، فأذن له بالفتوى، لكنه لم يتعجل وقال: أُكمِّل نفسي أولاً، حتى يظهر ظهور ليس بعده خسوفٌ ولا كسوف.

فصاحته

فأراد أن يزيد في فصاحته في اللغة العربية، وكان بين مكة والمدينة أشهر قبيلة من القبائل العربية في نُطق اللغة العربية الصريحة الصحيحة، والتي لم تختلط باللغات الأجنبية، فالجماعة الذين هم في الأطراف كالعراق والشام اختلطوا بالروم واختلطوا بالفرس، فأخذوا كلمات من هؤلاء وكلمات من هؤلاء، فأصبحت لغتهم غير صريحة، وهو يريد اللغة الصريحة الصحيحة.

فاختلط بقبائل هُزيل، ومكث معهم حوالي ست سنين ينتقل معهم، ويحفظ الأشعار، لأنه رأى سيدنا الإمام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والذي دعا له النبي وقال:

{ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ }[٦٧]

كان إذا سُئل عن تفسير آية في كتاب الله، وفيها كلمة صعبة، فيأتي من أشعار العرب القديمة ما يوضح معنى هذه الكلمة، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين.

ظل معهم الإمام الشافعي حتى حفظ عشرة آلاف بيت من أشعار هُزيل فقط حتى ينال الفصاحة، غير الأحاديث وغير القرآن وغير ذلك.

---

٦٧ مسند أحمد وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما

همةٌ شديدة، ومن يُريد أن يكون له شأن في هذا المجال عليه أن ينظر لهؤلاء أصحاب الهمم ويمشي مثلهم، فإذا كانت الهمة ضعيفة فلن يصل إلى شيء مثلهم ويكون عادياً.

مع الإمام مالك

بعد أن حفظ أشعار هُزيل وعاد إلى مكة لم يُرد أن يُفتي أيضاً، وقال: أذهب لأُصحح الموطأ أولاً على الإمام مالك صاحب الكتاب، وكان لا يزال على قيد الحياة، ويعيش بالمدينة المنورة، ومالك وما أدراك ما الإمام مالك؟! قيل فيه:

يـأبى الجـواب فـلا يُراجـع هيبـةً والجالسـون نـواكس الأذقـان

هيبته كان يخاف منها حتى الملوك، لأنه كان عنده توقير شديد لسيدنا رسول الله ﷺ، فلم يُنصِّب نفسه للإمامة إلا بعد أن استمع وجمع من تسعمائة شيخ من مشايخ المدينة المنورة، وكلهم شيوخ في العلم، وكان لا يمشي في المدينة إلا حافياً ويقول: أخشى أن أطأ بموضع قدمي موضع قدم رسول الله ﷺ، وكان لا يقضي حاجته بها ويخرج خارج المدينة ليقضي حاجته، ولا يخرج إلى المسجد أو إلى سائل يسأله مسألة من أحاديث رسول الله إلا إذا توضأ وتعطر ولبس أحسن ما عنده من الثياب، ويقول: تعظيماً لحديث رسول الله ﷺ.

وذات مرة كان يُعطي درساً في المسجد وأحد التلامذة رأى عقرباً لدغته فتفزَّز وأكمل، ودارت مرة ثانية ولدغته، فعد لدغات العقرب فوجدها أربع عشرة مرة، وهو يتفزز ولا يقطع الحديث، وبعد أن أنهى الحديث ذهب إليه الرجل، فقال له: أعرف ولكني كرهتُ أن أقطع حديث رسول الله من أجل لدغة عقرب!!، فهؤلاء العلماء الوجهاء، ولذلك كان يقول: ما بتُّ ليلة إلا ورأيتُ رسول الله ﷺ في المنام.

فهذا عالم ولكن كما قلنا؛ علماء أولياء، وأولياء علماء، حتى لا يقول الغافلون: ما الشافعي وما مالك؟ فنحن مثلهم، كيف تكون مثلهم؟! أين أنت وأين هم؟!.

فأراد الإمام الشافعي أن يذهب للإمام مالك، والإمام مالك كان الكل يهابه، فماذا يفعل؟

كان له ابن عم والياً لمكة فقال له: اعطني خطاباً لوالي المدينة حتى يستسمح لي الإمام مالك أن أُراجع عليه الموطأ، فكتب له الخطاب، وذهب لوالي المدينة، وعندما قرأ

الخطاب قال له: يا غلام لأن أمشي من المدينة إلى مكة، أهون عليَّ من أمشي معك إلى الإمام مالك، فقال له: أرسل إليه أن يأتي إلى هنا، فقال: هيهات هيهات، ليته يقابلني، وهذه هيبة العلماء.

فذهب معه وطرق الباب، فخرجت الجارية، فقال لها: قولي لسيدك أمير المدينة بالباب، فعادت له وقالت: إن كان معك مسأله فاكتبها في رُقعة ونحن نرد عليك، أرأيتم عزة العلماء؟! فقال لها: أنا أريده لمسألة من والي مكة، فجاءت بالكرسي للإمام مالك فقط، وخرج وجلس عليه، ودخل الوالي وأعطاه الخطاب، وعندما قرأ الخطاب ألقاه في الأرض وقال: هل عِلمُ رسول الله ﷺ أصبح يُتوصل إليه بالواسطة؟ كيف هذا؟! فتدخَّل الإمام الشافعي وقال: يا سيدي ائذن لي أن أقرأ عليك الموطأ فإن ظروفي كذا وكذا، وحكى له ظروفه، فقال له: هات من يقرأ لك، فقال: أنا أقرأ وإن لم تعجبك قراءتي أتيت بمن يقرأ، فلما بدأ القراءة نظر إليه، والإمام مالك كان عنده فراسة، فلما قرأ عليه قال: يا محمد إن الله ألقى على قلبك نور فلا تطفئه بالمعصية، واتق الله فإنه سيكون لك شأنٌ، وهذه نصيحته له في البداية.

فكلهم كان عندهم فراسة نورانية، ولذلك بعض الأحباب هداهم الله يرى أو يسمع ردي على فتوى، فلما تأتي فتوى مثلها يعيد الرد، وهذا خطأ فأنا أجيب على قدر السائل، فالفتوى قد تنفع هنا، ولكن لا تنفع في الجهة الأُخرى، وأنت لا تعرف هذا الكلام، ولذلك الفتوى لهذا غير هذا غير هذا مع أن السؤال واحد، وكل واحد على حسب حاله.

فعرفه الإمام على الفور وأُعجب بقرائته، وكان يستعيده لأن الشافعي فصيحاً عذب النطق بالألفاظ، وصوته كان أخَّاذاً، وهذه ميزةٌ أخرى، ولذلك يحكون عنه عندما كان يقرأ القرآن في الصلاة فكل من كان خلفه يبكي ويريدون أن لا ينقطع، من حلاوة وطلاوة التلاوة، والصوت والنغم والخشوع.

ملازمته للإمام مالك

كم سنة مكثها مع الإمام مالك؟ ستة عشر سنة، أرأيتم الملازمة!! والأئمة الأعلام كالإمام مالك والشافعي بعد ذلك، كانت بيوتهم هي معاهد العلم، والطالب عندهم يكفلون طعامه وشرابه ولباسه وكتبه، وكل ما يحتاج إليه كانوا يتكفلون به، وكان

هؤلاء العلماء الأولياء أسخياء، لا يتمسكون بالدنيا.

والإمام الشافعي يحكي بنفسه ويقول، رأيتُ يوماً عدداً كبيراً من الإبل والخيل على باب مالك، منهم من جاء من مصر، ومنهم من جاء من غيرها، قلت: ما هذا يا سيدي؟ قال: هم لك هدية، قلت: يا سيدي ابق واحدة لك تركبها، قال: آليت على نفسي أن لا أركب دابة واحدة في مدينة النبي، فانظر كيف كانوا في السخاء، وليس للطلبة أن يدفعوا، ومن لا يدفع لا ينفع!!.

بعد أن توفى الإمام مالك ﷺ وأرضاه كان والي اليمن في زيارة للمدينة، فكلَّمه بعض أقارب الشافعي أن يأخذ الشافعي معه ويعيّنه في القضاء على إحدى محافظات اليمن لفقره، ولأنه لا يملك شيئاً عندما ذهب للولاية لم يكن عنده غير البيت الذي يجلس فيه هو وأمه، فيقول: رهنتُ البيت وخرجتُ إلى العمل.

القاضي العادل

عيَّنه والي اليمن قاضياً على نجران، ونجران حالياً في السعودية ولكنها أصلاً كانت تابعة لليمن، فوجد والي نجران ظالماً فكان يقف له بالمرصاد ويحاول أن يُحقق العدل، والشافعي أول رجل في التاريخ حقق العدالة الشاملة بالطريقة العصرية.

فبعض الناس في زمانه وككل زمان يحاولون أن يتقربوا للقاضي بالعطايا حتى يجاملهم ويحكم لصالحهم، فلم يصلوا له، فماذا يفعل ليؤمّن نفسه؟

اختار سبعة من الثقات يجلسون معه في جلسة الحكم، ويستمعون إلى المدعو والخصم، وكل واحد يقول رأيه، وهو يحكم بما اتفقت عليه الجماعة بعد ذلك.

وهذا هو ما يحدث الآن، فمحكمة الإستئناف عددهم سبعة، لذلك أول قاضي في التاريخ عمل محكمة الاستئناف هو الإمام الشافعي، ولكنه عملها لكل الدرجات.

فلما وجد الوالي أنه لا منجأ له من الشافعي ماذا يفعل؟

كان الحكم في هذا الزمان للدولة العباسية:

والحاكم كان هارون الرشيد وهو من أعظم الخلفاء في الدولة العباسية، وكانت الدولة العباسية تخاف من الثورات التي تندلع ضدها، وخاصة إذا كانت هذه الثورات من يقوم بها العلويين الذين ينتسبون لآل البيت.

فقه الإمام أبو حنيفة

فأرسل الوالي لهارون الرشيد أن عندنا رجلٌ يُسمى محمد بن إدريس كلامه أفعل من السحر والسيف في تأليب الناس عليكم، وحتى لا يكون الأمر ظاهراً فقال:

معه فلان وفلان وفلان وذكر السبعة الذين معه.

فأرسل الخليفة إليهم، وعُرضوا عليه، وكان في بلد اسمها (الرها) وكان مع الخليفة جالساً بجواره عالم الوقت في العراق محمد بن الحسن، تلميذ الإمام أبو حنيفة.

فالإمام أبو حنيفة كان له تلميذان، أبو يوسف، ومحمد بن الحسن.

فأبو يوسف كان قد توفي.

فبقي محمد بن الحسن، وهو الذي كتب كل فقه أبو حنيفة ﷺ.

فقتل الخليفة السبعة أمامه، وجاء دور الشافعي، فقال الشافعي: أنا ابن عمك – لأن العلويين كانوا يُعتبرون أن بني هاشم كلهم عبيداً لهم – وليس من يقول هذا أخي، كمن يقول هذا عبدي، وهذا كلام بالحجة، يعني أنت تقول عني أخي، لكن هؤلاء يقولون أنني عبد، فكيف أكون مع العبد ضد من يقول أنت أخي؟! وأنا لي في العلم، لأنه كان مهذباً، وكان من جملة صفاته التي لا تُبارى تواضعه الجم، ولا يوجد عالمٌ له قسطٌ من العلوم الإلهية إلا بالتواضع.

قال: والقاضي محمد بن الحسن يعرف ذلك، وأنا محمد بن إدريس الشافعي، فقال له هارون الرشيد محمد بن الحسن لم يكلمني عنك، فما رأيك يا ابن الحسن؟

فقال له: الشافعي من كبار العلماء ويستحيل أن يكون له دورٌ في هذه التُهمة التي نُسبت إليه، فقال له: سأتركه معك حتى أنظر في أمره.

عاش مع محمد بن الحسن، وقلنا أنه درس فقه الإمام مالك، ودرس فقه أهل مكة قبل ذلك، فعاش مع محمد بن الحسن يسمع منه فقه الإمام أبو حنيفة ويكتب، حتى قال: كتبتُ حمل بعير من فقه محمد بن الحسن!

حمل بعير ليس بقلم سهل مما نكتب به الآن، ... ولكن بالريشة والحبر!!

حتى نعرف صبر العلماء.

مذهبه الفقهي

فجمع فقه الثلاثة الموجودين في زمانه، فقه أهل المدينة، وفقه أهل العراق، وفقه أهل مكة ﷺ وأرضاه.

بعد أن توفى محمد بن الحسن، وتوفى هارون الرشيد وتولى ابنه المأمون، عرض عليه القضاء فرفض، ونزل إلى مكة، ومكث في مكة فترة يعلِّم الناس، واختار مكة لأن الناس يحجون إلى مكة فتكون فرصة رائعة لإبلاغ العلم إلى كل بقاع الأرض لأنهم يأتون من كل الجهات.

ثم أظهر مذهبه الفقهي.

لأن مذهب الإمام أبو حنيفة ﷺ وأرضاه كان يعتمد على الرأي والقياس.

ومذهب الإمام مالك ﷺ وأرضاه كان يعتمد على الحديث وعمل أهل المدينة.

فجمع الإثنين معاً، وأتى بالمذهب الجديد.

مؤسس علم أصول الفقه

ألَّف كتاباً اسمه (الرسالة):

ووضع القواعد الكلية التي مشى عليها كل علماء الفقه إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين، لأنه هو الذي ألَّف أصول الفقه.

وأصول الفقه: علم لا بد منه لكل من يتبحَّر في الفقه، فلا يصح لأحد أن يُفتي إلا إذا كان قد تخصص في أصول الفقه.

فمن درس الفقه فقط لا يجوز له أن يُفتي، فمن الذي يُفتي؟

الذي درس أصول الفقه، فعندنا هنا في مصر مفتي الجمهورية لا بد أن يكون دكتوراً متخصصاً في أصول الفقه، حتى يُفتي الفتوى السديدة، لأن آلات الفتوى معه .. لكن لو أن أحداً درس المذاهب وليس معه أصول فقه، فكيف يُفتي؟!! ولذلك معظم أئمة المساجد درس الفقه فقط، فكيف يُفتي؟ ... لا يُفتي إلا بما سمعه من العلماء.

فالذي وضع أصول الفقه في التاريخ كله هو:

الإمام محمد بن إدريس الشافعي ﷺ.

بعد أن مكث في مكة حوالي عشر سنين وانتشر مذهبه .. ذهب إلى العراق لينشر مذهبه، واستمر في العراق سنتين، ووضع مذهبه الفقهي القديم.

مذهبه الجديد في مصر

وبعد ذلك ألهمه الله ﷻ أن يتوجه إلى مصر، لماذا؟ لأنه كان قد ظهر المأمون، والمأمون كان فيلسوفاً، وكان يميل إلى الفرس لأنهم هم الذين ساعدوه حتى وصل إلى الحكم، وترك العرب ودخل في آراء المعتزلة وكان يميل إليهم، فآثر الإمام الشافعي أن لا يخوض في هذا المعترك، ورفض أن يكون قاضياً عنده وجاء إلى مصر.

فلما جاء إلى مصر وجد أن طبائع الناس وعاداتهم وطبيعة بلادهم غير طبيعة بلاد العراق، فترك المذهب القديم وعمل المذهب الحديث، ولذلك قلت: لا يصلح أن تفتي بالفتوى لإثنين مثل بعضهما لأن ظروفهما قد تختلف، فهذا مذهب كامل وضعه في العراق، ولما جاء إلى مصر ترك المذهب القديم وعمل مذهباً جديداً لأهل مصر، والذي نمشي عليه حتى وقتنا هذا.

جامعة الإمام الشافعي

كان يدرِّس في جامع عمرو بن العاص ﷺ وأرضاه، وكان عبارة عن جامعة بدكتور واحد، فكان يبتدئ يومه بعد صلاة الفجر فيجلس مع أهل القرآن حتى شروق الشمس، فيحفِّظهم، ويجود لهم، ويعلِّمهم الروايات السبع في كتاب الله.

فإذا طلعت الشمس يمشون ويأتي أهل الحديث، فيجلس مع أهل الحديث ساعة من الزمن يراجع عليهم الأحاديث ويشرح لهم ما غمُض منها ويصححها لهم.

ثم يمشي أهل الحديث ويأتي أهل تفسير القرآن، وكان مُفسراً بارعاً في القرآن، فيشرح لهم ما غمض عليهم من ألفاظ المفسرين، ومن كتاب رب العالمين ﷻ.

ثم يمشي أهل التفسير ويأتي الأدباء وعلماء اللغة والشعراء ليأخذوا منه، ولذلك في حلقة من الحلقات كان جالساً مجموعة كبيرة من الأدباء والشعراء، فتلامذته من أهل الفقه قالوا لهم: لم تجلسون معنا ولستم من أهل الفقه؟! قالوا: نتذوق اللغة من الشافعي!، لأن لغته كانت لغة عالية في الفصاحة والبلاغة رضي الله تبارك وتعالى عنه.

وكانت الأعداد كما يروي أحد تلاميذه وهو الربيع بن سليمان فقال: أحصيت

يوماً سبعمائة دابة على أبواب الشافعي، غير من جاءوا يمشون، وكلهم يطلبون علوم الشافعي ﷺ وأرضاه.

الشافعي ﷺ وأرضاه لم يمكث في مصر إلا حوالي أربع سنوات، ومع هذه الحياة العلمية الضخمة، والكتب التي لا تعد وأشهرها كتاب (الأُم)، والحياة الحافلة، مات وعنده خمسة وخمسين سنة!.

وصيته

كان في مصر يودُّ السيدة نفسية ويزورها، وكانت تختاره ليذهب إليها في شهر رمضان ويؤمها في صلاة التراويح، ولذلك أوصى بعد موته وصيتين، الوصية الأولى أن يُغسِّله التاجر فلان، والوصية الثانية أن تُصلِّي عليه السيدة نفيسة.

وكما قلت أن الشيخ كان بيته مفتوحاً، وهو الذي يُنفق على كل الطلبة الذين عنده، فكان يستدين، فلما ذهبوا إلى الرجل التاجر وقالوا له: إن الشافعي أوصى أنك تُغسِّله، فقال لهم: هاتوا جريدته – والجريدة هي الورقة التي يكتب فيها الديون التي عليه – فوجد عليه سبعين ألف درهم، فقال لهم: هذا الدَيْن عليَّ، وهذا هو التغسيل الذي يقصده الشافعي، يريد أن أغسله من الديون، وأنا سأغسله من الديون.

والسيدة نفيسة لم تكن تخرج من البيت، فحملوه إلى السيدة نفيسة في موضعها وصلَّت عليه في مكانها، ثم ردوه إلى مكان دفنه مرة أخرى رضي الله تبارك وتعالى عنه.

منازل الولاية

بم بلغ الشافعي منازل الولاية؟ هذه هي الصفات وزن بها نفسك، ماذا يقول؟ يقول: (ما حلفتُ بالله تعالى قط، ولا كذبتُ قط، ولا ملأتُ بطني منذ ستة عشر عاماً إلا مرة واحدة وأرجعتها) يعني في حياته لم يحلف يميناً، لا صادقاً ولا كاذباً، ولا كذب في حياته، ولم يكن يملأ بطنه من الطعام.

هذا جهاد العلماء، والحقيقة الكلام واسع ونكتفي بهذ القدر، نسأل الله تبارك وتعالى أن يعلِّمنا ما لم نكن نعلم، وأن يعيننا على العمل بما نعلم، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

صلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٠ السيد ذو النون المصري

رضي الله عنه[٦٨]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي يُولي عنايته لمن يشاء من عباده فينظر إليه بعين عنايته فيجعله ولياً، ويرعاه بعين رعايته فيجعل قلبه تقياً، والصلاة والسلام على تاج الأولياء، وسر صفاء كل الأصفياء، كوكب السعداء في الدنيا ويوم العرض والجزاء، سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين .. آمين يا رب العالمين.

اختار لنا الله تبارك وتعالى أن نتدارس سير الصالحين، ولعل قائلاً يقول: ولماذا لم نجعلهم صحابة النبي الأمين؟ أولاً: لأنكم جميعاً – والحمد لله – قد أحطتم بكثير من المعارف عن أصحاب رسول الله ﷺ لشهرتهم.

ثانياً: لأننا نريد رجالاً نقتدي بهم ونقتفي آثارهم، لعل الله تبارك وتعالى يفتح علينا كما فتح عليهم.

فإذا ذُكر الصحابي سيقول الحضور: هذا كان في عصر النبي، ويكفيه نظرات النبي ومجالسة النبي، والوحي كان يتنزَّل من السماء على النبي.

فكانت العبرة أنجع والموعظة أسمع بالرجال الذين جاءوا بعد عصر حضرة النبي ﷺ، والنبي ﷺ بشَّر بهم وإشتاق إليهم وقال:

{ وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي }[٦٩]

وكلمة (إخواني) للرجال والنساء، لأنه خطاب عام للفئتين، قال ﷺ:

{ إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ }[٧٠]

وقال ﷺ:

---

٦٨ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ٢٢ من رجب ١٤٤٣ هـ ٢٠٢٢/٢/٢٣م

٦٩ مسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

٧٠ جامع الترمذي وأبي داود عن عائشة رضي الله عنها

{ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ لأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الخَيْرِ أَعْوَانًا وَلَا يَجِدُونَ عَلَى الخَيْرِ أَعْوَانًا }[٧١]

ومع ذلك من كمال الأدب أن لا نفاضل أحداً مهما بلغ من الرتب مع الصحابة الكرام أصحاب الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، ولا يأخذها أحد على أن عمل الواحد بخمسين يعني نحن أحسن منهم، فقد قال: عمل الواحد ولم يقُل الواحد بخمسين، ولكن عمله فقط، والله يضاعف الأجر والثواب على قدر المشقة.

علوم الولاية

ونحن نتناول سيرة هؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه بحسب ترتيبهم الزمني التاريخي، وأول رجل تكلم في علوم الولاية وعلوم الإلهام وعلوم المعرفة في بلدنا مصر كان السيد ذو النون المصري، وهذا كان في القرن الثاني والثالث الهجري، وكان من تلاميذ الإمام مالك، ومن رواة كتابه المشهور (الموطأ) ويكفي أن من تلاميذ السيد ذو النون المصري الإمام الجُنيد الذي يُقال له سيد الطائفة.

مولده وتربيته

هذا الرجل اسمه ثوبان بن إبراهيم، وُلد من أبوين نوبيين في مدينة أخميم بمحافظة سوهاج الآن سنة ١٧٩ هـ، حتى نعرف أن فضل الله لا يقتصر على عرق ولا نسب، وإنما كما قال ﷺ في سلمان الفارسي:

{ سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ }[٧٢]

وقال في بلال الحبشي كما ورد ببعض الأثر: **((أدخل الإسلام بلالاً في نسبي، وأخرج الكفر أبا لهب من نسبي))** المهم النسب المحمدي وليس النسب الطيني.

هذا الرجل كعادة الصالحين الذين نتحدث عنهم سلك مسلك الصالحين، فبدأ بحفظ القرآن، وطلب العلم النافع من علوم الدين الفقه والحديث، وكاد يكون محدثاً لأنه

---

٧١ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه
٧٢ الحاكم في المستدرك وابن سعد في الطبقات

كان يروي كتاب الإمام مالك، ولذلك سألوه: لِمَ لم تكن محدثاً؟ قال: للحديث أهله، وأنا شغلي بنفسي ألهاني عن ذلك، يعني كنت مشغول بتجهيز نفسي وتربية نفسي، وهذا لا يتأتى وهو يشتغل بالعنعنة والأسانيد وما شابه ذلك في علم الحديث.

سعة معرفته

ومن شدة ذكائه وألمعيته لم يكتفي بالعلوم الدينية، فدرس علوم الفلسفة، ودرس علوم الكيمياء القديمة، والكيمياء القديمة كان يُقصد بها تحضير الذهب وصناعته، فوصلوا إلى كيفية تجميع العناصر التي يتكون منها الذهب ليصنعوه منها، وأبوهم في ذلك كان جابر بن حيان، وجابر بن حيان تعلم ذلك من الإمام جعفر الصادق رضي الله عنهم أجمعين.

وتعلم علم الطب، وتعلم اللغة المصرية القديمة، حتى أنه فكَّ كثيراً من شفراتها، فكان واسع المعرفة في كل النواحي، وكان مع ذلك الاطلاع الواسع هداه الله إلى رجل يُسمى شقران العابد، واتخذه شيخاً له في طريق الله ﷻ.

وسيدنا شقران – لمن يبغي أن يعرف مكانه لزيارته – قريبٌ من ضريح سيدنا عُقبة بن عامر ﷺ، وأيضاً سيدنا ذو النون المصري في هذا المكان بعد الإمام الشافعي.

سر تسميته بذي النون

لِمَ سُمي ذو النون؟ لأنه كان يمشي يوماً على شاطئ النيل، وكانت التماسيح كثيرة في هذه الأيام في نهر النيل، والتمساح له خاصية أنه يمشي على البر ويعوم في البحر، فيخرج يمشي على البر ويخطف شيئاً ثم ينزل البحر مسرعاً، وكانت هناك امرأة تمشي على شاطئ النيل فخرج تمساح وخطف ابنها، فأخذت تصيح: واإبناه واإبناه، فسألها سيدنا ذو النون عن سبب صراخها؟ قالت: إن التمساح أخذ ابني ونزل به في الماء، فما كان منه إلا أنه لبس قميصاً بعد أن خلع ملابسه حتى لا ينزل الماء عرياناً، ونزل إلى النيل وأخذ يسبح حتى وصل إلى التمساح، وأمسكه من فمه وأخرج الطفل من فمه، ولذلك سموه ذو النون تشبيهاً بسيدنا يونس نبي الله:

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ (٨٧الأنبياء)

فسموه ذو النون تيمناً وتشبهاً بنبي الله يونس عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

خروجه من أخميم

دائماً من اجتباهم الله ويجتبيهم لولايته يظهر عليهم من الصِغر عناية الله فطرة في تصرفاتهم وفي أحوالهم، ولا يكونوا كالبشر العاديين، فهو كان قاطناً في أخميم، فلِمَ خرج من أخميم؟ سبب غريب وعجيب يحكيه الإمام المناوي ﷺ وأرضاه، فيقول: كان ماشياً ذات يوم في البلد فسمع صوت غناء ومعه دفوف، فسأل ما هذا؟ قالوا: عُرس، ثم مشي قليلاً فسمع صوت بكاء ونواح، فسأل ما هذا؟ فقالوا: فلان قد مات، وهذا ما يحدث في هذه الأيام، ولم يكن يحدث من قبل، فكان الناس يحترمون مشاعر بعضهم.

فماذا قال؟ قال: أُعطي هؤلاء فما شكروا، وابتُلي هؤلاء فما صبروا، يعني هؤلاء الله أعطاهم فما شكروا الله على النعمة، لأن نعمة الفرح ليست بالدُّف، ولكن بالوليمة وبالصدقة وبإطعام الفقراء، وهكذا، والآخرين لم يصبروا على أمر الله فرفعوا الصوت بالنواح والبكاء وغير ذلك، وهذا محظورٌ في شرع الله تبارك وتعالى.

فقال: لله عليَّ أن ألا أبيت بهذا البلد، يعني طالما أن هذه البلد لا تحترم المشاعر فلن أبيت فيها، فهاجر إلى القاهرة، وعاش في منطقة الجيزة في المكان الذي يُسمى الآن (أبو قتادة) وهم ينطقونها خطأ فيقولون (أبو قتاتة) لكن هذا المكان فيه هضبة عالية، وعلى ظهر الهضبة من أعلى مقام سيدنا قتادة الصحابي الجليل، فعاش في هذه المنطقة.

التوجه إلى الله

ثم كان السبب الرئيسي في توجهه إلى الله تعالى بالكلية، والله تبارك وتعالى يخلق الأسباب، ويُعطي من يشاء بغير أسباب وبغير حساب، لكن حكمته الكونية أنه جعل لكل شيء سبباً

فكان يحب الحركة، بما نسميه في عصرنا بالسياحة، فلا يحب أن يبقى في مكان، ولكن يمشي ويسعى ويسوح، ولذلك نعتبره إمام السائحين.

يحكي عن سبب رجوعه أو توبته بالكلية إلى الله فيقول: ذهبت لقرية قريبة أزورها وبعد ذلك نمت تحت شجرة، فاستيقظت من النوم فوجدت طائراً أعمى فوق غصن الشجرة، وسقط الطائر على الأرض، وإذا بالأرض تنشق ويخرج إناءان صغيران، واحد من ذهب وواحد من فضة، في أحدهما سمسم وفي الآخر ماء، يأكل الطائر من السمسم ويشرب من الماء:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ (٦هود)

حتى لو كانت في جوف الأرض أو في جوف صخرة لأرسل الله إليها من يأتيها برزقها.

فيقول: عندما رأيت هذا المنظر قلت: حسبي تُبت، سأعود إلى الله ولن أترك هذا الأمر حتى يقبلني الله ويفتح عليَّ فتحاً مبيناً.

إمام السائحين

كان عنده ولهٌ شديد بزيارة الأولياء، فكلما سمع عن ولي من الأحياء يسافر ليزوره، وكان عنده ولهٌ بالسياحة، والصالحين لهم في كل بلد من بلاد الله أماكن خُصُّوا بها وخَصُّوا بها أنفسهم، يعني أماكن جعلوها مخصوصة للعبادة، يعني في القاهرة المكان المشهور بالعبادة هو جبل المقطم، ففيه خلوات كثيرة، والخلوة هي مكان يتخذه السالك ويمكث فيها يتعبد فيها لله تبارك وتعالى.

وفي بلاد الصعيد كانت الخلوات في الجبال المحيطة بالمدن والقرى، وفي سيناء كان جبل الطور يذهب إليه الراغبين في الولاية، وفي لبنان جبل مشهور هناك كان أيضاً يذهب إليه الأولياء ويتعرفون على بعضهم فيه، وفي السودان جبل إلى الآن اسمه جبل الأولياء، وكله خلوات، وكان يذهب إليه السالك ويمكث فيه حتى يفتح الله عليه، وبعدها ينزل.

زار سيدنا ذو النون كل هؤلاء الأولياء وهذه الجبال، وانظروا إلى هذه الهمة، فزارهم جميعاً، واجتمع على الأولياء وكلَّمهم، ولذلك له حكايات لا تُعد ولا تُحد عن هؤلاء الأولياء.

حكاياته

من ضمن حكاياته يقول: كنت ماشياً ذات مرة في جبل في لبنان، فقابلت امرأة، فسألتها: إلى أين تذهبين؟ قالت: إلى رجال لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيع عن ذكر الله، فقال لها: ومن أين أتيتِ؟ قالت: من عند رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يعني كأنها أخذت عهداً على نفسها ألا تتكلم إلا بالقرآن، ويؤيدها الله ويُلهمها الله تبارك وتعالى بذلك.

ومن إحدى حكاياته الشيقة جداً يقول: كنت واقفاً على شاطئ النيل، فوجدت

عقرباً آتية مسرعة فهممت بقتلها فلم أستطع، واستمرت في سيرها حتى وصلت إلى شاطئ النيل، وكان هناك ضفدع كأنه في انتظارها، فعلت على ظهر الضفدع – أي قفزت على ظهره – فصار الضفدع يسبح بسرعة سريعة إلى الشاطئ الآخر، فأخذني الفضول فتبعته، لأن هذا شيء غير طبيعي وشيء غريب، فالإنسان الذي يريد أن يكون من الصالحين يجب أن يكون له عبرة في كل شيء:

﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ (٢ الحشر).

يقول: فوصلت العقرب إلى الشاطئ الآخر، وقفزت من على ظهر الضفدع ومشت بسرعة، يقول: فمشيت خلفها فوجدت رجلاً نائماً ونازل من فمه خمر، وثعبان ضخمٌ يريد أن يلدغه، فذهب إليه العقرب بسرعة ولدغه فتفتت في الحال، فأيقظت الرجل وقلت له: ماذا تفعل؟ وماذا يفعل الله معك؟!! أنت نائم وشارب للخمر والله أرسل إليك من ينقذك من الموت المحقق في الوقت والحال، فقال: يا رب لله عليَّ أن أتوب توبة نصوحة ولا أرجع إلى ذنب بعد اليوم.

فعنده قصص من هذه القصص كثيرة جداً، ولذلك الصالحون يحبون هذه القصص الكثيرة لسيدنا ذو النون المصري ﷺ وأرضاه.

حدثت أيضاً له نادرة، فقد ذهب إلى بلد اسمها طرطوس في سوريا على البحر، وهذه الواقعة تبين شدة صدقه وقربه من الله، فقدَّمه الناس وصلَّى بهم، وكانت الروم في هذا الزمان اعتادوا أن يهجموا على هذه البلاد، وعندما يهجمون كان النفير يعمل حتى ينتبه الناس ويحرسون أنفسهم، فسمعوا النفير وهو في الصلاة، فأكمل الصلاة ولم ينشغل، وبعد الصلاة قالوا له: أنت جاسوس، فقال لهم: لماذا؟ قالوا: كيف تسمع النفير ولا تُنه الصلاة سريعاً، فانظر لرده، قال لهم: إنما سُميت صلاة لأنها اتصال بالله تعالى، وما حسبت أن أحداً يكون في الصلاة فيقع في سمعه غير ما يخاطب به مولاه.

يعني أنه لم يكن يظن أن أحداً يكون في الصلاة ويسمع أحداً غير ما يكلم به المولى ﷻ، وهذا يدل على مبلغ الصفاء والنقاء الشديد الذي جمَّله به مولاه ﷻ.

وأيضاً من عناية الله تعالى به يقول: أصابني ضيقٌ شديد، فبتُ أتفكر ماذا أفعل؟ ففكرت أن أمشي وأذهب لأحد من إخواني حتى يفك عني هذا الضيق، يقول: فسمعتُ قائلاً في النوم يقول لي: أيجمُل بالحُرّ المريد إذا وجد عند الله ما يريد أن يميل بقلبه إلى

العبيد؟!. انظر إلى الرعاية وإلى العناية كيف تكون !!

يعني ما دام الله يرعاه ... فهل يتجه إلى خلق الله؟!! لا.

محنته

لكن لما فتح الله عليه – كما قلنا سابقاً – بدأ يتكلم في علوم لم يسمعها الناس في بلده ولا في مصر من قبل، فالناس كانوا يتكلمون في الفقه وفي الحديث وفي السيرة وفي العلوم الشرعية، وهذه أول مرة يسمعون كلاماً في الولاية، وكلاماً في منازل المتقين، وكلاماً في معرفة الله، وكلاماً في أهل ولاية الله.

وبالطبع فإن الواقفين عند الحدود الشرعية لا يعجبهم هذا الكلام، فاتهموه بالزندقة، وزنديق يعني أنت خارج عن نطاق الدين، وكانت مصر في عصرها ولاية تابعة للدولة العباسية، وكان الخليفة العباسي في زمنه الخليفة المتوكل، فشكوه وأرسلوا إلى الخليفة المتوكل بأنه يوجد زنديق سيغير الناس كلهم.

فأرسل المتوكل للوالي في مصر ليرسله، لتعرفوا أن أشد الناس بلاءاً بعد الأنبياء الأولياء، كما سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ:

{ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟، قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ }[٧٣]

فأرسل إليه وأخذوه مقيَّداً إلى أن وصل إلى بغداد ليدخل على الخليفة، وهذا الكلام كان سنة ٢٤٤ هجرية، ومن يتق الله يؤيده الله ﷻ بالصالحين من خلق الله رجالاً أو نساءاً، يقول: فتركوني أمام باب المتوكل في الخارج، فوجدت امرأة عجوز جاءتني وقالت لي: إذا دخلت على المتوكل لا تهابه، ولا تراه فوقك، ولا تحتجَّ لنفسك محقاً كنت أو متهماً، لأنك إذا هِبته سلَّطه الله عليك، وإن حاججت عن نفسك لم يزدك ذلك إلا وبالاً، فإن كنت بريئاً فادعو الله أن ينتصر لك، ولا تنتصر لنفسك فيكلك إليها.

أرسل له الله هذه المرأة حتى تعطي له هذه النصيحة، فيقول: عملتُ بالنصيحة، فدخل على الخليفة فسأله: ما رأيك فيما يتهموك به؟ فلم يتكلم، فقال له: لِمَ لم تتكلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين إذا قلت لا أكذبت المسلمين – يعني كذَّبت المسلمين الذين يتهموني بهذا الإتهام وإن قلت نعم كذبتُ على نفسي بشيء لا يعلمه تعالى الله مني،

---

٧٣ سنن ابن ماجة والدارمي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

فافعل ما ترى، إنني غير منتصرٌ لنفسي.

ففوراً قال المتوكل: هذا الرجل بريء، وقال له: عظني، فوعظه، فبكى المتوكل من وعظه وقال: إن شئت أقمت عندنا على الرحب والسعة، وإن شئت رددناك معززاً مكرماً.

وكان يذكره على الدوام ويقول: إذا ذُكر ذا النون فهيهلا بصاحب الورع. يعني الرجل الورع.

ورعه

ومن ورعه في هذه المدة أنه قد سُجن أربعين يوماً قبل أن يدخل للمتوكل، فإحدى الصالحات كانت ترسل له كل يوم رغيفاً وتقول له: هذا طعام حلال، وبعد أن أنهى الأربعين يوماً خرج من السجن فوجدوا الأربعين رغيفاً كما هي لم يأكلها، فقالوا له: لِمِ لم تأكل منها مع أنها حلال؟ فقال لهم: لأنها جاءت على يد ظالم وهو السجَّان، أي حارس السجن، فامتنع عن أكلها في هذه المدة لأنه كان أهم ما يحرص عليه كالصالحين أجمعين اللقمة الحلال.

علمه

كان عالماً في كل المجالات، فغير أنه كان واعظ يعظ الناس مواعظ بالغة، وله مجالس وعظ مشهورة في القاهرة والجيزة وغيرها، لكن كان له كتب، فقد ألَّف كتب في علوم الكيمياء، وألَّف كتب في العلوم الدينية منها (صفة المؤمن والمؤمنة) ومنها (رسالة في ذكر مناقب الصالحين) وله قصص عملها في كتب ويُعتبر من أول من كتب القصص في كتب.

وكان كذلك شاعراً، فله شعر في العلم، وفي الكيمياء، وله شعر في التصوف، وله شعر في كل المجالات، ويكفيه شرفاً أن أول من كتب عنه الشيخ محي الدين بن عربي، وعمل عنه كتاباً سماه (الكوكب الدريُّ في مناقب ذي النون المصري) وناهيك بمحي الدين بن عربي.

وكذلك الحافظ السيوطي عمل عنه كتاب سماه (السر المكنون في مناقب ذي النون)، وكذلك الإمام أبو نعيم الأصفهاني صاحب حلية الأولياء، وكان مُحدثاً وأملى

كتاب حلية الأولياء في عشر مجلدات من ذاكرته دون أن يرجع إلى مرجع، وفيها أحاديث برواة السند، ولهم أقاويل يرويها أيضاً كذلك، فعمل كتاب كبير أيضاً عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه.

المشكلة أن هذه الكتب موزعة في مكتبات العالم ...

فمنها في فرنسا، ومنها في بريطانيا، ومنها في الهند، ومنها في تركيا، ومنها في سوريا، ومنها في السنغال، توزعت في مكتبات العالم، وتحتاج إلى عدد من الباحثين المجدين المجتهدين يذهب إلى هناك ويصور هذه النسخ ويأت بها حتى يجمع تراث هذا العالم الورع ذو النون المصري ﷺ وأرضاه.

أسس جهاد النفس

ذو النون كان صوفياً ملتزماً بالشريعة في كل تصرفاته، وكان يربط بين الحقيقة والشريعة، وعلم الباطن وعلم الظاهر، وأساس التصوف عنده مجاهدة النفس، وبعدها المحبة، وبعدها المعرفة.

وجهاد النفس عنده يقوم على أُسس أربعة:

١- حب الجليل وهو الله ﷻ.

٢- بُغض القليل، أي القليل من العمل الصالح، يعني لا بد أن يُكثر من العمل الصالح.

٣- اتباع التنزيل، وهو القرآن الكريم.

٤- خوف التحويل ...

يعني يخاف أن يتحول قلب الإنسان في أي لحظة من اللحظات:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (٨آل عمران).

هل يوجد منهج أصَّح من هذا؟!!

منهج جامع مانع للشريعة والحقيقة.

علامات القلب المريض

وعندما كان يذهب إليه أحدٌ يكشف عليه ويقول:

علامة القلب المريض أربع أشياء:

العلامة الأولى: ألا يجد حلاوة للطاعة، يعني يؤدي الصلاة ولا يشعر بحلاوة، ويقرأ القرآن ولا يشعر بطلاوة، وهذا دليل على أن الإنسان يجب أن يصحح نواياه ويصحح الإخلاص والقصد في قلبه لله تبارك وتعالى.

العلامة الثانية: ألا يخاف الله، أهم علامة للمريد عندنا ونعرف بها أنه مريد سعيد أن يخشى الله ويراقب الله، ويعلم أنه يطلع عليه ويراه.

العلامة الثالثة: ألا ينظر إلى الأشياء بالعبرة، فالمريد السالك في طريق الله في كل شيء يكون له عبرة يعتبر بها، حتى يمشي في الإتجاه القويم المستقيم، لأنه لو لم يكن له عبرة ربما يتمادى في الباطل، وربما يزيد في الغي لأنه ليس له شيء يعتبر به ويرده إلى الطريق السوي.

العلامة الرابعة: ألا ينال من العلم ما يتأدب به، يعني قد يمكث مع الصالحين سنين، ويكون قد سمع علوم تجعله عالماً من العلماء الكبار، لكن ما الذي ظهر عليه من تأثير هذه العلوم في أخلاقه وسلوكياته وأحواله؟!، وهذا سؤال دائماً أسأله، فقد كنت أقول لنفسي: لِمَ لا أرى أحداً أو مجموعة من الأحباب من حولي صادقين في القول، ولا يتحولون عن الصدق مهما كانت الأسباب؟ لا أجد.

فهناك أُناس يستسهلون الكذب، والأشد من ذلك أن البعض يرى أن الكذب ليس ذنباً، ويراه كأهل هذا الزمان مخرج أو فهلوة، فيكذب ليخرج من هذا المطب، وهذه مصيبة المصائب، لكن الذي يريد أن يكون مع الصادقين فيعمل حتى بقول سيد الأولين والآخرين:

{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا }[٧٤]

حتى في المزاح واللعب، لأن المرأة عندما قالت لابنها الصغير لو أحضرت كذا لأعطيتك تمرة، وذهب وأتى لها بطلبها فأعطته التمرة، قال ﷺ:

---

٧٤ معجم الطبراني عن ابن عمررضي الله عنهما

{ أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذِبَةٌ }[٧٥]

لو لم تُعطها له لكُتبت عليها كذبة، ولحاسبها الله ﷻ عليها يوم القيامة.

متى يتحقق الإنسان أن هذا المريد سالك على المنهج الرشيد، ولا يخشى عليه من الوعيد، ولا من البعد عن الحبيب المصطفى؟ إذا كان يرى في كل الأوقات أن الله يطلع عليه ويراه، فوصل إلى مقام المراقبة، ومن لم يصل إلى مقام المراقبة ويرى أن الناس لا يرونه فيفعل ما يريد، فهذا يبكي على نفسه دماً وليس دمعاً، لأنه ليس له شأن بهذا الطريق.

وبعضهم يظن أن الصالحين مأمورين بالستر فلا يكشفوه فيكذب عليهم هو الآخر، ولا يعرف أنه يدخل في الحديث:

{ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا }[٧٦]

فلا تلومنَّ إلا نفسك:

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾ (٤٦ فصلت)

هذه موازين وضعها الشارع ﷻ نزن بها المريدين، حتى لا نعطي لأحد إلا ما يستحقه من عند رب العالمين تبارك وتعالى.

والسالك القويم المستقيم يخشى خشية شديدة من مثل هذه الأمور، إياك أن تحاول أبداً أن تكذب في أي أمر ولو كان فيه نجاة رقبتك، فإن كان الكذب يُنجي فالصدق أنجى.

اسم الله الأعظم

ولذلك أحد الناس رأى من سيدنا ذي النون كرامة – وهو له كرامات كثيرة – فأسرع وأمسك به وقال له: أنت معك اسم الله الأعظم، ولن أتركك حتى تعلمنيه، فأخذ يحاول أن يتخلص منه فلم يستطع، فقال له: يا هذا إن راق قلبك فادعو بما شئت فذاك اسم الله الأعظم.

---

٧٥ سنن أبي داود والأحاديث المختارة

٧٦ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

وهل اسم الله الأعظم اسم من الأسماء؟ لا، لكن إذا صفا القلب فادعو فإنك قد دعيت باسم الله الأعظم.

واحد آخر من جدة مكث معه سنة، يريد أن يتعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وبعد سنة قال له: أنا لي معك سنة وقد اشتقت لأولادي وأريد أن أذهب إليهم، فعلمني اسم الله الأعظم، فقال له: خذ هذه الهدية وأوصلها لفلان في الروضة وهي المنيل الآن، والهدية كانت عبارة عن صندوق مغلق، فأخذها ومشى، فلما وصل إلى الجسر بين الجيزة والمنيل سمع صوتاً في الصندوق، فقال في نفسه: أأحمل الصندوق ولا أعرف ماذا فيه؟! ففتح الصندوق فوجد فأرة، فقفزت في الماء، فرجع مسرعاً ولكنه مخزياً وخجلاً، فلما رآه الشيخ عرف وقال له: أتريد أن أئتمنك على اسم الله الأعظم، وأنت لا تُؤتمن على فأرة؟!!، فانظر إلى تربيته للرجال ﷺ وأرضاه.

أقواله الحكيمة

له أقوال كثيرة جداً كالجبال: ..

وكلها حِكمٌ إلهية إلهامية تهمنا كسالكين، واخترت بعضها.

رجل قال له: من السفلة من الخلق؟

قال: من لا يعرف الطريق إلى الله تعالى، ولا يتعرَّف عليه.

واحد آخر قال له: ما العلامة التي يعرف العارف أنه طُرد بها من حضرة الله؟ قال له: بانقطاعه عن ذكر الله.

إذا كان يذكر الله وتوقف فجأة فهذا دليل على أن الله طرده ولا يريده، لأن الله إذا أحب عبداً ألهمه ذكره.

وآخر قال له: ما العلامة التي نعرف بها أن هذا العبد الله مُعرض عنه؟ قال له: أن تراه ساهياً لاغياً مُعرضاً عن ذكر الله.

إذا وجدته سارحاً دائماً، وكل كلامه في اللغو واللهو، ومُعرضاً عن ذكر الله، ولا يجد انشراح صدر أبداً، فلا يذكر الله وحده، ولا مع جماعة، فهذه أمور غريبة نراها الآن، أحد الصالحين انقطع عن دخول المسجد إلا لصلاة الجمعة أربعين عاماً، فسألوه:

لِمَ انقطعت عن دخول المسجد؟ قال: كلما أردتُ أن أدخل المسجد أشم نتن رائحة القلوب فأفر.

لأن الدنيا اسمها جيفةٌ قذرة، والذي يُحب الدنيا بداخله جيفة ولا يشعر بها، لكن الصالحين من علاماتهم الأصلية البدائية الشم، كيف يعرف أن هذا رجلٌ صالح؟ يشم له رائحة طيبة فيعرف أنه من الصالحين أو من المؤهلين، فإذا شم رائحة نتنة فيعرف أن هذا من المطرودين لا ينفع في هذا الطريق بالمرة.

وقال: من لم يفتش على الرغيفين من الحلال لم يُفلح في طريق الله.

لا تغتر بالمظاهر، انظر أولاً للإنسان كيف حاله في الحلال؟ فالواحد منهم كان يفتش في الحلال، حتى أن الحارث المحاسبي كان يحاسب نفسه، فأبوه كان تاجراً كبيراً، وورث منه ثمانين ألف ديناراً، فلم يُرد أن يأخذهم، فسألوه لماذا لم تأخذهم؟ قال: لأنه كان يقول بقول جماعة من المغرضين من أهل التأويل، والرسول قال:

{ لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى }[٧٧]

إلى أن وصل إلى أن أصبح في يده عرق ينفض إذا امتدت يده إلى لقمة غير حلال، وهذه علامة على أن هذا الأكل حرام.

ولذلك سيدي أبو العباس المرسي ﷺ وأرضاه أحد الناس دعاه إلى طعام وأراد أن يمتحنه، وهذا يحدث مع الصالحين، فجاء له بدجاجة مخنوقة وسوَّاها وقدمها له، فوقف وقال: إذا كان الحارث المحاسبي عنده عرقٌ ينفض، فأنا كلي عروق تنفض، هذه الدجاجة تقول: إني مخنوقة!، وهذه أحوال الصالحين.

واحد منهم عزمه السلطان هو والدراويش، والدراويش مساكين، فقدم لهم لحم حلال وخلط معه لحم ميت، فقال لهم الشيخ: لا يأكل أحد منكم إلا من يدي، فاللحم الحلال يعطيه لهم، واللحم الميت يلقيه، لأنه لو تركهم سيأكلون كل شيء، لكن هذه أحوال الصالحين.

وقال نصيحة للمريدين ونحن نحتاجها كلنا أجمعين: من نظر في عيوب الناس، عمي عن عيب نفسه.

لا شأن لك يا أخي بعيوب الناس:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ (٣٠النور)

---

٧٧ سنن أبي داود وعون المعبود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

يعني عن العيوب، وهل يوجد أحدٌ منا خالي من العيوب؟ انظر إلى محاسن الغير، وليس لك شأنٌ إلا بعيوب نفسك.

سيدنا عيسى كان يمشي مع الحواريين، فقابلوا كلباً ميتاً، فقالوا: ما أنتن رائحة هذا الكلب، فقال لهم سيدنا عيسى؟ ما أجمل بياض أسنانه.

هم ينظرون إلى السوءات ليُظهروها، وهو ينظر إلى المحاسن ليُظهرها، كذلك السالك في طريق الله.

فلان كذا وكذا، ما شأني بذلك؟! فهذه مبادئ أسسها الرجال، ومن يُريد أن يكون رجلاً من الرجال لا بد وأن يسير على منهج الرجال.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

وقال لنا أيضاً في الأدب: يا معشر المريدين من أراد منكم الطريق فليَلقى العلماء بالجهل والزهاد بالرغبة وأهل العلم بالصمت.

إياك أن تتفاخر أمام العلماء وتتكلم أنت، وهذه مشكلة أعاني منها كثيراً، لأن كثير من الأحباب يقول لي: إن فلان يريد أن يجلس معك على انفراد، وهذا الذي يريد أن أجلس معه على انفراد يريد أن يحكي لي قصة حياته من الألف إلى الياء، وماذا أفعل بهذا؟ ولا يريد أن يترك شيئاً، حتى لو ترك شيئاً يقول لي: أكملها لك مرة ثانية، وما شأني وهذا؟! لماذا تشغلني به؟!

أنت تسألني عن سؤال أو حكم شرعي، ... لكن حياتك لا شأن لي بها.

يجلس مع العالم ويريد أن يبين علمه، فالعالم يتكلم في مسألة فيدخل ويتكلم، فهذا لن يتعلم، ولذلك قالوا:

إذا جلست مع العالم فأمسك لسانك، وإذا جلست مع العارف فأمسك قلبك – يعني الخواطر – وإذا جلست مع العالِم العارف فأمسك قلبك ولسانك.

لكن وأنت قادم في الطريق لمقابلة الشيخ تحاول أن تجهز كم قصة لتحكيهم للشيخ، فأنت هكذا أصبحت شيخاً، ولذلك أنا مشايخي كثيرون من الأحباب، فهو يريد أن يتكلم وأنا أسمع فقط!!.ومن كلامه ﷺ وهذه نصيحة غالية: ما أكلت طعام امرئ بخيل ولا منان إلا وجدت ثقله على قلبي أربعين صباحاً.

فقد قالوا: طعام البخيل داء، وطعام الكريم دواء، فطعام البخيل يمكث أربعين يوماً يشعر بثقله، والمنان الذي يقول: أنا عملت كذا وأطعمت كذا وعملت لهم كذا، فهل أنت من عمل أم الله هو الذي أعانك وعملت؟!!.

وفاته

ومن حكاياته الغريبة أنه لما مرض قيل له: ما تشتهي؟ قال: أن أعرفه قبل مماتي ولو للحظة.

وعند النزع قالوا له: أوصنا، فقال: لا تشغلوني فإني متعجبٌ لسر لطفه.

يجري عليَّ ألطافاً خفية وأنا أتعجب منها، فلا تشغلوني بهذا الكلام.

ولما جاء أوان موته جاء سيدنا رسول الله ﷺ إلى سبعين رجلاً من الصالحين في بلاد مصر، لأن الرؤيا المنامية كانت الوسيلة للإبلاغ في هذا الوقت، فلم يكن عندهم اتصالات ولا تلغراف ولا شيء من هذا، وكلما يأتي لأحدهم يسأله: لم جئت يا سيدي يا رسول الله؟ يقول له: إن حبيب الله ذو النون يزعم المجيئ إلينا، وقد جئت لاستقباله، فيصبح الرجل الصالح هو ودراويشه يذهبون إلى الجيزة، وفي اليوم الذي توفى فيه مع قلة عدد سكان مصر كان عدد الحاضرين للجنازة أكثر من ستمائة ألف.

فصلوا عليه صلاة الظهر، فلما رأوا هذا العدد الكبير قالوا: الجسر لن يتحمل، فلم يكن كوبري قصر النيل، بل كان جسراً مصنوعاً من الخشب، فماذا يفعلون؟ أتوا بقارب ووضعوه فيه لينقلوه للجهة الأخرى من النيل لأنه كان قد أوصى أن يُدفن في المقابر خلف الإمام الشافعي ﷺ وأرضاه.

والجو كان شديد الحرارة، وأشعة الشمس الساطعة مع صلاة الظهر، فأرسل الله طيوراً خضراً تغطي رؤوس المشيعين، وترفرف بأجنحتها فتأتي بالهواء لهم، حتى وصلوا به إلى مثواه الأخير ﷺ وأرضاه في القرافة الوُسطى، وكان ذلك عام ٢٤٥ هجرية.

ﷺ وأرضاه، ورزقنا الله تبارك وتعالى أن نسير على هديه وهدِّي من شابهه من الصالحين أجمعين.

وصلى الله وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

الإمام الجنيد

رضي الله عنه[٧٨]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي رقانا وأدنانا وحبانا وجعلنا من أحباب الصالحين، والصلاة والسلام على إمام الأتقياء، وتاج الأولياء، والشفيع الأعظم لجميع الخلق يوم العرض والجزاء، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الحقيقة كما قال الإمام الجنيد ﷺ: حكايات الصالحين جندٌ من جند الله، تقوي من عزائم المريدين في السير إلى الله تبارك وتعالى، فقالوا: هل لك من دليل؟ فقال: قول الله ﷻ:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾ (١٢٠هود).

وعندما يقرأ الإنسان في حكايات الصالحين يزن أحوال نفسه بأحوالهم، ويرى ما فيهم من كمال، وما في نفسه من عيوب ونقص فيتلافاه ويتحاشاه، ويكمل نقصه بما يراه من أخلاقهم وأحوالهم العظيمة علَّه يلحق بهم، وهذه الفائدة الأعظم، وإن كان هناك فوائد لا تُعد ولا تُحد في حكايات الصالحين.

وحديثنا الآن عن الإمام الجنيد وهو الإمام أبو القاسم الجنيد الخراز البغدادي القواريري، سُمي الخراز لأنه كان يبيع الحرير، وكان له حانوت في سوق بغداد التي وُلد فيها يبيع فيها الحرير، وكان كل الصالحين في هذا الزمان يشتغلون في التجارة، ولا يحاولون بل يرفضون بالمرة العمل في الدواوين الحكومية من شدة ورعهم في أخذ أرزاقهم، ولقوله ﷺ:

{ تِسْعَةُ أَعْشَارِ الرِّزْقِ فِي التِّجَارَةِ }[٧٩]

والتجارة كان مبدأهم فيها قول الله تبارك وتعالى:

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٣٧النور)

عينه على هذه الآية ليكون من أهل العناية، وليس عينه على المكسب المادي

٧٨ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ٢٧ من شعبان ١٤٤٣ هـ ٢٠٢٢/٣/٣٠م
٧٩ رواه ابن أبي الدنيا، وابن حجر في المطالب العالية

السريع، أو العُلو في الدنيا بغير حق، وإنما يريد أن يكون من أهل هذه الآية ليخصُّه الله تبارك وتعالى بهذه العناية.

وسُمي القواريري لأن والده كان يعمل في صُنع القوارير، والقوارير هي الآنية المصنوعة من الزجاج، وهو لم يمتهن مهنة أبيه، فأبوه كان له مهنة، وهو له مهنة.

مولده ونشأته

وُلد الجُنيد سنة ٢١٥ هجرية، وأبوه توفى وهو صغير، فتولى تربيته خاله وكان اسمه السَرِيّ السقطي، وكان رجلاً من كبار الصالحين، ولذلك نشَّأه على هذه التنشئة النورانية.

ما خطواته في الطريق إلى الله؟ هي نفس الخطوات التي حكيناها وسنحكيها عن كُمَّل الصالحين الأكابر، والجُنيد خُصَّ منهم لأن الإمام القُشيري كان يقول عنه: سيد الطائفة، وكان الصالحون في زمانه يسمونه تاج العارفين، لأنه أول من أصَّل التصوف على الشرع الشريف والقرآن والسُنَّة.

طلبه للعلم

بدأ حياته كحياة كل الصالحين بطلب العلم، فحفظ القرآن وطلب علم الحديث، وأخذ يتلقَّى علوم الفقه.

والإمام الشافعي ﷺ وأرضاه وكان قبله بقليل كان قد ذهب إلى بغداد، وجعل له هناك مذهباً يُسمى مذهب الشافعي القديم، وعندما جاء إلى مصر بعدها وجد أن أحوال مصر وأهلها تختلف عن أحوال العراق وأهلها فجدد فقهه، وجعل منهجاً جديداً في فقهه يُسمى المنهج الجديد، حتى نعلم أن علم الشريعة يصلُح لكل زمان ودولة ورجال ومكان.

والذي حمل المذهب القديم عنه في بغداد كان فقيهاً مشهوراً يُسمى أبو ثور، وهو الذي تلقى عنه الإمام الجُنيد الفقه ولازمه، حتى أنه من شدة نبوغه أذن له شيخه أبو ثور أن يُفتي ويُدرِّس وهو جالسٌ في مجلسه وكان عمره وقتها عشرون عاماً، لنعرف مدى جد واجتهاد هؤلاء الرجال.

وكان يقول: (فتح باب كل علم نفيس بذل المجهود) أول مجهود ينبغي أن يبذله

أي مريد في طريق الله في طلب العلم، لأن الشيطان لا يدخل للإنسان إلا من باب الجهل، فكلما علمت حكماً عجز الشيطان عن الدخول إليك منه، فإذا تعلمت وتبحرت في الفقه دخلت في قول الله:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (﴿٤٢﴾الحجر).

واجتهد في طلب العلم حتى قال قولة غريبة وعجيبة، قال:

(ما أخرج الله علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً، إلا وقد جعل لي فيه حظاً ونصيباً)

يعني تبحَّر في كل العلوم التي تملأ بقاع الأرض مع العلماء على اختلاف أصنافهم وعلومهم، وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول: (كان الجُنيد قطباً في العلم).

تأسيس المذهب الصوفي الوسطي

فأساس التصوف هو العلم المبني على كتاب الله، وعلى سُنَّة رسول الله ﷺ، ولذلك جعل مبدأ التصوف قوله: (من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث، لا يُقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا مقيدٌ بالكتاب والسُنَّة)

وهذا تأسيس المذهب الصوفي الوسطي الشرعي المعتدل مع الصفاء والنقاء الذي أسَّسه الجُنيد، ولذلك سموه سيد الطائفة.

ونأخذ من هذا الرجل في حياته كلها أمراً عجباً، أنه كان لا يُضيع نَفَساً في غير مرضاة الله، أي نَفَس يتنفسه لا بد أن يكون في طاعة لله تبارك وتعالى، حتى وهو غلامٌ صغير عمره سبع سنوات يحكي عن نفسه فيقول: كنت ألعب بين يدي السريّ خالي، وكان معه جماعة من الصالحين يتحدثون عن الشكر، وكل واحد منهم أدلى برأيه، قال الجنيد: فاستدعاني وقال لي: ما الشكر؟ قلت: الشكر ألا تَعصي الله بنعمه، فقال لي: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك، قال الجنيد:

هذه المقولة ظلت تؤرقني طوال حياتي، خائف أن يكون حظه من الفتح اللسان وفقط، لأنه يريد شيئاً أعظم من اللسان.

وكان يقول لمن يُعلِّمهم:

(إن للعلم ثمناً، فلا تعطوه حتى تأخذوا ثمنه، قيل له: وما ثمنه؟ قال: وضعه عند من يُحسن حمله ولا يضيعه) ..

يعني لا تُعلِّم أحداً يقوم من أمامك وقد نسي ما تعلَّمه، بل لا بد أن يطلب العلم للعمل، ولا يُثبت العلم إلا العمل، فكلنا تعلمنا كثيراً، فلِمَ ننسى؟ لأننا لا نعمل، ما الذي يُثبِّت العلم؟ العمل.

حرفته

ومع طلب العلم كان له عملٌ يقتات منه، وهذا مذهب الصالحين المتبعين لأمير الأنبياء والمرسلين، فكان يذهب كل يوم إلى دكانه ويمارس متطلبات مهنته وهي بيع الأقمشة الحريرية، لكن – كما قلت – تجارته لم تلهه عن ذكر الله، فكان عندما يخلو المتجر من الزبائن يُرخي الستارة ويصلي لله في داخل المتجر حتى يحضر زبائن آخرين، فقد رُوي عنه أنه كان يُصلي كل يوم في متجره ثلاثمائة ركعة، لأنه لا يضيع الوقت:

﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٣٧النور)

فإذا جاء زبائن يتعامل معهم سريعاً ولا يجادل ولا يفاصل ويساوم أوقات طويلة، فإذا انتهى يشد الستارة ويصلي خلفها، وهذا أيضاً غير طلبه للعلم.

فانظر إلى بركة الوقت، يبيع ويشتري ويصلي لله هذا العدد ويطلب العلم، ويُدَرِّس العلم، لأن الصالحين تحفُّهم البركة من الله وهي التي تجعل أحوالهم وأعمارهم وأنفاسهم كلها مباركة بإذن الله تبارك وتعالى.

إذنه بالدعوة

والجُنيد عندما تبحَّر في العلم طلب إخوانه من شيخه السريّ السقطي أن يحدثهم، وقالوا له: مُر الجُنيد أن يحدثنا بما فتح الله عليه، ولكنه لم يستجب، وقيل أنه جاءه ثلاثون من الأبدال يطلبون منه أن يبلغ دعوة الله وأن يُحدِّث الخلق لكنه كان عنده في قلبه شيء يريد أن يتأكد منه، يريد أن يكون:

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ (٤٦الأحزاب)

حتى جاءه الرسول ﷺ مناماً وقال: يا جُنيد حدِّث الناس بعلمك لينتفعوا بك، وكان ذلك قبل الفجر بساعة تقريباً، فذهب مسرعاً إلى بيت السري السقطي شيخه وخاله، وكان هذا الكلام في ليلة جمعة، ودق عليه الباب، فقال له السري قبل أن يفتح: لم تصدقنا حتى قيل لك!! لأنهم لم يتكلموا أيضاً إلا بإذنه.

وفي الصباح ذهب إلى المسجد، وكان الجُنيد أول صوفي يعقد جلسته أو مجلسه العلمي في أكبر مساجد بغداد وهو مسجد المنصور، فجلس والتفَّ الخلق حوله، والناس في زمانه كانوا يلبسون العمامة، وهذا كنا نراه لعصر قريب في القرى، لماذا؟ لأن الرسول ﷺ كان يقول:

{ الْعَمَائِمُ تِيجَانُ الْعَرَبِ }[٨٠]

يعني تاجٌ على رأسه، وكما ورد في الأثر: (تعمموا فإن الشياطين لا تتعمم) لذلك كان يلبسها الناس، وكان في أيامهم يُعرف المسلم بأنه يلبس العمامة، ويُعرف غير المسلم بأنه لا يلبس العمامة.

وفي بداية مجلسه جاء رجل يلبس عمامة، وقال:

يا جُنيد: ما معنى قول الرسول ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[٨١]

فنظر إلى الأرض وسكت، ثم رفع رأسه وقال: معناه أنه آن أوان إسلامك يا نصراني فأسِلم، فأسلم الرجل، وقال: لقد امتحنت قبلك ثلاثين رجلاً بهذه الطريقة فلم ينجحوا، لأنه كان يريد أن يرى هل معه الفراسة أم لا، والجنيد كان صاحب فراسة نورانية إلهية.

مجالسه العلمية

كان يعقد المجلس العام في مسجد المنصور وهو أكبر مسجد في بغداد، وكان يعقد مجالس خاصة لخاصة الخاصة وكان عددهم احدى عشر أو اثني عشر وكان لا يزيد العدد عن عشرين، لأن هؤلاء الخاصة، وحديث الخاصة غير حديث العامة، فهؤلاء لهم حديث هؤلاء لهم حديث.

ومعظم مشاكل المتحدثين في رحاب الصالحين تحدث بسبب أنه يسمع حديثاً خاصاً ونفسه لا زالت حية، فيريد أن يظهر أنه معه علوم ليست موجودة عند الناس، فيُحدِّث العوام، والعوام ليس شرطاً أن يكونوا أُميين، فقد يكونوا عوام ومعهم دكتوراه في

---

٨٠ مسند الشهاب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٨١ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

مجال ما، ولكنهم عوام في هذه الناحية، فيحدِّثهم بالأحاديث الخاصة فلا يستوعبوها ويبدأوا في مهاجمة الصوفية، وينعوا على الصوفية، ويقدحوا في الصوفية، لماذ؟ لأنه أخرج الكلام لمن لا يستطيع أن يتحمله.

فكان الإمام الجُنيد ﷺ في مجلسه الخاص يقول لهم عندما يدخلون: أجيفوا الباب يعني أغلقوا الباب من خلفكم حتى لا يأتي أحدٌ بغير إذن، وإذا دخل أحد سكت أولاً، فإذا كان أهلاً للكلام يُكمل الحديث، وإلا يغير الحديث إلى حديث عام حتى لا يُظهر البضاعة لغير أهلها، وهذا قوله ﷺ:

{ إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ فِي قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا تَكَلَّمُوا بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ الْجَاهِلِ فَتَظْلِمُوهَا، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ، كُونُوا كَالطَبِيبِ الرَّفِيق يَضَع الدَّوَاءَ فِي مَوْضِعِ الدَّاءِ }[٨٢]

التصوف والشريعة

الإمام الجُنيد ﷺ وأرضاه كان حريصاً على أحكام الشريعة المطهرة كلها، والعبادات التي جاء بها الشارع ﷺ جميعها، فبالنسبة للصيام كان مبدأه العام أن من أراد الفتح فعليه بالجوع والصيام، ولا ينفع الفتح والبطون ملأى بالطعام، ويقول لمن يصلي ولا يجد حلاوة الصلاة: (يقوم أحدهم في صلاته فيجعل بينه وبين الله تعالى زنبيل طعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة أو يسمع فهم الخطاب) يعني تجعل بينك وبين الله مخلاة مليئة بالطعام، وتريد أن تشعر بحلاوة المناجاة!!. من الذي يشعر بحلاوة العبادة وحلاوة المناجاة؟ الذي يديم العمل بقول حبيب الله ومصطفاه:

{ نَحْنُ قَومٌ لاَ نَأكُل حَتَّى نَجُوع وإِذَا أَكَلنَا لاَ نَشْبَع }[٨٣]

لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع، فمن أين يأتينا المرض؟! سواء المرض الظاهر أو الباطن.

وكان يقول: (ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا)

وهذا الكلام معظم المعاصرين يكون التصوف عندهم عبارة عن كلام يدرسوه في الجامعات، فهل يوجد جزء عملي لهذا الكلام؟ لا يوجد، وخلطوا معه الفلسفة.

---

٨٢ المطالب العالية لابن حجر عن ابن عباس رضي الله عنه

٨٣ زاد المعاد والبداية والنهاية لابن كثير روى عن بعض الوفود وفى سنده ضعف.

وكان يقول: (الصوم نصف الطريق) فقيل: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً كصيام سيدنا داود عليه والسلام، وقد تمرن على الجوع والصيام حتى وصل إلى حال قيل فيه: أنه كان يصوم أربعين يوماً متواصلة لا يفطر إلا كل أربعين يوماً مرة.

وهذا ليس باجتهاد ولكنه بأخذة قوية من رب العباد تبارك وتعالى، فلا يجوز لك أن تجتهد في ذلك، لأنها أخذة ربانية وليست اصطناعاً بشرياً لأنها فوق طاقة البشر.

أما الزكاة فكان حريصاً على ألا يجب عليه نصاب الزكاة، مع أنه تاجر فكان ينفق كل ما تصل إليه يداه – بعد أن يكفي أهله – على الفقراء وعلى إخوانه في طريق الله تبارك وتعالى.

فلم تجب عليه الزكاة، وهذا كإمام القوم الإمام علي ﷺ وأرضاه وكرم الله وجهه إمام الصوفية، فلم تجب عليه الزكاة قط، لأنه لم يدخر حتى يكون معه مبلغاً يجب أن يؤدي عليه الزكاة، ولكن كان دائماً وأبداً ينفقه في مرضاة الله تبارك وتعالى.

ومن عظمته التي يجب أن يتأسى بها الناس في عصرنا، أنه مع سعة تجارته لم يحُج إلا حِجَّة الفريضة فقط، وكان يمكنه أن يحج كل سنة، وكان الحج وقتها ميسر وسهل، ولكنه كان يؤثر بذلك الفقراء والمساكين، كما قال سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ وأرضاه: (لقمة في بطن جائع، خيرٌ من بناء ألف جامع).

فانظر إلى كلام الصالحين!، كلام له وزنه، لأنك تستطيع أن تصلي في الشارع أو في أي مكان، لكن الجوعان ماذا يأكل؟!، فهذه المواساة أولى، والناس الذين يسعون في تكرار العمرة وتكرار الحج، هذا الكلام إذا كان الناس قد شبعوا في البلاد الإسلامية ولم يعد فيها فقير، لكن ما دام فيها فقراء، فبعد الفريضة يكون الأَولى الفقراء.

سر فتحه

ولما سُئل ﷺ وأرضاه عما فتح الله عليه من العلوم، وقيل له: من أين استفدت هذا العلم؟ قال: (من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة) وكان قد جعل لنفسه حجرة صغيرة كخلوة أسفل سُلَّم البيت، فكان يجلس فيها في أوقات فراغه مع الله تبارك وتعالى؛ فلم يضيع وقتاً في التجارة، ولم يضيع وقتاً في المنزل، وإنما وقته كله مع مولاه تبارك وتعالى، وهذه الأحوال هي التي يجب أن نقتدي فيها بالصالحين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

مع شيوخه

كان شيخه – كما قلت – خاله السريّ السقطي، وبعد وفاته صَاحب شيخاً آخر هو الحارث بن أسد المحاسبي، وهذا المحاسبي كان رجلاً شديد المحاسبة على نفسه، حتى أنه ورث من أبيه سبعين ألف درهم، وكان أبوه يميل إلى قول بعض المعتزلة في العقيدة، فرفض أن يأخذ درهماً من تركة أبيه، وقال: قال ﷺ:

{ لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى }[٨٤]

لا يجوز الإرث بين ملتين، وما دام هذا الرجل كان يقول بعقيدة غير عقيدة إجماع المسلمين فلا أرثه، ومن شدة ورعه ظل كذلك حتى كان ينبض له عرقٌ في يده إذا مد يده إلى طعام فيه شُبهة، فيعرف أن هذا الطعام فيه شبهة أو حرام، فلا يأكل منه، ولذلك سموه الحارث المحاسبي.

يحكي حال التلميذ مع شيخه فيقول: كان يأتيني البيت ويقول لي: هيا بنا نتصحَّر – يعني نمشي في الصحراء – فأقول له: أنا في خلوة تُخرجني بين الناس؟ فيقول لي: لا شأن لك بالناس، فأمشي معه في الطريق فلا أشعر بالناس حولي، ثم يقول: سلني – يعني اسألني بما عندك – فأقول له: ليس عندي شيء، ثم ينساب على قلبي سيلٌ من الأسئلة فأسأله عنها فيجيبها ثم يضعها في كتاب، وكُتب الحارث المحاسبي كلها بهذه الكيفية؛ فأحوال الصالحين أحوال عجيبة وغريبة، لأنهم انشغلوا بالله ولم ينشغلوا بسواه، ففتح الله تبارك وتعالى عليهم بالعلوم النافعة، ورزقهم الأنوار الساطعة.

جمعه بين الشريعة والتصوف

ما الذي أشهَر الجُنيد وجعلهم يسمونه سيد الطائفة؟

دوره في ضبط التصوف على قواعد الكتاب والسُنَّة، فجعل قواعد التصوف لا تخرج عن الشريعة طرفة عين ولا أقل، إن كان في العقيدة أو في العبادات أو في أي أمر من أمور توجه المرء نحو مولاه ﷻ.

والذي يتبع التصوف ينبغي أن لا يصدر منه حركة أو سكنة أو قول يجعل الآخرين يعترضون على الصوفية، أو يعترضون على شرع الله تبارك وتعالى، لكن يكون صورة طيبة بما جاء به الحبيب المصطفى ﷺ.

---

٨٤ سنن أبي داود وعون المعبود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

فيقول: (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا طريق واحد هو طريق من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتَّبع سنته ولزم طريقته، فإن الخيرات كلها مفتوحة عليه).

ويقول لمن أراد أن يفتح الله عليه بعلوم وهبية: (من عمل بعلم الرواية، ورَّثه الله علم الدراية) علم الرواية يعني رواية فلان عن فلان عن فلان، فلا بد لعلم الشرع أولاً.

وقال: (إن الله أراد من العباد علمين: معرفة علم العبودية ومعرفة علم الربوبية، وما سواهما هو من حظ أنفسهم).

وهكذا كان من العلماء العاملين رواية ودراية، وكان من كبار الأساتذة في العلم والترقية في طريق الله في نفس الوقت.

موقفه من جهلاء الصوفية

ومن هنا نجد مواقفه التي اشتهر بها في حياته مع الجهلاء الذين ظهروا في عصره وانتسبوا للصوفية، فظهر كثيرٌ من المنتسبين للصوفية في عصره بجهل وبغير علم، ففعلوا أفعال، وقالوا أقوال ينكرها الشرع الشريف، فكان سيفاً مسلولاً على هؤلاء الخارجين على شريعة الله، كان قومٌ منهم يقولون: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقوى إلى الله تعالى، يعني يصلون إلى حال يكون كل ذكرهم قلبي ولا يحتاجون إلى ركوع ولا سجود ولا شيء من هذا، وهذه كلها خرافات، لكنه لم يكد يسمع هذا الكلام المضيع لحقوق الشريعة حتى انتفض ورد عليهم وقال:

(إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهذه عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لن أُنقص من أعمال البر ذرة، إلا أن يُحال بي دونها، وأنه لأوكد في معرفتي وأقوى في حالي).

ولما قيل له: إن جماعة يقولون أنهم وصلوا إلى حال لا يحتاجون فيه إلى الصلاة ورُفع عنهم التكليف، قال ساخراً: (قد وصلوا ولكن إلى سقر) لأنهم كيف يتركون الصلاة التي لم يتركها رسول الله ﷺ، ولا أصحابه من الخلفاء الراشدين، وغيرهم من الهادين المهديين رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين؟!!.

وكان له أيضاً صولاتٌ وجولاتٌ مع أهل الجذب الذين لم يحفظوا جذبهم بالأحوال

الشرعية، لأن المجذوب الحقيقي يكون جذبه في قلبه، ولكنه لا يخالف الشريعة في ظاهره أبداً، يعني لا تجد مجذوباً في شهر رمضان يفطر نهاراً أمام الخلق، ويقول: أنا وصلت، أو يدخل الناس لصلاة الجمعة وهو خارج المسجد ويقول: أنا أُصلي بقلبي، أو أُصلي في مكة أو في المدينة كالتخاريف التي نسمعها ...!! كل هذه خرافات كان يحاربها أشد الحرب ﷺ وأرضاه.

حتى أن الحلاج تلميذ أبي عثمان المكي صاحب (قوت القلوب) جاء للجُنيد، والحلاج كان مجذوباً، لكنه في النهاية لما تعثَّر عقله كان يقول كلاماً لا ينتسب للشرع، فقال له: لم جئت؟ قال: طمعاً في صُحبة الشيخ، قال: أنا لا أجتمع بالمجانين، والصحبة تتطلب كمال العقل، يعني أنا لا أصاحب المجانين لأنه سيُشوِّه صورته.

وكان الحلاج في حضرته ذات مرة وقال: (أنا الحق) فقال له الجنيد: (أنت بالحق أيَّة خشبة تُفسد) وكان ذلك تنبؤاً بصلب الحلاج، وقد حدث، وقال له: (لقد أحدثت في الإسلام ثغرة لا تسدها إلا رأسك) فهو الذي حكم بقتله لأنه أظهر ما لا يطاق في وسط جموع المسلمين، وهذا لا ينبغي أن يكون أبداً.

فكان الجُنيد هو الذي جمع بين الشريعة والحقيقة في منهجه، لا إفراط ولا مغالاة ولا شطح ولا شيء من هذا القبيل، وإنما كان منهجاً صحيحاً معتدلاً، وهذا الذي من أجله سموه (سيد الطائفة) لأنه أول من قعَّد هذا المنهج على وفق شريعة الله ﷻ.

محنته

والجُنيد كان له تلاميذ، منهم الإمام أبو الحسين النوري، وسموه النوري لأنه كان إذا ذكر الله يبيض وجهه ويستنير، ومنهم الإمام الشبلي، ومنهم رجل اسمه سمنون، وسمنون كان جميل الوجه، بهي الطلعة، عذب الحديث، وكان يعظ، فأُعجبت به امرأة، فجاءت إليه وزعمت أنها تريد أن تتلمذ على يديه، فصدها وردها، لأنه ينظر بنور الله تبارك وتعالى، فعرضت عليه أن يتزوجها، فرفض، فماذا تفعل؟ ذهبت المرأة إلى الجُنيد أولاً وحكت له ما دار، فلم يعبأ بها.

وكان في هذا الوقت رجل من القضاة يكره الصوفية، وكان قاضياً سلطانياً يعني مقرباً إلى السلطان العباسي، فذهبت إلى هذا القاضي وكان اسمه غلام الخليل وحكت له أن الجُنيد والنوري والشبلي وسمنون يتحرشون بها وفعلوا بها كذا وكذا وكذا،

فذهب غلام الخليل للخليفة وكبَّر له الأمر، وقال له: هؤلاء الجماعة خارجين عن الشرع وملحدين ويستوجبوا القتل.

فأتوا بالجُنيد وتلاميذه حتى يُقتلوا، وجاءوا بالسيَّاف والجلاد لينفذوا الحكم، وإذا بأبي الحسين النوري يتقدم ويقول للسياف: ابدأ بي أولاً، قال له: ولِمْ؟ قال: أوثر إخواني بساعة يذكرون فيها الله تعالى، فتعجب الرجل من هذا الإيثار في القتل!، يريد أن يُقتل قبل إخوانه ليزيد إخوانه في طاعة الله وفي ذكر الله، فارتجَّ الرجل وقال للخليفة: إن كان هؤلاء ملحدين فما على وجه الأرض موحد، وراجع الخليفة، وتم تبرئتهم أجمعين من هذه النكبة التي تعرض لها الجُنيد وتلامذته.

أصول منهجه الصوفي

ما أصول منهجه الذي نسأل الله أن يعيننا ونمشي عليه؟

الأصل الأول: الحرص على لزوم العلم.

كان يقول لأي مريد: يا فتى الزم العلم ولو وَرَد عليك من الأحوال ما ورد، ويكون العلم مصحوبك، فالأحوال تندرج فيك وتنفذ لأن الله يقول:

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ (٧آل عمران)

الأصل الثاني: العمل بالعلم.

وفيه يقول: (بُني الطريق على أربع: لا تتكلم إلا عن وجود، ولا تأكل إلا عن فاقة، ولا تنم إلا عن غلبة، ولا تسكت إلا عن خشية من الله تبارك وتعالى).

الأصل الثالث: النية الحسنة.

لأنه أساس العمل النية الحسنة، حسِّن نواياك، وصفِّ طواياك، فكان يقول: (من فتح على نفسه باب نية حسنة فتح الله عليه سبعين باباً من التوفيق، ومن فتح على نفسه باب نية سيئة فتح الله عليه سبعين باباً من الخذلان من حيث لا يشعر).

الأصل الرابع: الأخلاق.

كيف أبحث عن الكمال وهو الأخلاق؟ قال: (مبنى التصوف على أخلاق ثمانية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، السخاء وهو لإبراهيم، الرضا وهو لإسحاق،

والصبر وهو لأيوب، والإشارة وهي لزكريا، والغربة وهي ليحي، ولبس الصوف وهو لموسى، والسياحة وهي لعيسى، والفقر وهو لمحمد ﷺ).

يعني الخلاصة أنك تتخلق بأخلاق الأنبياء، وعندما تقرأ كتاب الله وتصل إلى مواضع ذكر الأنبياء تأخذ العبرة من أخلاقهم لكي تتأسى وتقتدي بها:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ (٩٠الأنعام)

لم يقُل: فبهم اقتده، ولكن: (فبهداهم) يعني هديهم الذي كانوا عليه.

وكان يشترط على المريد الذي يريد أن يتبعه المداومة على عدة أمور، فيقول له: (دوام الوضوء، ودوام الصبر، ودوام السكوت، ودوام العُزلة عن الخلق، ودوام الذكر، ودوام نفي الخواطر، ودوام ربط القلب بالشيخ، ودوام ترك الاعتراض على الله تبارك وتعالى) .. حتى وصل به الحال أنه قال لتلميذ من تلاميذه في الترقي وهو الإمام الشبلي ﷺ، وهذا كان من الأتقياء الأنقياء: إذا خطر على قلبك غير الله من الجمعة إلى الجمعة فلا تعد تأتينا.

تربيته الراقية

ما هذه التربية؟! تربية راقية وعاليه، ولذلك كان تعامله مع تلاميذته كله شفافية منه ومن التلاميذ الذين رقاهم.

ذهب الجنيد إلى واحد منهم ليزوره، وكان اسمه خير النساج، فلما طرق الباب يقول خير النساج: خطر على بالي أن هذا هو الجُنيد، ولكن قلت: كيف يأتي إليَّ الآن؟! فطرق الباب مرة ثانية، فجاءه نفس الخاطر ولكن أيضاً قلت: ما الذي يأتى به الآن؟! فطرق الجنيد للمرة الثالثة، فقمت وفتحت الباب، فقال له الجنيد؟ قال: لِمَ لم تفتح عند الخاطر الأول؟!!، ما هؤلاء؟! وما هذه القلوب؟!.

أحد تلامذته واسمه أبو عمرو بن علوان كان في سوق اسمه سوق الرحبة، فمرت جنازة فمشى خلفها، فرأى امرأة وكانت حاسرة – يعني وجهها مكشوف – ودقق النظر، فلما عاد للبيت قالوا له: لماذا لون وجهك قد اسود؟! انظر كيف كان يحاسبهم الله؟ فظل أربعين يوماً يتوب إلى الله حتى يعود وجهه للبياض فلم يعد، اسودَّ وجهه من ذنب واحد فقط، ونحن كم من الذنوب نرتكبها في اليوم؟!!.

فلما علم أنه لا فائدة قال: لا بد أن أذهب للجُنيد، فذهب وطرق الباب فقال له: أدخل يا أبا عمرو، تُذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد؟ ما هذه العلاقة؟ وما هذا الجمال في العلاقة بين الشيخ وبين المريدين؟!.

والأدهى من هذا يقول: رأيتُ ذات مرة في المنام إبليس وهو يرتدي ملابس مهلهلة ولونه أصفر اللون ونحيف، فقلت له: ما الذي غير لونك وما الذي أضعفك؟ هل الناس؟ فقال: وأين الناس؟! ولكن ما فعل بي هذا هم تلامذتك في مسجد الشُنزية، ومسجد الشُنزية كان به مجلس الجنيد مع تلامذته.

فاستيقظ الجنيد قبل الفجر بساعة، وتوضأ وذهب إلى المسجد، فوجد في المسجد أربعة أو خمسة من تلامذته، واحد منهم جالس ورأسه بين ركبتيه، وواحد يُصلي، وواحد يقرأ القرآن، وبمجرد دخوله من الباب رفع الذي رأسه بين ركبتيه رأسه وقال له: يا جُنيد لا يغرنك كلام هذا الخبيث!.

ما هذه التربية؟ كثير من المريدين في البدايات يكون متعلقاً بالرؤيات، لكنه يريد أن يرقيه فيُخرجه من هذه الورطة.

وجاءه واحد منهم وقال له: أنا رأيتُ نفسي وأنت معي في الجنة، فقال له: هل الشيطان لم يجد أحداً يسخر منه إلا أنت وأنا؟! يعني لا تقف عند هذا الحد، فنحن نريد الرؤيا العينية وليست الرؤيا المنامية.

وأحد تلامذته غاب فترة ولم يعد يحضر معهم، فقال لهم: اسألوا عن هذا الرجل لِمَ لم يعد يحضر معنا؟ فذهب إليه بعض إخوانه وسألوه، فقال لهم: إني كل ليلة أبيت في الجنة، قالوا: كيف تبيت في الجنة؟ فقال: يأتيني جماعة ويحملوني ويدخلوني الجنة، ونعمل كذلك حلقة ذكر هناك.

والجنيد يعلم أنه مُلبَّسٌ عليه، والشيطان يضحك عليه، فذهبوا للجنيد وحكوا له ما قاله، فقال لهم: اذهبوا إليه وقولوا له: عندما تشتغل حلقة الذكر قُل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فجاءته الشياطين ليحملوه وذلك ليبعدوه، ونصبوا حلقة الذكر وبمجرد أن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فوجئ بالضرب ينزل عليه من كل جهة حتى أُغشي عليه، فظل نائماً حتى ظهرت الشمس ولسعته، فنظر فوجد نفسه في مزبلة

بغداد، فعرف أن هذا من الشيطان وأنه كان ملبس عليه.

لنعرف أن الجُنيد كان من الرجال، والرجال قليل، ورجلٌ للتعليم والتربية والترقية، لماذا؟ لأن هذه أحوال الصالحين.

وكان يقول ﷺ: (لا تكون عبداً لله بالكلية، حتى لا تبقى عليك من غير الله بقية) يعني لا يكون فيك شيئاً نهائياً لغير الله ﷻ.

ويقول: (ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله العزوف عن الدنيا، كما قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرتُ ليلي وأظمأتُ نهاري).

كتبه

الجُنيد أيضاً له كتب وبعضها مطبوع، وهي ليست كتبٌ كبيرة، فتجد الكتاب حوالي خمس أو ست صفحات فقط، فهو لم يكن يهتم بالكتب، وتلامذته هم الذين جمعوا هذه العلوم وكتبوها في كتب ونقلت عنهم، ومنم كتاب اسمه (السر في أنفاس الصوفية)، وكتاب (الفناء)، وكتاب (الميثاق)، وكتاب (مسائل في التوحيد) وكتاب في (الألوهية)، وكتاب في (الفرق بين الصدق والإخلاص)، وكتاب عن (أدب المفتقر إلى الله)، ومسائل في (السُكر والإفاقة)، وكتاب (دواء التفريط)، وكتاب (دواء الأرواح)، وهذا غير رسائل كثيرة كان يرسلها لأحبابه، وكلها أيضاً تحوي علومه.

وفاته

الشيء الغريب العجيب الذي نقف عنده لحظة وفاته، هذا الرجل توفى في آخر ساعة من نهار الجمعة ببغداد سنة ٢٩٧ هجرية، وعند موته كان يقرأ ورده من القرآن، وسيدنا رسول الله ﷺ قيل له:

{أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فقَالَ ﷺ: الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ }[٨٥]

ماذا يعني ذلك؟

يعني من يقرأ القرآن عندما يصل لسورة الناس ويختم، لا بد أن يبدأ أولاً من سورة الفاتحة ويقرأ ولو ربعاً من سورة البقرة حتى يكون قد حلَّ وارتحل على الفور.

---

٨٥ الحاكم في المستدرك والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما

فكان عند موته قد ختم القرآن ثم بدأ من سورة الفاتحة والبقرة فقرأ سبعين آية، فدخل عليه واحد من تلامذته اسمه ابن عطاء، فسلم عليه، فأبطأ الجنيد في رد السلام، ولما تكلم قال له:

أعذرني فقد كنت في وردي – يعني كنت مشغولاً فلم أرد عليك – فقال ابن عطاء: .. بعد ذلك حوَّل وجهه إلى القبلة ومات!.

وأثناء قراءته جاءه تلميذ آخر ووقف عند رأسه واسمه الجريري، فقال له:

ارفق بنفسك، يعني أنت في هذه اللحظة ليس شرطاً أن تقرأ !!

فقال الجنيد:

ما رأيتُ أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت، وهو ذا تُطوى صحيفتي، يعني صحيفتي تُغلق الآن وأحسن شيء أغلقها به أن أختم وردي في تلاوة كتاب الله ﷻ.

وجاءه أحد تلامذته فوقف وقال له:

قُل (لا إله إلا الله) فقال: ما نسيته فأذكره !!

يعني أنا ذاكر له على الدوام.

ومع ذلك فإن أحد تلامذته قال: رأيتُ الجُنيد في المنام بعد موته، فقلت له:

ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في السحر.

أرأيتم العبرة من أحوال الصالحين؟!

حتى النَفَس الأخير لا يشتغل إلا بذكر الله وتلاوة كتاب الله.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بالصالحين أجمعين ..

وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

السيد عبد القادر الجيلاني

رضي الله عنه[٨٦]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله رب العالمين الذي هدانا بفضله وبنوره إلى طريقه المستقيم ومنهجه القويم، والصلاة والسلام على أفضل من خصَّه الله في الذكر الحكيم بالتكريم؛ سيدنا محمد وآله وصحبه والناهجين على نهجه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين آمين يا رب العالمين.

مولده

السيد عبد القادر سُمي جيلاني لأنه وُلد في جيلان، وجيلان بلدة في أفغانستان قريبة من حدود إيران الآن.

وُلد سنة أربعمائة وسبعين هجرية، وكان أبوه رجلاً زاهداً من الزهاد الصالحين، وأنجب عبد القادر وأخٌ له، وتوفي أبيه، فتربى يتيماً؛ ربته أمه هو وأخيه، وكانت من الصالحات.

وكان عبد القادر ككل الأتقياء والأولياء والكُمَّل من الصالحين عنده رغبة شديدة جداً جداً في طلب العلم ...

فبعد حفظه للقرآن أخذ يطلب العلم في بلدته ..

إلى أن جمع العلم من العلماء الموجودين في بلدته، وانتقل إلى البلاد المجاورة وما زالت شهيته مفتوحة إلى طلب العلم وهذه صفة الأولياء، فمن يملُّ من طلب العلم فليعلم أن هذا عيبٌ عنده ولا بد أن يتخلص منه إن أراد أن يلحق بالصالحين.

فلما وجد العلماء شهيته مفرطة في طلب العلم، قالوا له:

اذهب إلى بغداد، وكانت عاصمة الخلافة العباسية في ذلك الوقت، وكانت حاضرة العالم أجمع، وأكبر مدينة في الحضارة في وقتها.

---

٨٦ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ٢٥ من جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ ٢٠٢١/١٢/٢٩م

السفر إلى بغداد

فقرر أن يذهب إلى بغداد ..

لكنه كان كثير الأدب مع أمه فاستأذنها في السفر، فقالت: يا بني لا أطيق فراقك، ولكن ما دمت ترغب في طلب العلم فسافر على بركة الله، وأذنت له، وقالت: يا بني خذ نصيبك قبل السفر فإن أباك قد ترك لك وأخاك ثمانين ديناراً، خذ أربعين واترك لأخيك أربعين.

وكانوا لا يسافرون إلا في قافلة، فالذي يُريد أن يسافر يذهب إلى محطة السفر وينتظر متى ستتحرك القافلة للسفر ويتجهز، ويمشي معهم في فرقة للتأمين خوفاً من قُطَّاع الطريق الكثيرين.

وزيادة في الإحتياط وضعت له أمه هذا المال داخل ثوبه من الداخل وخاطته، حتى لا يعرف أحدٌ طريقه، وسافر، وكان عمره ثماني عشرة سنة، حتى تعلمون أن الرغبة عنده كانت منذ صغره.

بركة الصدق

وهم في الطريق خرج عليهم قُطَّاع الطريق وأخذوا كل ما في القافلة ..!!

وجاءوا إليه فقالوا له: ما معك؟

قال: أربعون ديناراً، فظن قطَّاع الطريق أن عقله به شيء!!، فأخذوه إلى زعيمهم وقالوا أن هذا الغلام يزعم أن معه أربعين ديناراً، فقال له: ما معك؟

قال: أربعون ديناراً قال: أين هي؟ قال: ها هي، قال ولِمَ لم تكذب؟ قال:

إن أمي عندما ودعتني إلى السفر أخذت عليَّ العهد ألا أكذب أبداً.

فمسَّت هذه الكلمات بإرادة الله قلب هذا الرجل، وقال لرفقائه:

إذا كان هذا يخشى أن يكذب لأنه وعد أمه ألا يكذب، فماذا نصنع نحن في وعد الله تبارك وتعالى الذي أخذه علينا؟!

إني تائبٌ على يد هذا الغلام، وأنتم وشأنكم !!

قالوا: ونحن معك، فتابوا جميعاً، وردُّوا الأموال إلى القافلة ببركة صدقه ﷺ.

من كريم أخلاق اللصوص

حتى اللصوص والسارقين كان عندهم في هذه الأوقات البعيدة أخلاقٌ كريمة ليتها تكون في عصرنا هذا، فمن القصص الطريفة في هذا الأمر أن مجموعة من من اللصوص دخلوا بيت رجل ثري ليسرقوه، وبعد أن دخلوا فوجئ الرجل وهو على باب حجرته وفيها زوجته باللصوص واقفون، فقالوا: استر زوجتك لأننا سنأخذ ما في البيت، قال:

خذوا ما في البيت ولكن لا تقتلوني، قالوا: لن نقتلك، .. قال: إن كان ولا بد كم عددكم؟ قالوا: عشرة، فأخرج لكل واحد منهم ألف درهم، وقال: خذوا هذه واتركوني، قالوا: لا مانع.

وبينما هم يهموا بالخروج، وجد واحدٌ منهم صندوقاً شكله ثمين، فأخذه الفضول إلى أن يفتحه، فوجد فيه شيئاً يُؤكل ولا يعرف ما هو، فأكل منه، فإذا به ملح، قال: إنه ملح، فقال زعيمهم: أأكلت منه؟ قال: نعم، قال: إذاً لا نأخذ من هذا الرجل شيئاً ما دمنا قد أكلنا من بيته ولو ملحاً.

حاول الرجل أن يعطيهم جميعاً ثمانمائة درهم فرفضوا، أو أربعمائة فرفضوا، وقالوا: والله لا نأخذ شيئاً ما دام أكل واحدٌ منا في بيتك ملحاً، أين هذه الأخلاق؟! ولمن هذه الأخلاق؟ للصوص.

طلبه للعلم

ذهب سيدي عبد القادر إلى بغداد، وأخذ في طلب العلم، وأخذ يتجول على طبقات العلماء، درس علم الفقه أولاً وتوغَّل فيه، ولذلك له كتابٌ سماه (الغُنية لطالبي طريق الحق ﷻ) والكتاب موجود وفيه كل شيء عن الفقه من البداية إلى النهاية، ودرس الحديث، ودرس التفسير، ودرس النحو، ودرس الأدب، وتبحَّر في كل العلوم.

وفي أثناء ذلك كان لا يبيت في بغداد، فكان يأتي إلى بغداد لطلب العلم ثم يخرج إلى الصحراء للعمل بالعلم، ولتطبيق العلم عملياً في طاعة الله، والإقبال على الله، وإفراد الله تبارك وتعالى بالقصد.

وكان مُصراً كغيره من الصالحين الصادقين ألا يأكل إلا من عمل يده، فلا يطلب من أحد، ولا يتكفف أحد، بل لا يمد يده إلا إلى الواحد الأحد تبارك وتعالى.

عناية الله بالصالحين

وحدث في هذه الآنات أن أصاب بغداد قحطٌ شديد، ويذكر هو عن نفسه ويقول: ففنيت الأقوات إلا القليل، وأنا مكثت ثلاثة أيام لا أُطعم شيئاً لأنه لا يوجد طعام، فمشيت لأبحث عن طعام فلم أجد، فدخلت إلى مسجد ورجليَّ قعدت بي من الإجهاد فلا أستطيع المشي ولا أستطيع الوقوف، وبعد جلوسي إذا بي برجل يدخل ومعه لحمٌ مشوي وخبز، فأخذ يأكل وكلما رفع لقمة أحرك فمي كأني سآكل هذه اللقمة، وإذا بالرجل يلتفت إليَّ ويطلب مني أن آكل معه فرفضت واعتذرت، فأصر على أن آكل معه، وأثناء الأكل قال لي: من أين أنت؟ قلت له: من جيلان، فقال لي: وأنا أيضاً من جيلان، وأنا هنا في بغداد من فترة أبحث عن عبد القادر الجيلاني ولم أجده، فقلت له: أنا عبد القادر الجيلاني، فقال: أمك قد أعطتني ثمانية دنانير أوصلها لك، وأنا نفدت كل الأموال التي معي، ومكثت ثلاثة أيام بدون طعام، فاضطررت للأخذ من مالك لأشتري هذا الطعام، فأصبحت أنت صاحب الضيافة وأنا ضيفك، لأن هذا مالك، وسامحني فيما جرى لك.

فكانت أمه تواصله، وكانت ترسل إليه الرسائل، وتضع في الرسائل خصلة من شعرها، ولا أعلم كيف كانت هذه المسلمات في أذواق عجيبة وغريبة وأحاسيس عجيبة؟! فكانت ترسل له مع الخطاب خُصلة من شعرها وتقول له: اشتقت لك، فيقول لها: إن شئت تركت العلم وأتيتك – لأنه بار بها – فتقول له: ما دمت ترغب في العلم فابقى في طلب العلم وآثرت طلب العلم على رؤية ابنها.

لقاء الشيخ المربي

في هذه الآنات كان ماشياً في يوم من الأيام فجاء على خاطره أن ما حدث ربما يكون للموبقات والآثام التي يقع فيها أهل بغداد، فعزم على الخروج من بغداد، وهو خارج من بغداد إذا بصاحب منزل يفتح الباب ويقول له: تعالى وادخل يا عبد القادر، في ماذا تفكر؟ قال له: الخروج من بغداد، قال له: إن لك أثر بالغ ستتركه في بغداد، فقال له: ومالي وما للناس؟ أنا أريد أن أفر بنفسي، فعنَّفه الرجل، وهذا الرجل هو شيخه الشيخ حماد الدباس ﷺ، فلما أصر على عدم الدخول قذفه بشدة وغلَّق الباب وراءه، يقول: بعد يومين انتابتني أحوال عليه، وخواطر كثيرة، وتمنيت من الله أن يدلني على رجل يبين لي هذه الخواطر، فمر ببيت الرجل مرة أخرى ففتح وقال له:

ماذا كنت تتمنى بالأمس على الله؟ قال: كنت أتمنى كذا، فقال له: تعالى، قال: فأخبرني بكل أحوالي التي حدثت لي.

وصحبه وتتلمذ على يديه في علوم الولاية، وكان قد حصَّل علوم الشريعة، وعلوم اللغة، وعلوم الأدب، وغيرها.

جهاده لنفسه

وبعد أن حصَّل علوم الولاية حدثت له حالة الوله، وهي الجذب، وخرج إلى صحراء بغداد ومكث خمس وعشرون سنة في هذه الصحراء، وقال: كنت ألبس ثوباً من الصوف الخشن – يعني صوف الغنم الطبيعي وكان لا يلبسه إلا الفقراء – وأمشي حافياً، وأضع خرقة على رأسي، وآكل من حشائش الأرض، وأشرب من مياه الأنهار، وانشغل بذكر الله بالكلية، قيل أنه كان في الليلة الباردة شديدة البرودة ينزل منه العرق الشديد، ويطلب ممن حوله أن يروحوا عليه بمراوح كأنه في الصيف من شدة استغراقه في ذكر مولاه تبارك وتعالى، واستمر في هذا الذكر، وكان أحياناً يغيب عن وعيه، قال ﷺ:

{ أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ }[٨٧]

فلما كان يغيب عن وعيه ظنَّ من حوله أن به جنون فأدخلوه البارستان – وهو مكان المجانين – وهناك جاءه الموت ورأوه كأنه مات، فوضعوه على الدكة، وأحضروا الغُسل ليغسلوه ويكفنوه ويدفنوه، ثم أيقظه رب العزة تبارك وتعالى من هذا الحال.

كم سنة قضاها في هذا الحال في الجهاد؟ خمس وعشرون سنة يجاهد نفسه ويصفي قلبه إلى أن امتلأ من رأسه إلى أخمص قدميه بالعلوم الإلهية.

الإذن بالدعوة

وجاءه رسول الله ﷺ مرة قبل الظهر، وقال: يا عبد القادر تكلم لتنفع الناس بعلمك، قال: قلت يا سيدي أنا رجلٌ أعجمي – على أساس أن بلده من بلاد العجم، وهي بلاد الفرس وأفغانستان – ولا أجيد النطق بالعربية، فقال له: افتح فاك، ففتح فاه، فتفل فيه ﷺ سبع مرات.

وذهب لصلاة الظهر بالمسجد، فإذا بالمسجد غاصٌّ بأهله، وصلاة الظهر نادر

---

٨٧ مسند أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه

أن يكون فيها عدد كبير من المصلين، قال: والتف الناس حولي وقالوا: حدثنا بما فتح الله عليك، قال: فارتُجَّ عليَّ – عندما رأى هذا العدد المهول – وإذا بي أرى الإمام علي في اليقظة، وقال: يا عبد القادر حدِّث الناس لينتفعوا بعلمك، قال: فقلت: ياسيدي أنا رجلٌ أعجمي ولا أستطيع النطق باللغة العربية جيداً، قال: افتح فاك، فتفل فيه ست مرات، فقلت: يا سيدي لِمَ لم تكملهم سبعاً؟ قال: أدباً مع رسول الله ﷺ.

فبدأ يتحدث للناس، وأعطاه الله ﷻ القبول في قلوب الناس، فليس المهم العلم، ولكن المهم القبول، من الذي يُقبل بالقلوب؟ علام الغيوب.

لو معك علوم الأولين والآخرين ونزع الله القبول من قلوب الحاضرين، فهل أحدٌ يبقى ليسمع؟! لا، سيتركوك ويمشوا، ولو لم يكن معك شيء ووضع الله لك القبول في قلوبهم، سيجلسوا ولو كانوا صامتين وينظرون لك فقط، قال ﷺ:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ }[٨٨]

وهذه فيها معنى لطيف فانتبهوا له: أهل السماء هم أهل القلوب العالية السائحة في عالم السماء على الدوام، يعني كبار الصالحين والأولياء، فهؤلاء يحبوه ويمدوه، ويوضع له القبول في أهل الأرض وهم الذين لا يزالون في الأرض ولم يصعدوا بعد، لا يزالون محجوبين بالنفس والهوى والشهوات والحظوظ، فيوضع القبول في قلوبهم حتى يقبلوا عليهم.

إعانة الله

وإذا أقامك أعانك، فجاءه رجل أستاذاً لهم في علم الحديث، وكان له مدرسة كبيرة يُعلِّم فيها تلاميذه الحديث، فطلب منه أن يقبل منه هذه المدرسة ليعلم المريدين فيها، فانظر إلى إعانة الله كيف تأتي؟ فلم يبع ولم يشتر، ولكن فضل الله واسع.

فجلس في هذه المدرسة، وانهالت عليه العطايا من كل جانب من المجاورين للمدرسة، كل فترة يتنازل أحد من الجيران عن دراه ليضمه للمدرسة فيوسعونها، ولذلك من أكبر مساجد العالم الإسلامي الآن مسجد السيد عبد القادر الجيلاني، ومن أكبر الأضرحة أيضاً ضريحه في بغداد.

---

٨٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

متى كان هذا الكلام؟ عندما كان عمره حوالي ثمان وأربعين سنة، وهذا للناس المتعجلين، الذي يُريد أن يمكث معنا شهرين ثم يريد أن يملأ الكون علماً، أو يبقى معنا سنتين ويريد أن يكون ولياً وله كرامات.

لكن كما ترون هذا الرجل استمر في الجهاد خمس وعشرون سنة في الصحراء، وفي سنة خمسمائة وثمان عشر هجرية بدأ الدعوة إلى الله وكان عمره ثمان وأربعين سنة.

وكان لشدة تعلقه بمولاه لم يتزوج حتى هذا الوقت، فتزوج، وذهب إليه أحدهم وسأله: لِمَ تزوجت؟ فقال: أمرني النبي وقال لي: تزوج، لأن المربي للمريدين لا يجب أن يكون أعذباً، بل لا بد أن يكون رجلاً متزوجاً، فتزوج ولكنه لم ينشغل بذلك.

فكان من شدة فنائه في الله يقول: وُلد لي إثنى عشر ولداً، ما وُلد لي واحدٌ منهم إلا كبرت عليه أربع تكبيرات، يعني حتى لا ينشغل به عن الله:

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (٢٨الأنفال)

حتى لا يُفتن به عن الله تبارك وتعالى.

مدرسته العلمية في بغداد

اشتهر في بغداد كلها بالعلم، لأنها مدرسة شاملة كاملة كالجامعة، كان يُدرِّس ثلاثة عشر علماً، ففي الصباح يدرس في علم الفقه وعلم الحديث وعلم التفسير، وبعد الظهر يجود القرآن لمن أراد أن يجود، وهذا غير العلوم الإلهامية الوهبية للصفوة الذين يريدون القرب من رب البرية تبارك وتعالى.

وكحال العلماء في كل زمان ومكان، غار علماء بغداد من جمع الخلق عليه، لأنه كان يحضر مجلسه ما لا يقل عن عشرة آلاف نفس، وكان شديد الاهتمام بالوعظ، لذلك كان لا يخلو درس من دروسه من توبة عدد لا يُحصى من الحاضرين.

فجهَّز مائة عالم من بغداد أسئلة وذهبوا مجتمعين لامتحانه، فجلس على كرسيه في المدرسة التي يدرس منها، وإذا ببارقة تخرج من صدره تأخذ كل العلوم التي جهزوها في نفوسهم، ثم بعد ذلك أجابهم عنها جميعاً واحداً بعد واحد.

وكانوا إذا أتتهم مسألة فقهية يعجزون عنها، يرسلون إليه فيحلها إلهاماً من الله، ولذلك تجد المسائل الفقهية العويصة من الذي يحلها؟ الصالحون، فجاءوه ذات مرة

وقالوا له: رجل حلف طلاقاً ثلاثاً أن يعبد الله عبادة بمفرده لا يشاركه فيها أحد، فما الحل؟ ... والطلاق الثلاث واقع في المذاهب الأربعة لكن العلماء الأجلاء في منتصف القرن العشرين تقريباً عندما وجدوا هذا الأمر منتشر وأصبح كالوباء، قالوا: نبحث في المذاهب الأخرى، فذهبوا إلى ابن تيمية، وابن تيمية عنده من يحلف بالطلاق فهذا ليس بحلف، لأن الحديث:

{ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ }[٨٩]

فما الذي يقع في الطلاق؟ إذا قال لها: أنتِ طالق، لكن اليمين لا، ولو قال لها: هذه الكلمة ثلاث مرات في جلسة واحدة، فتعتبر مرة واحدة، يعني المذهب الذي نمشي عليه حالياً مذهب ابن تيمية، وليست المذاهب الأربعة، لأن في المذاهب الأربعة إذا قال عليَّ الطلاق يقع على الفور، ولو قالها ثلاثاً فيكون ثلاثة على الفور.

فقال لهم: يذهب لمكة ويخلوا له المطاف ويطوف وحده، فبهذا يكون قد حل اليمين، أرأيتم كيف يكون الإلهام من الله؟! ففي أي كتاب موجودة؟ غير موجودة إلا في أم الكتاب، وهو أتى بها من أم الكتاب إلهاماً من الله تبارك وتعالى.

الطريقة القادرية

وأخذ ﷺ يربي المريدين، والحقيقة أن الطريقة القادرية من أكثر الطرق انتشاراً في العالم الإسلامي كله، ولها مآثر كثيرة على دخول المسلمين الجدد في الإسلام على يد أبناء الطريقة القادرية، فلو تتبعنا التاريخ سنجد أن لهم دور كبير في نشر الإسلام في أفريقيا، ... لأن أبناء الطريقة القادرية في بلاد المغرب العربي هم كثير هناك، ... وكذلك في السودان.

وهم الذين يتحملون العناء، ففي وسط أفريقيا صحراء جرداء، فيمشون في هذه الصحراء ولا يهابون الوحوش التي هناك، ويذهبون لا يرجون إلا رضا الله، وهم الذين نشروا الإسلام في الدول الأفريقية المسلمة الآن، والدول الإسلامية الأفريقية غير العربية مثل السنغال ومالي ونيجيريا والنيجر وغيرها، كل هذه الدول إسلامية الآن، من الذي نشر فيها الإسلام؟ الطريقة القادرية، والطريقة التيجانية التي كانت موجودة في بلاد المغرب العربي، والطريقة الشاذلية.

---

٨٩ صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما

لماذا؟ لأن الواحد منهم لا يذهب هناك ليرجع بكنز من المال، لكن يذهب لوجه الله، وليس عنده مانع أن يلتحف السماء ويفترش الأرض، يعني ينام على الأرض وبدون غطاء، والله يغطيه ويدفؤه، لأنه ذاهب لله ﷻ.

كذلك في الجهاد الأسيوي هم الذي حملوا الإسلام إلى بلاد الهند وباكستان وماليزيا وأفغانستان، فالطريقة القادرية لها شأنٌ كبير في نشر الإسلام في هذه البقاع في البدايات وفي النهايات.

تربيته لمريديه

فكان سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ يؤدب مريديه ويهذبهم غاية التهذيب، وكان يربيهم بالحال والقال، يمدهم بالحال ويعلِّمهم بالقال، والأساس عنده الشريعة المطهرة، فلا يترك الشريعة طرفة عين ولا أقل.

وكثير من أتباعه الأولياء مذكورون في كتب طبقات الأولياء، من جملتهم رجل اسمه محمد البلخي يحكي عنه أبو محمد الحسن، قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه، قال: خدمت الشيخ الجليل العارف أبا عبد الله محمد بن أحمد البلخي ﷺ ببغداد سنة، وسألته عن بدايته فكتمني إياها، فخدمته سنة ثانية، وسألته عن بدايته فكتمني إياها، فخدمته سنة ثالثة فسألته، فقال: ولا بد؟ فقلت: إن رأيت، قال: ولا تخبر أحداً بما أخبرك به وأنا حي، قلت: نعم، فلما وثق مني بالكتمان قال:

هاجرت من بلخ إلى بغداد وأنا شاب لأرى الشيخ عبد القادر ﷺ، فوافيته يصلي العصر بمدرسته، وما كنت رأيته ولا رآني قبل ذلك، فلما سلَّم وأهرع الناس للسلام عليه تقدمت إليه وصافحته، فأمسك بيدي ونظر إليَّ مبتسماً وقال: مرحباً بك يا بلخي يا محمد، قد رأى الله مكانك وعلم نيتك، قال: فكان كلامه دواء الجريح، وشفاء العليل، فذرفت عيناي خشية، وارتعدت فرائصي هيبة، وتقطعت أحشائي شوقاً ومحبة، وأوحشت نفسي من الخلق، ووجدت في قلبي أمراً لا أحسن أن أعبر عنه، ثم لا زال ذلك ينمو ويتقوى وأنا أغالبه، وقمت إلى وردي في ليلة مظلمة فبرز لي من قلبي شخصان وبيد أحدهما كأس، وبيد الآخر خلعة، فقال لي صاحب الخلعة: أنا علي بن أبي طالب، وهذا أحد الملائكة المقربين، وهذا كأس من شراب المحبة، وهذه خلعة من حلل الرضا، ثم ألبسني تلك الخلعة، وناولني صاحبه الكأس، فأضاء بنوره المشرق والمغرب،

فلما شربته كُشف لي عن أسرار الغيوب، ومقامات أولياء الله تعالى، وغير ذلك من العجائب، فكان مما رأيت مقاماً تزل أقدام العقول في سره، وتضل أفهام الأفكار في جلاله، وتخضع رقاب الألباب لهيبته، وتذهل أسرار السرائر في بهائه، وتدهش أبصار البصائر لأشعة أنواره، ولا تسامته طائفة من الملائكة الكروبيين والروحانيين والمقربين إلا حنت ظهورها على هيئة الراكع تعظيماً لقدر ذلك المقام، وسبَّحت لله ﷻ بأنواع التقديس والتنزيه، وسلَّمت على أهل ذلك المقام، ويقول القائل: إنه ليس فوقه إلا عرش الرحمن، ويتحقق الناظر إليه أن كل مقام لواصل، أو حال لمجذوب، أو سر لمحبوب، أو علم لعارف، أو تصريف لولي، أو تمكين لمقرب، فمبدؤه ومآله وجملته وتفصيله وكله وبعضه وأوله وآخره فيه استقر، ومنه نشأ، وعنه صدر، وبه كمل، فمكثت مدة لا أستطيع النظر إليه، ثم طوقت النظر إليه، ومكثت مدة لا أستطيع أن أسامته، ثم طوقت مسامتته، ومكثت مدة لا أستطيع أعلم من فيه، فإذا فيه محمد رسول الله ﷺ، وعن يمينه آدم وإبراهيم وجبريل، وعن شماله نوح وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبين يديه أكابر أصحابه، والأولياء قياماً على هيئة الخدمة كأن على رؤوسهم الطير من هيبته ﷺ، وكان ممن عُرِّفت به من الصحابة رضي الله عنهم أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة والعباس رضي الله عنهم، وكان ممن عُرِّفت به من الأولياء معروف الكرخي وسري السقطي والجنيد وسهل التستري وتاج العارفين أبا الوفاء والشيخ عبد القادر والشيخ أبا سعد والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ عدي رضي الله عنهم، وكان أقرب الصحابة إلى المصطفى ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ، وكان من أقرب الأولياء إليه الشيخ عبد القادر، فسمعت قائلاً يقول: إذا اشتاقت الملائكة المقربون والأنبياء والمرسلون والأولياء المحبون إلى رؤية محمد ﷺ ينزل من مقامه الأعلى عند ربه تعالى إلى هذا المقام، فتضاعف أنوارهم برؤيته، وتزكو أحوالهم بمشاهدته، وتعلو مكانتهم ومقاماتهم ببركته، ثم يعود إلى الرفيق الأعلى، فسمعت الكل يقولون: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، ثم بدت لي بارقة من نور القدس الأعظم فغيبتني عن كل مشهود، واختطفتني من كل موجود، وأسقطت مني التمييز بين كل مختلفين، وأقمت على هذا الحال ثلاث سنين، فلم أشعر بنفسي إلا وأنا في مسامرة، والشيخ عبد القادر ﷺ قابض على صدري وإحدى رجليه عندي والأخرى ببغداد، وقد عاد إليَّ تمييزي، وملكت أمري، فقال لي الشيخ: يا بلخي قد أُمرت أن أردك إلى وجودك، وأملكك حالك، وأسلب منك ما قهرك، ثم أخبرني بجميع مشاهداتي وأحوالي من أول أمري إلى ذلك

الوقت اخباراً يدل على اطلاعه عليَّ في كل نَفَس، وقال لي: لقد سألت فيك رسول الله ﷺ سبع مرات حتى طوقت النظر إلى ذلك المقام، وسبع مرات حتى طوقت مسامتته، وسبع مرات حتى اطلعت على ما فيه، وسبع مرات حتى سمعت المنادي، ولقد سألت الله فيك سبع مرات، وسبع مرات، وسبع مرات، حتى ألاح لك تلك البارقة، وكنت من قبل سألته فيك سبعين مرة حتى سقاك كأساً من محبته، وألبسك خلعة رضوانه، يا بني اقض جميع ما فاتك من الفرائض)) .. لأنه كان في حالة جذب تام ... لا يدري بأي شيء حوله ..

وكانت هذه طريقته ... الحال ... والقال.

ولذلك واحدة من النساء الصالحات، أخذت ابنها وذهبت له، وقالت له:

ياسيدي إن ولدي هذا متعلقٌ بك، وأنا متنازلةٌ لك عن حقي فيه، فخذه وربيه، فأخذه وبعد فترة من الزمن ذهبت لترى ابنها، فوجدته في الخلوة وأصبح كعظام على جلد – لأنه لا بد أن يُذيب الشحم واللحم حتى ينبت النور في القلب – وأمامه قليل من الدقة يأكلها ببقايا خبز جاف، فذهبت للشيخ فوجدت الشيخ وأمامه دجاجة قد أكلها وبقيت العظام، فعاتبته وقالت له: يا سيدنا أتأكل دجاجة وابني يأكل هذه الدقة والخبز القديم؟! فوضع الشيخ يده على العظام وقال: قومي بإذن الله، فقامت الدجاجة بعد أن أحياها الله تمشي وتصيح بإذن الله، فقال: يا بنية إذا وصل ابنك إلى هذا المقام، يأكل من هذا الطعام.

وصاياه لتلاميذه

أولاً: البعد عن مجالسة الخلق

كانت أول وصية لتلاميذه البعد عن مجالسة الخلق، ولذلك آفة معظم السالكين معنا ومع غيرنا الخوض فيما لا يعنيه، لكن أول أساس الطريق قوله ﷺ:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ }[٩٠]

وقد قال سلفنا الصالح أن هذا الحديث ربع الدين، فالمسلم لا يتكلم إلا إذا كان للكلام موضعاً أو ضرورة.

---

٩٠ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

يعني جاء يحضر معنا ومعه اثنين أو ثلاثة، فما الذي يجعله لا يشتغل بذكر الله، أو بالصلاة على رسول الله؟! لكنه يتحدث مع هذا، ثم يتركه ويجلس مع آخر، ثم يتركه ويجلس مع آخر، فهذا بالله عليكم متى يُفتح عليه؟! لكن الذي يُريد الفتح يهرب من الخلق، لأن الخلق كلهم فتنة، يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ:

والخلق فتنة من أردتُ صدوده وشهود أهل البعد في الأدوار

فماذا يفعل الأئمة؟ قال:

وإذا دعاهم أن يدلوا غيرهم قاموا بحولٍ منه لا بفخار

حتى يبلغوا الدعوة مستعينين بالله لا افتخار ولا سمعه:

يدعون والرهبوت ملء قلوبهم بالهَدْي هَدْي المصطفى المختار

وهذه كانت أول وصية للشيخ عبد القادر لتلاميذه، أن الإنسان يهرب من مجالسة الخلق الغافلين، ولكن إذا جلس ليتعلم، فعلى بركة الله، أو سيجلس ليتناقش في مسألة دينية أو علمية لا بأس، لكن الخلق الغافلين لا يجالسهم وهم الذين قال فيهم حضرة النبي:

{ إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا، قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ }[٩١]

فلان قال وفلان عاد، فلانة خُطبت وحدث لها كذا، وبعدها جاءها فلان وحدث لها كذا، فأنا ما شأني وهذه الروايات؟! أنا أجمع روايات من هنا ومن هنا ومن هنا، وهل أنا فارغ؟! إذا كان الواحد منا سيأتي يوم القيامة إذا دخل الجنة – ونسأل الله أن نكون من أهلها أجمعين – سيندم على اللحظة التي مرت به دون ذكر الله، قال ﷺ:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا }[٩٢]

لماذا كنت أضيع وقتي في كذا وفي كذا؟! فالمؤمن بين أمرين إما في عمل لمعاشه لنفسه وأولاده، وإما في عمل مع مولاه، وليس عنده وقت آخر، هل عنده وقت للكوتشينة وللدومينو وهذه الأمور على المقاهي؟! هذا لا ينفع للمؤمن، وهل عنده

---

٩١ البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه
٩٢ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

وقت يتكلم مع غيره عن فلان وعلان والثاني والثالث؟ لا وقت لهذا الكلام، لأن كلام أي مؤمن يكون نزراً دائماً.

فكان الشيخ ﷺ وأرضاه في بدايته ليطبق هذه القاعدة يخرج من بغداد إلى الصحراء لأنها ليس فيها أحد من الخلق، ويهيم بذكر مولاه، ومكث في هذا الحال خمسة وعشرون سنة، حتى أتاه حضرة النبي وقال له: تحدث على الناس يا عبد القادر.

ثانياً: إطعام الطعام

كان يُعلِّم تلاميذه فيقول:

((ما وجدتُ طريقاً إلى الله أفضل من إطعام الطعام))

أي ليس هناك عملاً أفضل من إطعام الطعام، والحبيب قال ذلك:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ }[٩٣]

والتي يقول فيها الله:

﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (الزمر)

وغرفٌ من فوقها غرف يعني أنها برج، وتحت كل دور من أدواره أنهار، وهذه لا يستطيع البشر الوصول إليها، فهذه الغرف لمن أطعم الطعام.

فكان يأمرهم بإطعام الطعام، ولذلك يقول الإمام الشعراني ﷺ: ((أقبح القبيح صوفي شحيح)) والصوفي الشحيح في العادة يكون عقله يغلب عليه، فيُهيئ له أن يقول: أحضر مع هؤلاء الجماعة وأضحك عليهم، وآكل معهم وأشرب معهم ولا أعمل لهم أي شيء أبداً!، لكنك تضحك على نفسك:

﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ (البقرة)

أنت تقدم لنفسك ولا تقدم لهم.

---

٩٣ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن أبي مالك الأشعري

الشيخ المرشد

وكان ﷺ وأرضاه قد أُمر من سيدنا رسول الله ﷺ بعد أن أمضى هذه السياحة الطويلة أن يُرشد الخلق إلى الله، فكان يجلس طوال يومه يعلم الخلق، يُدرِّس صباحاً الفقه والتفسير وغيرها من العلوم، وبعد الظهر يُجوِّد للناس القرآن الكريم، وفي الليل في خلوته.

فانظر إلى هذا الجهاد، يقول خادمه: خدمت سيدي عبد القادر الجيلاني أربعين سنة، فما وجدته خرج بعد العشاء أبداً من خلوته، ولا يُدخل أحداً معه.

لماذا؟ لأنه ورد أن سيدنا رسول الله ﷺ كان بعد العشاء يدخل إلى منزله، ولا يخرج لأحد، فهذا الوقت لله، ومشى على أثره الصحابة الأجلاء، سيدنا عمر مثلاً أشفقوا عليه وهو خليفة، فقالوا له: لِمَ لا تريح نفسك؟ فقال: ((جعلتُ النهار لرعيتي والليل لربي، فإن نمتُ نهاراً ضيعت رعيتي، وإن نمت ليلاً ضيعت نفسي)).

فكانوا يجعلون الليل لله، وليس لمواقع التواصل على الانترنت وخاصة الشباب هداهم الله، وهذه المواقع لا تحلوا لهم إلا بالليل، سبحان الله!.

فيقول الخادم: دخلتُ معه ذات مرة، فوجدته يقسم الليل ثلاثة أقسام، الثُلث الأول يصلي قليلاً ثم يجلس يذكر الله، وفي الثُلث الثاني يقوم للصلاة، ويقرأ كتاب الله في الصلاة ويطيل السجود، وفي الثُلث الثالث يكون قد وصل لمرحلة المشاهدات، فيجلس ويشاهد ويراقب ما يلوح له من الغيوب، وما يظهر له من الأنوار من عند حضرة الله تبارك وتعالى، فإذا اقترب الفجر انصرف إلى الاستغفار والدعاء.

كم سنة على هذه الحالة؟ أربعون سنة وهو لا يزال أيضاً يُدرِّس لطلابه ويربي مريديه.

تواضعه للفقراء

وكان رضي الله تبارك وتعالى عنه – لأنه لا يرى نفسه لأنه فني في الله بالكلية – لا يقف إلا للفقراء والمساكين الذين يأتونه، وإذا سمع أن السلطان أو أحد الوزراء أو أحد الأمراء سيأتيه، يدخل داخل البيت، ثم يخرج ويسلم عليه حتى لا يقوم له ويقف له، أرأيتكم الحكمة العلية، لأن الصالحين دائماً حكماء، لأنه لو كان جالساً ولم يقف له، فجائز أن يحدث شيء في نفس الزائر، لكن يدخل البيت فينادونه من داخل البيت، ويخرج ويسلم عليه.

لكن من الذين يقف لهم؟ الفقراء والمساكين، لماذا؟ أُسوة بسيدنا رسول الله ﷺ، فقد كان ﷺ كما قال له ربه:

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ (٢٨الكهف)

فكان ﷺ :

- إذا جالس الفقراء لا يقوم إلا إذا أذنوا له، إذا لم يأذنوا يظل جالساً معهم.
- وإذا سلَّم عليه أحدهم بيده لا يسحب يده حتى يكون الآخر هو الذي يسحب يده.
- وكانت تأتيه المرأة الفقيرة وهو في الطريق يمشي وتقول:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّ فُلَانٍ، اجْلِسِي فِي أَيِّ نَوَاحِي السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَجْلِسَ إِلَيْكِ، قَالَ: فَجَلَسَتْ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا }[٩٤]

هل كان له مدير مكتب، أو سكرتير خاص؟ لا، بل يقول لها:

اجلسي في أي ناحية من نواحي الطريق أجلس إليك، فانظروا للأدب النبوي في الطريق العام، ويجلس معها حتى يقضي لها حاجتها.

فكان الصالحون الأكابر يمشون على هذا المنهج، وكانوا أرفق الناس بالفقراء والمساكين، وخاصة إذا كانوا صالحين أو محبين للصالحين ...

لكنني لن أفعل ذلك لفقير يتعاطى المسكرات مثلاً ويدَّعي أنه من المسلمين، لننتبه للفارق بين الأمرين، ... أو فقير ويرى نفسه كبير ولا يشعر أنه فقير، .

كما ورد في بعض الأثر:

((قال الله تعالى: أكره ثلاثًا، وكرهي لثلاث أشد: أكره العصاة وكرهي للشيخ العاصي أشدُّ، وأكره المتكبِّرين وكُرهي للفقير المتكبِّر أشدُّ، وأكره البخلاء وكُرهي للغني البخيل أشدُّ)).

---

٩٤ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

آفة الكِبر

مرض الكِبر انتشر كثيراً في هذا العصر، حتى أن الناس يحرمون أنفسهم من الانتفاع بما لا بد لهم منه من العلم النافع والأنوار الساطعة نتيجة الكِبر، يقول: كيف أذهب للشيخ فلان لأسمعه؟ أو كيف أذهب للشيخ فلان لأجلس معه؟ فهل أنت الذي ينتفع أم هو؟ أنت، لذلك انظر نظرة بعقل سديد وفكر رشيد، فما دامت المنفعة ستعود عليك أنت، فالإنسان عبدٌ لمنفعته، ويبحث عن المنفعة حتى يجدها.

وسيدنا موسى كان كليم الله ورسوله، فهل تكبَّر أن يذهب للرجل الفقير؟ لا، لماذا؟ لأنه يريد أن ينتفع، ومشى وقال: سأمشي ولو وصل السير إلى ثمانين سنة حتى أذهب لهذا الرجل لأنتفع منه.

وعندما وصل له في النهاية وجده نائماً على كوم من التراب، ليس عنده ساحة ولا مضيفة ولا غيره، فهو فقير ولكن قال فيه العلي الكبير:

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف)

فهل تركه وذهب؟ لا، بل طلب العلم من هذا الرجل.

فكان على هذه الشاكلة سيدي عبد القادر الجيلاني، كما كان على هذه الشاكلة كل الصالحين الأكابر أجمعين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

وكان رضي الله تبارك وتعالى عنه كل همه وقصده والذي يُمرن المريدين عليه، أن تكون الغاية والقصد وجه الله ﷻ.

وكان مع كل ذلك لا يأكل إلا من عمل يده، فلا ينتظر عطاءات من هنا، ولا زيارات من هنا، لأن الله أغناه به عن جميع من سواه، وجعل له البركة في كل شيء يَمسُّه تكريماً وتفضيلاً له من عند مولاه تبارك وتعالى.

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بالصالحين، وأن يخلِّقنا بأخلاقهم، وينفعنا بعلومهم، ويرزقنا حُسن متابعتهم، وحُسن الأدب بين أيديهم.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

السيد أحمد الرفاعي

رضي الله عنه[٩٥]

بداية أنوه أن الذي يوجد في مصر هو من ذرية سيدي أحمد الرفاعي وليس هو بذاته، واسمه سيدي علي، وصفته وكنيته أبو شباك، لكن سيدي أحمد الرفاعي ﷺ ولد وعاش ودفن في قرية أم عبيدة التابعة لإقليم واسط بجنوب العراق، وكان ذلك في بداية القرن السادس الهجري، والرفاعي نسبة إلى أحد أجداده وكان اسمه رفاع، فنُسب إليه.

نسبه وتربيته

سيدي أحمد الرفاعي ﷺ ينتسب من جهة أبيه إلى سيدنا الحسين بن علي ﷺ، وأمه تنتسب إلى سيدنا الحسن ﷺ، وهذا سبب من الأسباب التي قيلت في تسميته أبو العَلَمين لأنه ينتسب إلى العَلَم الأول سيدنا الحسن، والعَلَم الثاني سيدنا الحسين.

وقيل قولاً آخر في سر هذه التسمية، لأنه جمع الشريعة والحقيقة، فسمي أبو العِلْمين، وأطلق عليه مجازاً أبو العَلَمين، عالم الشريعة وعالم الحقيقة.

وكان خاله أخو أمه من كبار العارفين المشهورين في بلاد العراق يسمى الشيخ منصور الباز البطائحي، والبطائحي نسبة إلى البطائح وهي الأماكن الجبلية المجاورة للقرى والمدن، والتي كان يذهب إليها العابدون والمجاهدون في الله لبعدها عن مظاهر الدنيا والشهوات والحظوظ والأهواء.

وفي الحقيقة أنا أحكي الروايات التي تُنسب إلى ميلاد الصالحين، وإن كنت لا أرتاح لها نفسياً لأني أرى أن فيها زيادة كبيرة من المريدين، لأن العهد أن كرامات الرجل الصالح تظهر بعد صلاحه وتقواه، وحسن إقباله على الله، وقيامه بتنفيذ ما أُمر به بدعوة الخلق إلى الله، وهنا يؤيده الله تبارك وتعالى، لكن المريدين يجعلون للصالحين كرامات قبل ولادتهم، وكرامات أثناء حمل أمه به، وكرامات عند ولادته، حتى أنهم ينسبون إلى كثير من الصالحين ومنهم سيدي أحمد الرفاعي أنهم وهم أطفال صغار كانوا يصومون رمضان ولا يفطرون إلا عند غروب الشمس، وهذا الكلام لا يصدقه إنس ولا جان ولا عقلاء ولا حكماء، لكن هذه زيادة لو وجدتها في كتاب اعبرها سريعاً ولا تقف عندها.

---

٩٥ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ١٢ من جماد الآخر ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٢/٦م

لكن الكرامة التي يحكونها لسيدي أحمد الرفاعي ﷺ وقد تكون مقبولة، وهي أن سيدنا رسول الله ﷺ جاء سيدي منصور الباز خاله، وكان أبوه توفي قبل ولادته، فذهبت أمه للعيش عند أخيها، فجاءه سيدنا رسول الله وقال له: ستلد أختك رجلاً صالحاً يُسمى أحمد الرفاعي، فإذا نما وكبر فاذهب به إلى الشيخ علي الواسطي ليربيه فإن له مقام عظيم عند الله تبارك وتعالى.

إلى هنا الرواية يصدقها الإنسان، لكنهم يزيدون: (وهو سيكون رأس الأولياء كما أنا رأس الأنبياء) وهذا كلام لا ينبغي أن يقال لأن رأس الأنبياء ﷺ لم يُعرف ذلك عنه إلا من كتاب الله، وبعد أن أمره مولاه بالإبلاغ عن مقامه وقدره عند مولاه، لكن قد تكون هذه زيادة من المريدين، المهم لا نقف عند هذه القصة، لكن كل الذي أريد أن يأخذه الأحباب بعين الإعتبار أن لا يقفوا عند أمثال هذه القصص ويحكونها ويتحدثون بها، فإن الأولياء أجمعين في غناء تام عن ذكرها، لكن المهم الذي نحتاجه في حياة الرجل الصالح ما نتحدث به الآن.

دراساته العلمية

حفظ القرآن، ثم درس الفقه على مذهب الإمام الشافعي، ثم درس التفسير، وما تيسر من علوم اللغة المتاحة في وقته، وهذا هو المهم في البداية.

ثم أخذه خاله –كما تحكي الروايات – إلى الشيخ علي الواسطي ليتربى على يديه، وكان يعشق مجالسة الصالحين أجمعين.

وهذا يعطينا انطباع آخر:

أنه لا ينبغي أن يقفل الإنسان نفسه على رجل صالح ولا ينتفع بالآخرين، لكنه كما قال السادة الصالحون: (اعرف شيخك وزر غيره) فيكون على سبيل الزيارة، وليس على سبيل الموازنة بين المشايخ، أو على سبيل التردد، يمشي مع هذا أم يمشي مع هذا، وهذا لا يفيد المريد ويجعله في وقفة مع الله لا يتحرك بالسير إلى الله ﷻ، لكنه يعرف شيخه، ويسلم نفسه، ويسير على نهجه، ويعمل بما أمره ووصاه به، ولا مانع من الذهاب إلى غيره من الصالحين على سبيل التبرك، وعلى سبيل أن يُنفح منهم بدعوة مستجابة، أو يُنفح منهم بنظرة من نظراتهم، وهذا لا مانع فيه، لأن كل الصالحين أيَّدوا ذلك رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

مجالسه العلمية

سيدي أحمد الرفاعي ﷺ بعد وصوله إلى الله، كان له مجالس علمية يشرح فيها آيات من كتاب الله يفسرها، أو حديث من أحاديث رسول الله ﷺ يوضحه ويفصله، فمثلاً له كتاب اسمه (حالة أهل الحقيقة مع الله) وهو عبارة عن أربعين حديث فسرها في أربعين مجلس، وكان المجلس يعقده يوم الخميس ليلة الجمعة من كل أسبوع، يذكر الحديث من رسول الله ويفسره، وهذا يدل على تبحره رضي الله تبارك وتعالى عنه في العلم.

كلام الحكماء

ذكر مرة أنه مر على رجل من الصالحين فقال: قال لي: (متلفت لا يصل، ومتسلل لا يُفلح، ومن لم ير من نفسه النقصان فهو دائماً في نقصان) يعني كثير التلفت، مرة إلى الدنيا، ومرة إلى الأهواء، ومرة إلى المظاهر، ومرة إلى جمع المال، ومرة إلى ما يطلبه الإنسان في دنياه، ومرة إلى حضرة الله، وهذا لا يصلح لأن متلفت لا يصل.

وكذلك متسلل لا يُفلح، يعني الذي يدخل خفية على الصالحين، ولا يريد أن يعرفه أحد، يريد أن يمشي مع الكل، ويأخذ من هذا، ويأخذ من هذا، ويجلس مع هذا، ويجلس مع هذا، ولا يعرفه أحد هنا ولا هنا، وهذا لا يصلح، لأنه لا بد أن يُنسب إلى أقوام لكي يستمد منهم كما أمر الله ﷻ، ونبيه ﷺ.

يقول ﷺ عن نفسه ليعلِّمنا ما كان يحدث مع المريدين، وهذه حقيقة أعجبتني لأن ذلك ما كان يحدث معي وأنا في بداية الطريق إلى الله، فقد كنت أسمع بيت من القصائد، فأظل أردد في هذا البيت شهر أو شهرين او ثلاثة، إلى أن يكرمني الله بالتحقق به فأنتقل إلى غيره، فيقول: فمكثت أرددها سنة حتى عملت بها، ثم ذهبت إلى هذا الرجل الصالح وقلت له: أسمعني غيرها، قال: (ما أقبح الجهل بالأَلِبَّاء، وما أقبح العلة بالأطباء، وما أقبح الحب بأهل الجفاء) كيف يكون إنسان لبيب وعنده عقل ولا يثقفه ولا ينميه بالمعلومات وزيادة القراءة والاطلاع والسماع؟!! واللب هو العقل:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٢١الزمر)

وكذلك كيف يكون طبيب وفي نفس الوقت مريض؟!:

أغير تقي يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي والطبيب سقيم

لا بد أن يعالج نفسه أولاً، فهل يصلح أن يذهب إنسان لطبيب فيقول له الطبيب: علاجك الوحيد أن تترك السجائر، والطبيب يمسك بيده سيجارة؟!! فهل تنفع هذه النصيحة؟! لا، اقلع أنت أولاً عنها ثم أوصي غيرك بالإقلاع عنها، أو يذهب لطبيب يشتكي له من السمنة، فيطلب منه الطبيب أن يُنزل من وزنه، والطبيب سمين! فلماذا لم تفعل ذلك أنت أولاً؟!! وهكذا، فلا بد أن يبدأ أولاً بنفسه:

ابدأ بنفسك فانههها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُسمع ما تقول ويشتفى ... بالقول منك وينفع التعليم

وقال له: (وما أقبح الحب بأهل الجفاء) كيف يعلن أنه محب لله ورسوله، أو محب للصالحين وعنده جفاء شديد من ناحيتهم، أو يهاجمهم، أو يعترض عليهم، أو ما شابه ذلك؟!!، يقول: فأخذتها وعملت بها لمدة سنة، وظل في هذا الحال.

ماذا كانت عبادته التي يتقرب بها إلى الله؟ يقول خادمه واسمه يعقوب: كان يقضي ليله ونهاره في تلاوة القرآن.

وكما رأينا فإن كل أحوال الصالحين قد تكون متشابهة، فالذي حدث مع سيدي أحمد البدوي، ومع سيدي أبو الحسن الشاذلي، ومع أي رجل من الصالحين هو نفس الأمر، البداية في حفظ القرآن وتعلُّم الشريعة، ثم بعد ذلك جهاد النفس، وجهاد النفس أفضل شيء له هو تلاوة القرآن.

لا يوجد شيء أفضل من تلاوة القرآن، ولكن مع التدبر والتمعن والتفكر، وليس قراءة للعد.

أيضاً يُحكى عنه نفس الأحوال التي كانت تحدث مع الصالحين أجمعين، وهي أن يصلي الفجر، ثم يقعد في مصلاه يذكر الله حتى ضحوة النهار، وبعد طلوع الشمس بثلث ساعة على الأقل يصلي صلاتين واردتين عن الصالحين، يصلي ركعتين سُنة الإشراق، وركعتين سُنة الضحى.

ولم نسمع عن أحد من الصالحين السابقين أنه كان لا يقوم الليل، ولو ركعتين قبل الفجر، ولكنهم لم يكتفوا بالركعتين بل لا بد أن يكون لهم وقت قبل الفجر، ولا يوجد أحد منهم كان ينام بعد الفجر، فيظل إلى شروق الشمس، وبعد الشروق بثلث ساعة مع الله فيما صح من الأوراد الواردة عن رسول الله، أو الأحزاب الواردة عن الصالحين،

أو مع كتاب الله تبارك وتعالى، وهذا كان منهجه رضي الله تبارك وتعالى عنه في عباداته وتوجهاته إلى الله.

أوصاف المقربين

ما المنهج الذي بسببه وصل؟ يقول: خضت كثيراً من الأبواب إلى الله تبارك وتعالى فما وجدت أسرع ولا أنفذ من باب الذل والمسكنة، وهو التواضع.

كان أهم ما فيه أنه شديد التواضع لله تبارك وتعالى، وكانت تربيته للمريدين أول شيء أن يتخلق المريد بخلق التواضع، ويضرب لهم الأمثال، فكان يقول كما قال بعضهم: يا بني انظر إلى النخلة فإنها لما تحملت كل شيء بنفسها ولم تتواضع، وَكَلَها الله تبارك وتعالى إليها، فأصبحت تحمل كل ثمارها، وانظر إلى نبات القرع عندما تواضع إلى الله، وألصق خدَّه بالأرض حمَّل الله الأرض ثماره عنه، من الذي يستطيع حمل ثمار القرع الكبيرة؟!! الأرض، لأنه تواضع، وهذا ما ذكره الحديث الشريف:

{وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ}[٩٦]

ولذلك عندما ننظر بعين البصيرة للأحباب، نرى أن كل من عنده شيء من الكِبر ليس هناك أمل في رقيه إلا إذا جاهد نفسه في الخروج من هذا الكِبر، فإذا خرج من الكِبر وتخلَّق بالتواضع عليه أن يفرح فإن الله ﷻ سيصب عليه عطاءاته وهباته بغير حساب.

وكان سيدي أبو العباس المرسي ﷺ يقول لأصحابه المباركين ذلك، فكان يقول لهم: إذا نزل المطر من السماء أين يقف؟ هل على رؤوس الجبال أم على الوديان؟ يقولون: في الوديان، يقول: كذلك إذا نزل ماء العلم الإلهامي على القلوب لا يقف إلا في القلوب التي تواضعت لحضرة علام الغيوب.

لكن القلوب التي فيها شيء من الكِبر ليس لها في هذا العلم الإلهي نصيب، وهذا ما قاله الإمام أبو العزائم ﷺ:

ألا يا أخي بالذل ترقى وتُرفعن ... وبالزهد تُعطى ما له تتشوق
ألا من يكن في قلبه بعض ذرة ... من الكِبر والأحقاد ما هو ذائق

---

٩٦ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

فكان يهتم بصفة خاصة في مجاهدة نفسه وفي تربية مريديه على خُلُق التواضع، حتى أنه من تواضعه رضي الله تبارك وتعالى عنه كان يسأل أصحابه أحياناً ويقول لهم: إن كان فيَّ عيب فدلوني عليه، فقال له أحد تلاميذه النجباء: فيك عيب يا سيدي، قال: ما هذا العيب؟ قال: أننا من تلاميذك، وأن الله جعلنا من تلاميذك، فقال: أنا خادمكم – انظر إلى التواضع – (سيد القوم خادمهم).

وكان ﷺ من شدة تواضعه أكسب الله قلبه شفقة حتى بكل الخلق، حتى بالحيوانات، فكانت شفقته عظيمة بكل الحيوانات، حتى الحيوانات التي يخشاها الإنسان، والتي تؤذي الإنسان، رأى مرة كلباً غريب ليس من الكلاب التي تسكن في منطقته وبه جرب ويتحاشاه الناس، فأخذه وخرج إلى الصحراء وأخذ يتعهده بالرعاية، يغسله، ويحاول أن يضع له المساحيق التي تعالجه، ويُطعمه حتى شفي، وهذا لا يتحمله إلا أكابر القوم الذين جعل الله تبارك وتعالى في قلوبهم الشفقة بخلق الله، وبكل مخلوقات الله تبارك وتعالى.

وإن كان بعض أتباعه والمنسوبين إلى حضرته استغلوا هذا الخُلُق استغلالاً سيئاً في أنهم يحاولون أن يصطادوا الثعابين والأفاعي ويستعرضون بذلك، لكن ليس هذا من منهجه، ولذلك الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه رُوي أنه ذهب إلى مدينة دمياط، فجاءه أهل الطرق الأخرى ومن جملتهم الرفاعية، ويحملون الثعابين على أعناقهم وفي أيديهم ويتباهون بذلك، وقالوا: نحن نمسك الثعابين فماذا معك أنت من الكرامات؟!

فقال: يا هؤلاء إن كنتم تمسكون بالثعابين فكم رجلاً هديتم بهذه الطريقة؟!

فسكتوا، قال: لكني أُمسك ثعابين الحقد التي في القلوب وأُخرجها خارج القلوب لتتقرب إلى حضرة علام الغيوب.

ما الذي يمنع الإنسان من القرب إلى الله؟

الحقد الموجود في القلب، لكن لو أمسكت ثعابين الدنيا كلها ستهدي من بها؟! وماذا تفعل بها؟!! فدلَّهم على الطريقة الحقة التي ينبغي أن يمشوا عليها لأن هذا هو المنهج السديد الذي جاءنا به رسول الله ﷺ:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء).

ريادته للطريق

بعدما فتح الله تبارك وتعالى عليه اقترب أجل خاله منصور الباز البطائحي، فقالت له زوجته: أوصي بالخلافة لولدك، قال: لا، الخلافة لابن أختي أحمد الرفاعي، فغضبت وذهبت إلى كبار المريدين وحفَّزتهم أن يطلبوا من الشيخ أن يجعل الوصاية والخلافة لولده، فلما أكثروا على الشيخ قال لهم: سأُجلي لكم حقيقة هذا الأمر، أحضروا الاثنين معاً، فأحضروا ابنه وأحضروا ابن أخته أحمد الرفاعي، فقال لهما: على كل واحد منكما أن يحضر حِمل جمل ضخم من النجيل الموجود في الصحراء الفلانية، فذهب ابنه سريعاً وجمع النجيل وحمَّله على الجمل وجاء، وانتظروا أحمد الرفاعي أن يأتي فلم يحضر، ولما اقترب اليوم من نهايته قال لهم الشيخ: انظروا أين أحمد؟ ولِمَ لم يأتِ؟! فأحضروه، وليس معه شيء، فقال له: أين الذي جئت به؟ قال: يا سيدي كلما هممت أن أقطع نبتة سمعتها تذكر الله تعالى فأستحي من الله أن أقطعها وهي تذكره، فقال لهم: هل عرفتم؟! هذا دخل في قول الله:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾(٤٤الإسراء)

ولكن هذا الرجل يفقه، فمن يكون أولى بالطريق؟! فسلَّموا له.

تولى قيادة الطريق بعد خاله الشيخ منصور الباز البطائحي ﷺ، والمريدين الذين كانوا يحضرون مجلسه قيل أنهم كانوا حوالي ستة عشر ألف مريد، فكيف كان يسمعهم؟! وكيف كان يصل إليهم الكلام؟! لا تسأل عن ذلك فالله ﷻ يعينه على ذلك.

تربيته لمريديه

والأساس الذي كان يربي عليه المريدين هو:

تفريغ القلب بالكلية من الشهوات والحظوظ والأهواء والدنايا، وملئه بالكلية بحب الله، وحب رسول الله، وحب كتاب الله ﷻ.

هذه العبادة الأصلية التي كان يقوم بها، وليس عبادة نفلية، ولكن عبادة تفريغ القلب، ويقول لهم: القلب إذا فرغ من هذه الشهوات والأهواء يرى الأنوار العلية، وتتنزل فيه الإلهامات الربانية، ويُنذره ويُحذِّره إذا قُدِّر له أن تأتية بلية أو يقع في معصية تُغضب رب البرية، ويخبره بما مضى، ويُخبره بما هو آت، من الذي يخبره؟ القلب.

فكان كل اهتمامه بالقلب، وتصفيته تصفية تامة، وهذه هي نفس طريقة كُمَّل الصالحين في أي زمان ومكان:

إذا صفا القلب من وهم وشبهات ... يشاهد الغيب مسروداً بآيات
نَفَس بقلب سليم رفعة ورضا ... وألف عام بلا قلب كلحظات

ثم أسس طريقته ﷺ وأرضاه، وجعل أساسها ما يلي: (طريقتنا دين بلا بدعة، وهمة بلا كسل) دين ليس فيه بِدَع، فإذا رأينا بعض البِدَع فيمن ينتسب إليه نعرف أن هؤلاء ليسوا صادقين، لأن الرجل تبرأ من البداية من كل هذه البِدَع، وكذلك طريقته فيها همة شديدة في الله، وليس فيها كسل أبداً، فكان ﷺ وأرضاه غاية في العناية بأولاده.

أما الكرامات التي يُشهد له بها فأعظمها وأكرمها أنه كان كان فقيراً لأنه كان يجود بكل ما عنده.

زيارته للروضة الشريفة

فلما أكرمه الله ﷻ بأداء فريضة الحج – وهذه الكرامة موجودة في أكثر من كتاب من كتب القوم – وقف أمام الحضرة المحمدية وقال: السلام عليك ياجدي، قال: وعليك السلام يا بني، فما استطاع أن يطيل الوقوف ووقع من طوله من شدة فرحته بسماع إجابة السلام من سيدنا رسول الله ﷺ، قالوا: وقال:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذي دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وقالوا: الكل رأى يد رسول الله ﷺ تخرج له، ويُقبِّلها رضوان الله تبارك وتعالى عليه.

ولمَّا حج المرة الثانية والأخيرة وقف في الروضة الشريفة وقال:

يقولون عدتم، بم رجعتم؟ ... يا أكرم الخلق ما نقول؟

فسمعوا من الروضة الشريفة الحبيب ﷺ وهو يقول:

قولوا رجعنا بكل خير ... واتحد الفرع بالأصول

الأقطاب الأربعة

بقي أن أشير إلى شيء وهو أنه يُكثر كثير من المريدين السطحيين غير المتعمقين قولاً ليس له أصل، لا عن الصالحين، ولا عن العارفين، ولا عن الأولياء والعلماء العاملين، فيقولون: إن المُذَّركين بالكون أربعة، سيدي أحمد الرفاعي، وسيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي أحمد البدوي، وسيدي إبراهيم الدسوقي !!!

وهذه مقولة ليست حقيقية.

قد يكون كل واحد منهم كان قطباً في زمانه ..

وإن كان سيدي أحمد الرفاعي تبرأ من ذلك، فقالوا له أنت القطب يا سيدي، فقال: نزِّه شيخك عن القطبانية، فقالوا: أنت الغوث يا سيدي، قال: نزِّه شيخك عن الغوثية، لماذا؟

لأن فوق القطب وفوق الغوث جماعة اسمهم الأفراد الذين أفردوا الله تعالى بالقصد، والذين يقول فيهم ﷺ:

{ سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ }[٩٧]

وفي رواية أخرى قال:

{ سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا }[٩٨]

واستهتروا يعني أكثروا بغير حد ؟؟

وهؤلاء يأتون يوم القيامة خفافاً ليس عليهم شيء أبداً، فكل واحد منهم قد يكون قطباً في زمانه، لكن حكمة الله تبارك وتعالى أنه لكل زمان دولة ورجال، لأن هذا يقتضي أن دعوة الحبيب ﷺ ممتدة إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

في كل زمان رجال من الصالحين يؤيدهم الله بالكرامات !!

---

٩٧ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
٩٨ جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

وكرامة الرجل الصالح هي كرامة للنبي الذي يتبعه.

كأن كرامات رسول الله ومعجزاته مستمرة إلى يوم القيامة !!

لكن عندما يكون زمن ليس فيه إكرامات فإن القيامة ستكون على وشك أن تقوم، فهؤلاء الرجال لا يخلو منهم زمان ولا مكان.

لو أن هؤلاء هم فقط الأقطاب الأربعة؟؟؟

فإن هؤلاء كان بدايتهم القرن السادس الهجري، فالذين قبلهم مَن كان أقطابهم؟!! والذين بعدهم مَن أقطابهم؟!!؟؟؟

لكن لكل زمان دولة ورجال، وهذه حكمة الله كما قال:

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ (١٠٦البقرة)

والآية كما تقال على آيات القرآن ... تقال على الآية الإلهية التي يقيمها الله ﷻ في الأكوان !!، وهو الرجل الصالح الذي وهبه الله البيان تصديقاً لقوله في القرآن:

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (١٩القيامة)

النبي كان يريد أن يبين، فأمره الله أن يترك البيان لأن النبي لو بيَّن فلن يُبيِّن أحد من بعده ..!

لكن كل عصر يحتاج إلى بيان يناسب العصر!

فيُلهم الله ﷻ رجالاً في كل عصر يبينون كلام الله ...

ويبينون شرع الله بما يناسب هذا العصر الذي هم فيه !!!

حتى يظل إعجاز شرع الله، وإعجاز كتاب الله مستمر إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بالصالحين، وأن يملأ قلوبنا بحبهم، وأن يوفقنا للسير على منهاجهم، وأن يُخلِّقنا بأخلاقهم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

السيد عبد الرحيم القنائي

رضي الله عنه[٩٩]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي جعل لعباده الصالحين نماذج قويمة يقتدون بها في أحوالهم، ويتأسون بها في سيرهم وسلوكهم حتى يصلوا بفضل الله إلى خالص كرم الله وعطاء الله، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وسراج قلوب العارفين؛ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الصالحون يوصون كُمَّل المريدين بمداومة الإطِّلاع على سِيَر وأحوال الصالحين والعارفين السابقين والمعاصرين، كأنها تشحذ الهِمَّة، وتُقوي العزيمة، وتُصحح القصد في بلوغ المراد وهو رضاء الله تبارك وتعالى.

وقد كان الإمام الجنيد ﷺ وهو سيد الطائفة يقول: حكايات الصالحين جُندٌ من جند الله تبعث همم المريدين، وتُقوي أحوال السالكين، وتبعث الوجد والشوق في قلوب العارفين، حتى يتأجج شوقهم إلى سيد الأولين والآخرين، فقيل له: هل لك من برهان أو دليل على ذلك؟ قال: نعم، قول الله تبارك وتعالى لحبيبه ومصطفاه:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾ (﴿١٢٠﴾هود).

إذا وجد المريد ميلاً في قلبه، وحنيناً في روحه إلى سماع حكايات الصالحين ومطالعتها، فليعلم علم اليقين أن له نصيبٌ في فضل الله وإكرامه للصالحين.

الغافل يميل إلى كراماتهم، لكن الخواص يميلون إلى حكاياتهم في جهادهم لأنفسهم، وبلوغهم المراد، ليتأسوا بهم، وليقتدوا بهديهم، وليزكوا النفوس عند ثورتها عندما يطالبها بالجهاد بأحوالهم.

ولذلك دائماً أنصح الأحباب بأن يقتنوا الثُلَّة المباركة من الكتب التي كتبها الدكتور عبد الحليم محمود عن الصالحين رضي الله عنهم، وهي أكثر من عشرين كتاباً، وموجودة في دار المعارف وفي دار الشعب، والمكتبات الموجودة بجوار سيدنا الحُسين، لماذا؟ لأن الرجل كتبها وحققها تحقيقاً علمياً، فليس فيها التُراهات ولا الخرافات ولا

٩٩ المعادي – مقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله ١٩ من رجب ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/٤/٥م

الخزعبلات الموجودة في كتب الآخرين، وفيها معونة للسالك على قطع الطريق إلى الله الذي يحتاج إلى جهادٍ شاق.

ونحن – والحمد لله – وفَّقنا الله فكتبنا كتاباً عن الإمام محمد ماضي أبو العزائم وهو أول كتاب أُلِّف في سيرته ﷺ، وكتابٌ عن شيخي الشيخ محمد علي سلامة ﷺ، وكتاب عن سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ شيخ طريقتنا، وكتاب عن سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ، وكتاب عن سيدي أحمد البدوي ﷺ، وكتاب عن سيدي عبد الرحيم القنائي ﷺ.

وأريد أن أعطيكم موجزاً عن جهاد الشيخ عبد الرحيم القنائي وأشباهه وأمثاله في أنفسهم، لتعرفوا أن الصالحين ليست كلمة عابرة، وليست بُغية نفسية لا يتوافق معها جهاد نفسٍ، وليست أمل بغير عمل، لكن أمل يحتاج لكي يتحقق إلى مزيد من العناء والجهد والعمل، وبُغية في لقاء الله تحتاج إلى الحقائق كلها أن تتوجه بالكلية إلى حضرة الله تبارك وتعالى.

مولده ونشأته

هذا الرجل وُلد في بلدة اسمها (ترغاي) تابعة لإقليم سبتة ببلاد المغرب الآن، وهو من آل البيت، فأبيه من ذرية سيدنا الحُسين، وأمه من ذرية سيدنا الحُسين.

والعجب – ولم تذكر الكتب له سبب – أن أُمه من دمشق في بلاد الشام، فكيف كان أبوه في بلاد المغرب في هذه العصور الصعبة وتزوج هذه المرأة من بلاد الشام من دمشق!، فلا بد أن يكون هناك سرٌ ولكن لم تدركه الكتب ولم تحكيه.

فالأمر فيه جهاد، لأن كونه يترك المغرب، ويذهب إلى دمشق، وقد يكون سيراً على الأقدام ليتزوج، ويوافقوا على زواجه، ويأخذها معه إلى بلاد المغرب، وكيف وافقت أُمها أن تذهب إلى هناك؟! فأنا أحكي لكم عن خلفيات تلفت النظر، وليس لها إجابة إلا توفيق الله ورعاية الله ﷻ.

فتزوج بهذه المرأة، وهذا الرجل كان عالماً من العلماء الفحول، وكان المسجد الكبير في البلد يؤدي فيه دروسه، ويخطب فيه الجمعة، ويؤم فيه الناس في الصلوات.

وُلد له ابنه وعلى حسب عادة هذه البلاد والقبيلة سمَّاه أسد، فمن الذي سمَّاه

باسم عبد الرحيم؟ هو، فبعد أن جاء لقِنا بصعيد مصر قال: عندما وصلت إلى قنا فُتحت لي أبواب الرحمة الإلهية، فأبدلت اسمي من أسدٍ إلى عبد الرحيم.

بدأ كعادة أولاد العلماء في حفظ القرآن، حتى أنه عندما وصل إلى سن ثماني سنوات كان قد حفظ القرآن عن ظهر قلب، وجوَّده، وبدأ كعادة الصالحين والأولياء في هذا الزمان الدراسة التي تعينه على فقه وفهم القرآن، فبدأ في دراسة اللغة، والنحو، والفقه، والحديث، وهذه العلوم في ذاك الزمان لم تكن تُدرَّس في مدارس، بل كان يُدرِّسها أفراد، عالم مشهور في علم الحديث فإن الطلاب يفدون إليه ويعلمهم، وعالم مشهور في علم اللغة يفد إليه الطلاب ويتعلمون على يديه.

وعندما وصل من العمر اثنى عشر عاماً حدث له حادث أثَّر فيه تأثيراً بليغاً، فقد تُوفي والده، وكان والده القدوة له.

كثير من الشباب في هذه الأيام لا يُصلي في المسجد، ولكن يُصلي في أي مكان، ولا يؤدي واجبات العزاء، ولا الأفراح، إلا القليل، هذا الابن ممن يتعلم؟! وكيف يتعلم أن يذهب إلى المسجد إلا إذا أخذته من يده معي ونذهب للمسجد لنُصلي؟

لكن أصبحت الموضة الآن عدم الصلاة في المسجد، وأصحاب حضرة النبي كان الذي يفوته منهم الجماعة الأولى كلها يعزوه سبعة أيام، والذي تفوته تكبيرة الإحرام الأولى يعزوه ثلاثة أيام، لأنه فاته الفضل الإلهي.

والمصيبة الأعظم ما قاله الصالحون: إذا فاتت العبد صلاة الجماعة ولم يتأثر ولم يتكدَّر ولم يتغير فذاك دليلٌ على مرض القلب والعياذ بالله تبارك وتعالى!!، لأن القلب لو كان سليم فلا بد للنفس اللوامة أن تتحرك وتلومه وتعاتبه وتؤاخذه لينتهي عن هذا الأمر الذي فيه عدم رضاء الله تبارك وتعالى، لكن شبابنا استمرأ هذا الأمر ومشى على هذه الوتيرة.

لكن هذا كان أبوه متوليه، ولذلك عندما مات الوالد تأثر الولد تأثراً بليغاً، ومرض مرضاً لم يعرفوا له كُنه، وبحثوا له عن علاج فلم يجدوا، وفي النهاية اقترح بعض أصدقاء أبيه أن يُغيِّر الجو الذي فيه، فيسافر إلى مكانٍ آخر، فأين يُسافر؟

أُمُّه قالت: يسافر عند أخواله في دمشق، وكان عمره اثني عشر سنة في هذا الوقت، فذهب عند أخواله.

وهناك كانت همته التي غذَّاها أبوه ونماها في طلب العلم وتحصيله، فحصَّل علوم المغرب، وبدأ في تحصيل علوم المشرق في دمشق، والدليل على الجدية في طلب العلم أنه لم يطلب أن يرى أمه بعد سنة أو سنتين، ولكن مكث ثماني سنوات في دمشق، ولم تستوحشه الغُربة، لأنه يريد أن يُحصِّل إلى أن حصَّل العلوم الموجودة في دمشق في زمانه، وألَّح عليه أساتذته أنه لم يعد له أن يجلس كطالب علم، بل يجلس على كرسي كمعلم ليُعلم ما تلقَّاه من العلم، وكان عمره عشرين عاماً في هذا الوقت.

هذا الرجل كان عنده ميولاً صوفية، الصوفية الحقيقيون وليسوا كالصوفية العصريين، الذي يحضر المجلس ويريد أن يُبعد كل من بالمجلس لينفرد بالمجلس، لكنهم لم يكونوا هكذا، بل كل واحد منهم يريد أن يدفن نفسه في أرض الخمول لتشرق عليه أنوار الوصول، وهذا يقدم غيره، وهذا يقدم غيره، وهذا يقدم غيره، فهذا التصوف الحقيقي الذي علَّمه لنا الصالحين الصادقين، نسأل الله أن نكون منهم ومعهم أجمعين.

فاستنكف أن يجلس على كرسي أساتذته، فلما ألحُّوا عليه رجع إلى بلاد المغرب، فوجد أهل البلد (ترغاي) أُناسٌ أوفياء، فلم يجعلوا أحد يجلس على كرسي أبيه إلى أن يرجع، فلما رجع قالوا له: هذا الكرسي ينتظرك، وتجمعت الجموع من البلدة ومن حولها ليسمعوا الرجل القادم وقد جمع علوم المغرب والمشرق.

فأخذ يدرِّس لهم خمس سنوات، وفي هذه الفترة استزاد من التصوف، وكانت بلاد المغرب في هذه الآنات مشهورة بالصوفية الصادقين، وكانت البلدة التي تضارع بغداد عاصمة الخلافة العباسية في حينها (فاس) في بلاد المغرب، فتجمع بها علماء الأندلس الذين فروا من الزحف الصليبي، وهاجروا إلى فاس، وفيها المغاربة، وهو تعلم من علماء المشرق ورجع هناك.

وهو لم يكن يريد العلماء لأنه تعلم، ولكنه كان يبحث عن الصالحين، حتى يتربَّى التربية الروحية الصحيحة، وهذ المنهج الذي مشى عليه كُمَّل العارفين، ومشايخ الأزهر الراقين إلى وقتنا هذا، بعد أن يكمل العلوم الدينية يريد أن يكتمل في الصفاء الروحاني، والفتح الإلهي، فلا بد له من عارف رباني يأخذ بيده حتى يصل به إلى هذه الخصوصية.

فالتقى باثنين من فحول رجال المغرب، وكان أشهر الصالحين في بلاد المغرب في ذاك الوقت رجل اسمه: الشيخ أبو يعزي، وهذا الرجل جُذب في البداية، ومكث خمس

عشرة سنة مجذوباً في البرية، ولا يأكل إلا من ورق الشجر، إلى أن فتح عليه الفتاح ﷻ فتوحات كشفية وإلهية لا حد لها ولا عد لها.

ولن أحكي عنه شيئاً، ويا ليتكم تقرأون عنه، فالذي يقرأ أحوال هذا الرجل يتحوَّل إلى حال آخر، وكان أهل المغرب يستشفعون به عندما يريدون نزول المطر، فيذهبون له ويدعوا الله فينزل المطر منهمراً على الفور!.

الشيخ أبو مدين

وتربَّى على يديه الشيخ أبو مدين شُعيب ﷺ وأرضاه، والشيخ عبد الحليم محمود له كتابٌ عنه، هذا الرجل من أعجب الأعاجيب في العزيمة في طريق الله، لنعرف أن طريق الله يحتاج إلى العزيمة المضية، فقد وُلد في بلاد الأندلس، وأبوه توفى وهو صغير، وإخوته جعلوه يعمل في رعي الغنم، ولم يرسلوه لمدرسة أو كُتَّاب، لكنه يقول: عندما كنت أسمع القرآن كنت أشعر بوقع غريب وأريد أن أستزيد من سماع القرآن، وهو لم يتعلم شيئاً، ولا حتى الفاتحة لم يكن تعلمها ولكن يرعى الغنم فقط.

فكلما رأى أُناسٌ يقرأون القرآن يجلس ليسمعهم، لنعرف أن السابقة حاكمة، والعناية من البداية، أعطاه الله العناية من قبل القبل، حتى إذا جاء إلى الدنيا فهي التي تطالبه.

حتى جاء يوم من الأيام وقال لأحد الرعاة مثله: أنا أُريد أن أتعلم القرآن، وأتعلم الصلاة، فقال له: اترك هذه البلدة، واذهب إلى البلد الفلانية فيوجد بها أُناس سيعلموك، فأعاد الغنم ومشى، وأخذ أخاه الكبير يبحث عنه فلم يجده، حتى لحق به وأمسك به، وبعد ذلك أصبحوا يراقبوه ويتابعوه.

وبعد ذلك عزم النية أن يسافر – العزيمة موجودة – لماذا يسافر؟ ليحفظ القرآن ويتعلم الصلاة، فعزم في يوم أن يُدخل الغنم، وبعد أن ينام كل من في البيت يمشي.

فمشى ومعه عصا الغنم الصغيرة، فأخوه شك، فبحث عنه فلم يجده، فركب فرسه وتعقبه فوصل إليه مع مطلع الفجر، وكان قد تعب، ومن شدة تعبه رفع السيف وأراد أن يقتله بالسيف، لأنه تعب من كثرة الحركة والمشي، فرفع العصا، وإذا بالمعجزة تحدث والعصا تكسر السيف، وهذه العناية أن العصا تكسر السيف، وهو لم يكن يعرف شيئاً، ولم يصل لمقام الولاية، ولكنه كان مطلوباً:

وإذا العناية لا حظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

المهم العزيمة، فالإنسان إذا كان معه العزيمة، فإن العزيمة تلين الحديد، وتجعل الإنسان يبلغ ما يريد، ولذلك قالوا لنا: من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة.

فإذا كانت بدايته تخاذل وتهاون وتكاسل، فأين يذهب هذا؟ سينام، لكن لا بد أن تكون البداية شديدة، وهي بدايات الصالحين.

فأخوه عندما وجد هذا الأمر قال له: توكل على الله، وخذ معك هذا المال واستعن به، وأعانك الله.

فذهب وتعلَّم القرآن، وبدأ يُصلي، وأحبَّ العلم، فقالوا له: لكي تتعلم العلم الصحيح عليك أن تذهب للمغرب، فذهب للمغرب ووصل إلى فاس، وفاس كان فيها جامع كبير كالجامع الأزهر واسمه جامع القرويين، وكنظام الأزهر به حلقات، فكان يحضر مع المفسرين، ويحضر مع علماء اللغة، ومع هذا وذاك.

حصَّل العلم وأصبح عالماً، وبعد ذلك يريد أن يتربَّى، فذهب للشيخ أبو يعزي ﷺ وأرضاه، فهو الذي علَّمه العلم الإلهي إلى أن فتح عليه الفتاح تبارك وتعالى.

هذا الرجل الذي رأينا بدايته سموه شيخ الشيوخ، لماذا؟ لأنه لم يمُت حتى ربَّى ألف شيخ كلهم من أهل الكشف، ما هذه العزيمة؟!! كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، لكن فتح عليه الفتاح ﷻ وكان من كُمَّل الرجال في تربية المريدين، وفي الوصل برب العالمين ﷻ.

وكانت له كرامات لا تعد ولا تحد أسرد منها بعضها على سبيل الإشارة: أنكر عليه رجل وأراد أن يمتحنه، فقال له: لم جئت؟ فقال له: جئت لأستفيد من كراماتك، فقال له: وماذا في كُمَّك؟ قال: القرآن، فقال له: افتحه واقرأ أول سطر تقع عليه عينك، ففتح الرجل المصحف وأول سطر وقعت عليه عينه:

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٩٢الأعراف)

وكان اسمه شُعيب، ومدين هو ابنه!، فانظر للإجابة الربانية كيف تأتي؟!!.

هؤلاء الرجال الذين تربَّى على أيديهم سيدي عبد الرحيم القنائي ﷺ، وكلمة السيد نقولها لأهل البيت لأن النبي قال لهم ذلك، فأمسك بسيدنا الإمام الحسن وقال ﷺ:

{ إنَّ ابْني هذا سيِّدٌ، وسَيُصلِحُ اللهُ بِهِ بَينَ فِئَتَينِ عَظِيمَتَينِ مِنَ المُسلِمينَ }[١٠٠]

وقال في الحسن والحُسين:

{ الحَسَنُ و الحُسَيْنُ سَيِّدا شَبَابِ أهْلِ الجَنَّةِ }[١٠١]

وهل يوجد أحدٌ من أهل الجنة ليس شباباً؟! أهل الجنة كلهم شباب، يعني هما سيدا أهل الجنة لأن كل من فيها شباب:

{ لَا يَبْلَى شَبَابُهُمْ }[١٠٢]

فكلمة السيد دائماً نقولها كلقب لأهل البيت، والسيد البدوي ليس إسمه السيد البدوي، فاسمه أحمد، نحن نقول: السيد أحمد البدوي، لكن الناس العوام جرت العادة يقولون السيد البدوي، فكلمة السيد تُطلق على آل بيت النبي ﷺ.

اتجاهه إلى المشرق

وبعد أن بلغ السيد عبد الرحيم القنائي خمسة وعشرين سنة – ولم يكن اسمه القنائي وقتها، بل كان اسمه أسد – تُوفيت والدته، ولم يذكر التاريخ له إخوة كان مسئولاً عنهم، أو عن تربيتهم، وتقريباً كان وحيداً، ولم يكن قد تزوج.

وهو من البداية ككل الصالحين الصادقين نذر حياته كلها لله، فوجد بتوجيه من رسول الله أن أرض الجهاد المكُلَّف بها في بلاد المشرق، وليست في بلاد المغرب، فأعلن التوجه إلى الحج لزيارة بلاد الحجاز، والتنعم بمكة والمدينة وتحصيل العلم الذي يشتهر به أهل مكة والمدينة في هذه الآنات.

فلا تزال عنده رغبة في تحصيل العلم، ولا يريد ماجستير أو دكتوراة ليقولوا عنه دكتور، بل يريد العلم لله، فذهب إلى مكة والمدينة، وكان الطريق أن يأتوا من البحر إلى الإسكندرية، ويركبون النيل إلى قنا، ثم يمشون من قنا إلى قوص، ومن قوص إلى بلد إسمها عيذاب على البحر الأحمر، وبعدها يركبون سفينة إلى جدة، وكانت شاقة جداً، وتستغرق وقتاً كبيراً.

---

١٠٠ صحيح البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه
١٠١ جامع الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
١٠٢ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

حياته في مكة والمدينة

والمنهج الذي تعلَّمه من علماء التصوف في المغرب – وهو المنهج الحقيقي – أن يعتمد على نفسه في توفير نفقاته الضرورية، فلا يمد يده لأحد، ولا ينتظر راتباً ولا جراية من أحد، فمارس التجارة لكي يكفي نفسه سؤال الناس، ويقوم بأمور نفسه.

فإذا انتهى من التجارة يُقبل على حلقات العلم، وكان يتنقَّل بين مكة والمدينة، إما في البيت الحرام، وإما في المسجد النبوي.

فإذا انتهى يختلي مع الله ورسوله في تعبد، وفي تفكر، وفي ذكر لله ﷻ، فكانت هذه حياته في مكة والمدينة.

استمرَّ على هذه الحالة حوالي ثمان سنوات ولم يتزوج، ولا فكَّر في الزواج، وظل يرتقي في الأحوال الروحانية حتى صارت هناك وُصلة بينه وبين حضرة النبي ﷺ، فكان يقول: لي ليلتان مع رسول الله ﷺ، ليلة الإثنين وليلة الخميس، يأتيني فأعرض عليه ما استُشكل عليَّ من الأمور، فيُجيبني عنها جميعاً.

وهذا الذي نركز عليه للمشايخ العظام لهذا الزمان، متى تكون شيخاً؟

إذا أدخلك شيخك على حضرة النبي ﷺ!

وأصبح بينك وبين حضرة النبي وُصلة!

وأخذت إذناً صريحاً من حضرة النبي بأنك تجاهد في باب كذاؤ!!

أو تُرشد الناس إلى كذا.

فإذا تعجلت قبل ذلك:

فنفسك تكون قد لعبت بك !!

ولن تصل إلى هنا ولا إلى هنا !!

ولن تُحصِّل كثير ولا قليل لأنك دخلت في شهوة النفس، ... وما دام الإنسان قد دخل في شهوة النفس، وأصبح عبداً لنفسه فلن ينتفع بشيخه، ولا ينتفع بسيدنا رسول الله ﷺ، ... لأن هذه الخطوط الواضحة التي وضعها لنا الأئمة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ركَّز سيدي عبد الرحيم القنائي وهو في الأرض المقدسة على العمل، فكان يشتغل في تجارة القماش ليكفي نفسه ولا يمد يده إلى غيره، ولذلك كان بعد ذاك أهم ما يُوصي به المريد الراغب في الدخول في مدرسته أن يكون له عملٌ حلالٌ يسعى إليه، ويتكسَّب منه أرزاقه، ولا يجوز لمريد أن يكون عالة على غيره، أو يمد يده إلى غيره.

وبعد التكسب يعمل بقول الله لحبيبه ومصطفاه: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾ إذا فرغت من العمل فانصب، يعني لا يستريح، ولمن ينصب؟

﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ (٨الشرح) فكان يرغب إلى الله.

فتوحاته

وكان يُقسِّم وقته بين طلب العلم، وبين العبادة والإقبال على حضرة الله تبارك وتعالى، وظل على ذاك حتى رزقه الله الصفاء والنقاء، وأشرق على قلبه بالضياء والنور والبهاء، وأصبح على وُصلة بسيد الرسل والأنبياء ﷺ.

وناهيك بعبدٍ لا يختار في أي أمر!، لأنه إذا تخيَّر في أي أمر عرضه على حبيب الله ومصطفاه، فيأخذ الإجابة من الذي لا ينطق عن الهوى، فماذا بعد ذلك؟!.

وهو مع سيدنا رسول الله كان هو الذي يُشرف على ترقيه وعُلوُّهِ في الحياة الروحانية، وبلوغه إلى المقامات الهنية في القرب من الحضرة الإلهية.

فكان يعرض عليه أحواله كلها، وعلى سبيل الإشارة وحتى لا يُدركنا خطأ في العبارة فسنذكر ما قاله بلسانه في حادثتين كريمتين معه:

الأولى في وصف الله الرحمن، والثانية في وصف قلب النبي الرءوف الرحيم ﷺ، فيقول في وصف الله الرحمن:

الرحمن اسمٌ مكثتُ سنين طوال أتفكَّر وأتذكَّر وأقول: هل معناه الرحمة المطلقة منه جل جلاله؟ فأسمع نداءاً يقول لي: تأدَّب يا قاصر الطرف والإدراك، فقلتُ: علمني يا ربي كيف أصل إلى المعنى المقصود؟

فرأيتُ رسول الله ﷺ مناماً فسألته ﷺ، فقال لي:

يا عبد الرحيم، الرحمن اسم الله الذي ادَّخره لنفسه، ولم يطلع عليه أحدٌ من عباده، واختصَّ به أقواماً نسبهم إلى اسمه هذا فسمَّاهم (عباد الرحمن)، فضَّلهم على

عباده، وميَّزهم بصفاته، وقربَّهم إليه، ورفعهم فوق سائر الناس.

ولهذا فإن معنى هذا الاسم لو عرفت كما تُدرك لأدركت كما عرفناه، ولو عرفت وأدركت لتركت وندمت.

فقلتُ: يا سيدي يا رسول الله، ما معنى لتركت وندمت؟

فقال ﷺ: لتركت البحث وبقيت في نور اسمه الرحمن، فالنور يُحبب للإنسان النظر إليه، وقد يُقرب القلب منه إليه، وفي هذا يبقى الشوق عاملاً من عوامل القربى، والدافع للعمل المتصل الخالص لله، وندمت أنت لو وصلت إلى نهاية العلم فيه، وقد انتهى بك المطاف بشوقٍ لا تتحمله، فتذوب فلا تدرك، وعندما تفقد الإدراك فلا حلاوة ولا طلاوة يا عبد الرحيم.

الرحمن اسمٌ خاص لا يأتي ذكره في القرآن إلا وبعد هذا الاسم أمرٌ عظيم وخبرٌ كبير، ولا يلتصق به من المخلوقات عبيدٌ إلا وهم أصحاب الشأن العظيم، ولا ينظر أحدهم إلى كتابة هذا الإسم يوماً واحداً بالبصر والبصيرة والتبصُر، إلا وقد تكلم هذا الناظر في خوارق الأمور وأدقها وأصعبها، وبكلامٍ ليس من مستوى الناظر والمتكلم.

يا عبد الرحيم، أتريد أن تنظر؟ فقلت: أخاف يا رسول الله، فقال ﷺ: يا عبد الرحيم أَبقِ على الطرف قليلاً ثم انظر، فنظرتُ فرأيتُ عجباً، رأيتُ اسم الرحمن يُردده ملائكةٌ هم حملة العرش، وحولهم ملائكة لا عدَّ

لهم ولا حصر، إنهم يحومون حول عرش الرحمن ليس لهم ذكرٌ غير اسم الرحمن، والدعاء والاستغفار للذين آمنوا وتابوا واتبعوا سبيله، في أصواتهم قوةٌ ورقةٌ، وفي وجوههم نورٌ ليس كمثله نور، يقولون: ربنا وسعت رحمتك كل شيء رحمةً وعلماً.

فأُغمي عليَّ حتى أفقتُ، والعرق قد بلَّل جميع ملابسي، واستيقظتُ وأنا أقول: الرحمن فاسأل به خبيرا، الرحمن فاسأل به خبيرا، الرحمن فاسأل به خبيرا، فبقيتُ على ذلك أقول للناس: الرحمن اسمٌ علا في الكون لا يعلمه إلا الله. (انتهى كلام الشيخ عبد الرحيم).

أرأيتم أحوال العارفين مع سيدنا رسول الله؟!!

حتى تعرفوا أحوال الصالحين!!.

جهاده في بلاد الصعيد

ظلَّ هذا الرجل في هذا الميدان مع الحبيب حتى أذن الله ﷻ له أن ينزل إلى ميدان جهادٍ آخر، لنعرف أيضاً أن الصالحين ليسوا زاهدين في الدنيا وتاركين للدنيا فقط، بل لهم جهادٌ شديد.

في هذه الآنات – وكان هذا في القرن الرابع الهجري – كان الصليبيون قد استولوا على بيت المقدس، وبعض أرجاء بلاد الشام، وكانت الدولة الفاطمية في هذا الوقت قد جاءت من بلاد المغرب واستولت على مصر، وبنوا الأزهر لينشروا المذهب الفاطمي في مصر، وهو المذهب الشيعي، فالفاطميون هم الشيعة، لكن سبحان الله بُني الأزهر لنشر المذهب الفاطمي فأصبح هو الأساس الأول في العالم لنشر المذهب السُني!.

فقيَّض الله للفريقين؛ الصليبيين والشيعة صلاح الدين الأيوبي رحمة الله عليه، فنصره الله على الصليبيين، وجاء إلى الأزهر وأبطل تدريس المذهب الشيعي، وأحيا تدريس المذهب السُنِّي على المذاهب الأربعة.

وتعقَّب الشيعة، ففرَّوا من القاهرة وضواحيها إلى بلاد الصعيد، لينشروا فكرهم هناك، وركَّزوا في قوص وإسنا والأقصر وهذه البلاد.

والصليبيون كان معهم فريقين، فريق معه السلاح، وهؤلاء الذين نزلوا على الشواطئ، وفريقٌ معه الإلحاد ويريدون أن ينشروه بين المسلمين، وهؤلاء توغلوا في البلاد أثناء انشغال المسلمين بالمعارك، وتوجَّه معظمهم إلى بلاد الصعيد لأنها بعيدة عن الحكومة وعن الرقابة، وسمُّوا أنفسهم بالمبشرين، لكي يُحوِّلوا الناس من الإسلام إلى الضد.

فكانت رسالة الشيخ عبد الرحيم القنائي في هذه، فقد تقابل مع أحد العلماء من قوص، وكانت قوص في هذا الوقت تعتبر عاصمة الصعيد الجنوبي العلمية، وكانت مركز العلماء هناك، فأخذ يتناقش معه في أحوال المسلمين، ثم دعا هذا الرجل الشيخ عبد الرحيم ليأتي إلى قوص ليجاهد هناك، فاقتنع سيدي عبد الرحيم وجاء معه، فجاء إلى قوص ولكنه لم يمكث فيها إلا ثلاثة أيام، لأنه قد جاءته رؤيا بأن يتوجَّه فوراً إلى قنا، فقال للرجل: قوص مليئة بالعلماء ولا يحتاجون لي، وأنا ذاهب إلى قنا لأنهم يحتاجونني.

حياته في قنا

فذهب إلى قنا، وبدأ حياته وجهاده في هذا المكان، وكان عمره في هذا الوقت حوالي ثمانية وثلاثين سنة.

بدأ أولاً بالتجارة ليُؤمّن كالمعتاد أرزاقه، ويُنفق على طلاب العلم الذين يأتونه، والفقراء الذين يتعلمون على يديه، وتزوج ابنة أحد العلماء ليستقر ويستكمل رسالته، واستمر سنتين معتكفاً مع الله يؤهِّل نفسه للرسالة التي كلَّفه بها مولاه، وهاتين السنتين ليستا في مكتبة ليُحصِّل العلوم، ولكن في مرتبة إلهية ليُحصِّل العلوم الإلهية، ويكون معه الجنود النورانية التي تعينه على بلوغ هذه الأُمنية.

هكذا يكون استعداد الصالحين والعارفين الذين يقول فيهم الشيخ ابن عطاء الله السكندري ﷺ وأرضاه: ((تسبق أنوراهم أقوالهم، فتجذب القلوب وتؤهلها لتنزُّل الغيوب)) والذي قال فيهم أيضاً: ((حال رجل في ألف رجل، خيرٌ من كلام ألف رجلٍ في رجلٍ واحد)) المهم الحال الذي يشد الناس ويُدخلهم على حضرة الواحد المتعال تبارك وتعالى.

بدأ مدرسته وجهاده، وأول شيء فعله ردَّ المدَّ الشيعي، وردَّ المد الإلحادي والتبشيري، ونشر المودة والمحبة والأُلفة التي هي أساس المنهج الصوفي، والتي هي أساس إصلاح المجتمعات، فأي إصلاح للمجتمعات يحتاج إلى هذه القيم الإلهية، المودة والمحبة والأُلفة وغيرها من الصفات الطيبة، والأوصاف الحميدة التي نزل بها سيدنا رسول الله، والتي يقول له فيها الله:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ ﴾ (١٥٩)آل عمران).

وبدأ يجتمع حوله المريدين ويُؤهلهم، وفي هذه الآنات كانت الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين ترى أن خير من يقف أمام المدِّ الشيعي الذين هم في الأصل ينتسبون لأهل البيت ولكنهم على المذهب السُني، لأن الشيعة يدَّعون أنهم أهل البيت، لكن هؤلاء هم أهل البيت وسُنة وعلماء.

فأصدروا له قراراً بأن يتولَّى شياخة قنا، فأصبح شيخ قنا ﷺ وأرضاه، وأُطلق اسم القنائي عليه نسبةً لقنا، وهي البلد التي نزل فيها.

دعوته

بعد سنتان الاستعداد بدأ في التوسع في نشر دعوته ..

وأقام دعوته على عدة أمور:

أولاً: الكسب الحلال.

ثانياً: علم الفقه الذي لا بد منه لكل سالك لطريق الله تبارك وتعالى.

ثالثاً: تزكية النفس، فالإنسان بدون تزكية النفس لن يستطيع بلوغ الصفاء والنقاء، ولن يُمنح النور ولا الضياء ولا البهاء:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ (١٥الأعلى)

يعني الصلاة نفسها لا تجوز ولا تُرفع إلا إذا زَكَّى الإنسان نفسه ثم أقبل على الصلاة لله تبارك وتعالى.

رابعاً: المودة والمحبة والأُلفة بين المؤمنين.

هذه أُسس دعوته.

وجعل نظرية مدرسته: أن التصوف يقوم على عدة أُسس:

العلم والعمل والأخلاق.

وركَّز حياته ومدرسته كلها لنشر ذلك.

أولاً طلب العلم، والعلم؛ أي علمٍ يساعد الإنسان على فقه وفهم كتاب الله تبارك وتعالى.

ثم العمل.

ثم الالتزام بالأخلاق النبوية، والأخلاق القرآنية، والأخلاق المحمدية.

هذه نظريته التي أقام على أساسها مدرسته الروحانية ...

رضوان الله تبارك وتعالى عليه.

رزقه الله من الولد والبنات تسعة عشر، لأنه تزوج بنت أحد العلماء، وبعد أن توفت تزوج من ثلاثة غيرها.

تلاميذه

ورزقه الله أكثر من هذا بكُمَّل الأولياء والصالحين.

فكان من كبار تلاميذه:

- سيدي أبو الحسن الصباغ ﷺ وأرضاه خليفته.
- وسيدي أبو الحجاج الأقصري الذي وقف أمام المدِّ المسيحي في بلاد الأقصر في زمانه، وكانت هناك راهبة كادت تُحوِّل كل المسلمين إلى الديانة المسيحية، فظل معها حتى حوَّلها واتباعها جميعاً إلى الإسلام.

هذا هو جهاد الصالحين ...

وليس الجهاد في الأوراد فقط والأذكار وغيرها كما يظن الكثير !!!

ولكن هذا هو الجهاد الشديد.

كان سيدي أبو الحجاج الأقصري:

صاحب عزيمة لا تلين ولا تحيد:

فقد كان ذات مرة جالساً مع بعض المريدين السالكين المبتدئين، فقالوا له:

من شيخك؟ فقال لهم: أبو جُعران – وأبو جُعران حشرة صغيرة – كالخنفساء فقالوا له: كيف؟

قال: كنت جالساً في ليلة وحاول الجُعران أن يصعد إلى المصباح – يعني الشمعة – ليصل إلى النور، فكلما اقترب وقع، فعددتُ عليه في ليلة سبعمائة مرة ولا ييأس!، فلما اقترب الصبح ذهبتُ إلى صلاة الصبح ورجعت فوجدته جالساً على قمة المصباح، فقلتُ لنفسي: يا أبا الحجاج إذا كان هذا يحاول أن يصل إلى هدفه سبعمائة مرة، أفلا تصبر مع الله ﷻ حتى تصل إلى المراد؟!!.

فالسالك قد يجتهد قليلاً، وإذا لم يحدث فتح ييأس ويُغلق الباب!!

لكن الطريق إلى الله يحتاج إلى العزيمة التي لا تلين، ... ويحتاج إلى الهمة التي لا تكل، ... ويحتاج إلى القوة الباطنية التي لا تقف أمامها قوة ظاهرية ... حتى يتحقق أمل الإنسان في الوصول إلى الحضرة المحمدية، .... والوصول إلى القرب من الذات العلية من الله تبارك وتعالى.

هديه في دروسه ووقته

ربَّى الشيخ عبد الرحيم القنائي ﷺ رجالاً فحولاً، وكان هديه الذي يمشي عليه هو نفس الهدي الذي نمشي عليه في زياراتنا والحمد لله، فكان يستفتح دروسه دائماً بآية من آيات كتاب الله، ثم يبدأ في تفسيرها بما يفتح به عليه الله ﷻ، وللأسف لم يصل إلينا من هذه الدروس إلا خمس دروس فقط كان قد سجلها تلاميذه في شهر رمضان، والباقي مفقود، وإن كان موجوداً ومشهوداً لمن حظي بالشهود من المعبود ﷻ!.

وكان في ابتداء كل درس يُردد قول الله:

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ (١٠٥التوبة).

وكان ﷺ وأرضاه يجعل وقته إما للتجارة، كما كان في الحجاز، وإما لتربية المريدين والدروس، وإما للاعتكاف على حضرة الله تبارك وتعالى.

وظل على هذا الحال حتى أتى عليه فترة مرض فيها حوالي اثنى عشر يوماً، ولكنه لم يترك الصلاة في بيت الله في هذه المدة.

وكان آخر يوم من حياته يوم جمعة، فصلَّى صلاة الفجر، ثم دخل خلوته وأخذ يذكر الله ﷻ، ونادى على تلميذه النجيب أبو الحسن الصباغ ﷺ، وأخرج له كفنه الذي كان قد اشتراه بنفسه، وأعطاه له، وقال له: هذا كفني، وأخرج له عمامة، وقال: هذه عمامتي التي تلفها عليَّ.

ثم قال له تلاميذه: أوصنا، فقال: ألم تكن حياتي كلها بينكم وصية؟!!.

وظل يقول: الله الله الله حتى خرجت روحه، وقام تلاميذه من بعده برسالته المباركة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

ما نشهده في هذه السيرة الجهاد الذي لا يعتريه كلل، والكفاح الذي لا يُثنيه زلل، والعزيمة المُضية حتى الوصول إلى بلوغ الأُمنية، ونذره حياته كلها لله، لا يرجو فيها ظهوراً ولا شُهرةً ولا رياءً ولا سُمعة ولا منصباً ولا جاهاً، لا يرجو من ورائها إلا وجه الله:

﴿ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ (٢٣الأحزاب)

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

السيد أحمد البدوي

رضي الله عنه[١٠٣]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على جميل آلائه، والصلاة والسلام على خاتم رسله وأنبيائه، باب السعادة لأوليائه، وسرُّ الشفاعة العُظمى يوم لقائه؛ سيدنا محمد وآله وصحبه والناهجين على هديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم في الفضل الإلهي العظيم، والنظر إلى جمال الله في يوم التكريم .. آمين آمين يا رب العالمين.

سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه، هذا الرجل العظيم الذي نال كل التكريم والتبجيل والتعظيم من حضرة النبي ﷺ الرءوف الرحيم، ومن مولانا ﷻ المعطي الكريم.

العبرة في قصص الصالحين

وحياة الصالحين كقصص الأنبياء والمرسلين في كتاب رب العالمين، يجمعها قول الله تعالى في قرآنه:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١١١يوسف)

والصالحون أُسوة لنا أجمعين، لأن الأنبياء والمرسلين لهم خصوصيات عند ربهم، ولهم اصطفاء من قبل القبل، ولهم عناية ربانية، ولهم عصمة حتى من هفوات النفس وخواطرها الردية، ووساوس إبليس وشياطينه لعنة الله عليهم أجمعين.

فلا يستطيع الإنسان أن يسوق نفسه إلى الله إذا خصَّ بالتأسي رُسل الله وأنبياء الله، لأن النفس تدخل له بسيل طويل من الأعذار، فتقول له: ما شأنك وشأن الأنبياء؟ وما شأنك والمرسلين؟ هؤلاء مجتبين ومصطفين ومعصومين، والقرآن يؤيدهم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران)

اصطفاهم من قبل القبل.

---

١٠٣ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ٨ من صفر ١٤٤٠هـ ٢٠١٨/١٠/١٧م

ومعهم العصمة الإلهية، فلا تخطر الذنوب ولا المعاصي ولا الغفلة على قلوبهم قط، لأن الله رباهم على عينه.

لكن الذي يسوق النفوس إلى حضرة المليك القدوس سوقاً حثيثاً إذا استحضرت رجالاً أمثالنا أقبلوا على الله، وأقبل عليهم الله، وأحبوا بالكلية سيدنا ومولانا رسول الله، فوالاهم ﷺ بما يُزيل عنهم الحجب بالكلية، ويجعلهم يتمتعون بأعين القلوب بالنظر إلى الغيوب، والنظر إلى ما لا نستطيع وصفه من جمال حضرة علام الغيوب ﷻ.

فهذا الذي يقيم الحجة على النفس، لماذا؟ لأنهم مثلنا، ولكن عندهم العزيمة، وقوة الشكيمة، وصلابة الإرادة، وصدق النية، وصفاء الطوية، والإخلاص لله ﷻ بالكلية، كل ما في الأمر أن يدخل الإنسان في هذه الأوصاف الربانية حتى ينال ما نالوا:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

ولذلك كان الإمام الجنيد ﷺ سيد الطائفة يقول:

((حكايات الصالحين جُندٌ من جند الله، تسوق النفوس سوقاً حثيثاً إلى حضرة المليك القدوس)).

أنواع الكرامات

ولذلك نحن نركز دائماً في سير الصالحين ليس على الكرامات، لأن الكرامات أنواع، فقد تكون الكرامة تأييد من الله، وهذا لأولياء الله الذين يبلغون رسالات الله.

وقد تكون الكرامة استدراجاً لإنسان زلَّ وضلَّ، فأغواه الله وزاد في ضلاله بما يُجريه على يديه، وهو يظن أنه على صواب:

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ (٧٥مريم)

إذا كان لا يريده يُمده في الضلال.

وقد تكون الكرامة فتنة، إذا ظهرت على يد من لا يؤمن بالله ﷻ، كما تظهر على يد الذين يجاهدون أنفسهم من الهنود في رياضة اليوجا، أو من الرُهبان الذين يفرون إلى الأديرة والجبال، وقد يصل إلى أمرٍ يُسخر الله له النفس، فيُظهر ما يُشبه الكرامة، فيكون فتنةً لمن يراه.

ولذلك لا نُركز في ذكر الصالحين على ما أجراه الله على أيديهم من كرامات، إلا إذا كانت في باب الهداية، أو في باب الدلالة على الله ﷻ.

ما نحتاجه من حياة الصالحين

أما الذي نُركِّز عليه فهو أمرين ونحن في أمس الحاجة إليهما:

الأمر الأول: كيف جاهد هذا الولي نفسه حتى فتح الله عليه ووصل إلى الفتح الأعظم؟.

الأمر الثاني: كيف كان يُربي أحبابه؟ وما المنهج الذي سلكه في تربيتهم ليكونوا من أهل الفتح؟.

فهذا الذي نحتاجه من الولي، وهذا المنهج الذي سلكناه فيما كتبناه عن الصالحين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم، وأظن أن هذا هو المنهج العلمي الرشيد والسديد.

قرأت كتاباً عن سيدي أحمد الرفاعي، وكان قد كتبه أحد القُدامى، فكدتُ آتي بنار وأُوقدها فيه!!، للخرافات التي لا يقبلها حتى السُذَّج، والتي يعتبرها كاتبه كرامات لهذا الرجل الصالح.

وما أغنى هذا الرجل الصالح عن مثل هذه الأشياء التي لا تُعضدها شريعة ولا يقبلها عقل، ولا ثابتة في أي نقل!!، لكن الناس تُضخم مثل هذه الأشياء، ويظنون أن هذا من الحب، وهذا من الغباء وليس من الحب، لأن المحب لا يُظهر من جمال حبيبه وأوصافه إلا ما تتقبله نفوس السامعين وعقول الحاضرين، قال ﷺ:

{ أُمِرْتُ أَنْ أُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِم }[١٠٤]

١٠٤ رواه الديلمي من طريق أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما

أسلوب النبي الحكيم في دعوته

سيدنا رسول الله ﷺ ضرب لنا المثل العظيم في ذلك، متى كانت رحلة الإسراء والعراج؟ في مكة قبل الهجرة بعام، ولكنه ﷺ لم يُخبر أحد ممن حوله من المسلمين وغير المسلمين إلا بالإسراء، ولم يذكر المعراج، لأنهم إذا كانوا لم يصدقوا بالإسراء، فهل سيصدقوا بالمعراج؟!!.

فلم يذكر المعراج إلا في المدينة لخاصة أصحابه، ولم يذكر مشاهد المعراج كلها جملة واحدة في مقام، بل الروايات التي تجمع رسالة الإسراء والمعراج حوالي أربعة وستون رواية، وكل رواية تحكي عن جانب من هذه الرحلة، فكلما جلس في مقام يتحدث بما يليق بهذا المقام، وما تتقبله نفوس الجالسين، ولا يحصل عندهم أي أمرٍ فيه منافاة لقول رب العالمين:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء)

فيُعلِّمنا حضرة النبي ﷺ أن الإنسان لا يُبيح إلا لمن يتأكد أن عنده استعدادٌ للاستجابة وليس السماع، فقد يكون عنده استعداد للسماع ولكنه يُحضِّر مع السماع آلة النقد، فيسمع لينقد، ومثل هذا نحن في غنىً عنه وعن نقده، فلا نقول له كثير ولا قليل.

لكن أنا أتكلم مع أصحاب القلوب السليمة، والعقول المستقيمة، والأحوال الكريمة الذين يريدون أن يمشوا على هذا المنهاج.

نشأة السيد أحمد البدوي

سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه من ذرية الإمام الحُسين ﷺ، من آل البيت الطيبين الطاهرين.

وآل بيت النبي بعد فتنة الإمام الحُسين، تعقبهم بني أُمية واضطهدوهم، فاضطروا إلى السفر إلى جهات بعيدة وهاجروا إليها ليأمنوا على أنفسهم فيها.

فهاجر كثيرٌ منهم إلى بلاد المغرب، ومن ضمنهم أجداد السيد أحمد البدوي، وهو اسمه أحمد، وكلمة السيد تُطلق على آل البيت، لأن سيدنا رسول الله قال عن سيدنا الحسن وسيدنا الحُسين:

{ الحَسَنُ و الحُسَيْنُ سَيِّدا شَبَابِ أهْلِ الجَنَّةِ }[١٠٥]

وقال عن سيدنا الحسن:

{ إنَّ ابْني هذا سيِّدٌ، وسَيُصلِحُ اللهُ بِهِ بَينَ فِئَتَينِ عَظِيمَتَينِ مِنَ المُسلِمينَ }[١٠٦]

فعندما نذكر واحداً من آل البيت وخاصة الصالحين منهم نقول: السيد فلان، فالسيد لقب لآل البيت، وخاصة الصالحين منهم.

هاجر أجداد سيدي أحمد البدوي إلى بلاد المغرب، ... وعندما بلغ من السن حوالي سبع سنين رأى أبوه في المنام رؤيا تأمره أن يأخذ أولاده وأُسرته ويتوجه بهم إلى مكة، فأخذ زوجته وأولاده كلهم بما فيهم أحمد وتوجه إلى مكة، فتربَّى سيدي أحمد البدوي ﷺ في مكة.

تربيته

ما المنهج الذي سلكه في تربيته؟ لو راجعنا هذا المنهج وراجعنا حياة الصالحين نجد أن هذا المنهج طبق الأصل مع الكل:

١- حفظ القرآن الكريم.

٢- دراسة الفقه وأحكام الشريعة.

٣- الاجتماع على شيخ يُوصِّله إلى الله.

٤- الزهد في الدنيا.

٥- جهاد النفس حتى يأتي الفتح.

كلهم على هذه الشاكلة، فهذا منهج الصالحين، وتستطيع أن تطبقه عليهم أجمعين، ودووين الصالحين وسير الصالحين موجودة.

فبدأ أولاً فحفظ القرآن الكريم، ولم يكتف بالحفظ والتجويد، بل حفظه بالقراءات السبع في مكة.

---

١٠٥ جامع الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

١٠٦ صحيح البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه

ثم درس الفقه على مذهب الإمام الشافعي ﷺ، وبرع فيه حتى ألَّف فيه كتاباً اسمه (الجوهرة) يعني أنه أصبح عالماً في الفقه.

وبحث عن الشيخ فجمعه الله على رجل من الصالحين من أتباع سيدي أحمد الرفاعي المبرزين واسمه الشيخ بِرّي، فأخذ عليه العهد ولقنه ولازمه ليحدث له الفتح.

وزهد في الدنيا، وهذا أساس من أُسس الصالحين، وأراد أن يفتح الله عليه، ولأنه كان في مكة، فاختار الموضع الذي كان يختلي فيه الحبيب المصطفى ﷺ موضعاً لخلوته، وهو غار حراء، فاختلى في غار حراء.

ومريد الفتح لا بد له من أسباب ووسائل خمسة، إذا مشى عليها فتح عليه الفتاح، فيلزمه الإقلال من الكلام، والإقلال من الطعام، والإقلال من المنام، والإقلال من مخالطة الأنام، وبعد ذلك الخامسة وهي ذكر الله على الدوام.

لكن لو أن إنساناً ظلَّ طوال النهار يتكلم مع هذا، ويُثرثر مع هذا، فهل يأتيه الفتح؟!! هل سيأتيه في القيل والقال؟! أو في الغيبة والنميمة؟! أو في الثرثرة؟!

وقد قال ﷺ:

{ وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ }[١٠٧]

زينة السالكين الصمت

والثرثارون الذين لا يقفون عن الكلام، ولذلك زينة السالك في طريق الله تعالى الصمت، فإذا رأيت السالك قد ترك هذه الزينة فاعلم أن قلبه خُواء، ليس فيه شيء من العطاء الإلهي أبداً، لأن لو دخل فيه العطاء فوراً اللسان سيتوقف عن الكلام مع الأنام، لأنه يريد مزيد من العطاء من الله.

واسمع إلى الله وهو يقول عن موسى كليم الله ونبي الله:

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾ من كثرة العطاءات التي نزلت فيه:

﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾ (١٣الشعراء)

---

١٠٧ جامع الترمذي ومسند أحمد عن جابر رضي الله عنه

يريد أن يستزيد من هذه العطاءات، فإذا تكلم مع الخلق فلن يكون له عطاء دائم ومستمر من الحق ﷻ.

فاتخذ سيدي أحمد البدوي هذا المنهاج في خلوته في غار حراء:

وقد ذهب إلى غار حراء ليبتعد عن الناس، وهذا هو البعد عن الأنام، وبالتالي بُعده عن الأنام يقتضي أن يُقلل من الطعام، لأنه لا يوجد طعام متوفر له على الدوام، وقلة الطعام بالطبع تجلب قلة المنام، فغفوة تكفيه في اليوم والليلة، وكل ذلك يجعله ينشغل بذكر الله ﷻ على الدوام.

عبادته

ما الأذكار التي كان يذكر بها مولاه؟ كان ﷺ بعد منتصف الليل يمكث يتلو القرآن بتدبر حتى مطلع الفجر، لأن تلاوة القرآن بتدبر هي العبادة العُظمى للصالحين والعارفين، قال فيها ﷺ:

{ أَفْضَلُ عُبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ }[١٠٨]

فلماذا يُعطينا الصالحون أوراداً أُخرى كالاستغفار والصلاة على النبي وغير ذلك؟ هذا حتى تطهر النفس، ويصفو القلب، لأن لذة القرآن، وشهود المعاني الغيبية والأسرار الربانية في القرآن، يحتاج إلى صفاء القلب والسريرة، فإذا اشتغل الإنسان بالذكر والاستغفار ليجلي بهم القلب، قال ﷺ:

{ إِنَّ لِلْقُلُوبِ صَدَأً كَصَدَأِ الْحَدِيدِ وَجَلاؤُهَا الاسْتِغْفَارُ }[١٠٩]

وفي رواية أخرى:

{ تِلَاوَة القُرْآن، وَذِكْرُ الله تَعَالَى }[١١٠]

وعندما ينجلي القلب فلن يجد لذَّة أعظم من تلاوة كتاب رب العزة ﷻ:

﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨الإسراء)

وليس منظوراً!

---

١٠٨ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن النعمان بن بشير رضي الله عنه
١٠٩ معجم الطبراني والبيهقي عن أنس رضي الله عنه
١١٠ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

فيشهد معاني هذه الآيات القرآنية بعين قلبه، ويشهد ما لا يستطيع أحدٌ وصفه، ولا الحديث عنه من غيوب معاني آيات الله ﷻ، وهذه العبادة العُظمى وهي تلاوة القرآن.

وباقي أوقاته كان يقضيها في ذكر الله، حتى قال سيدي عبد المتعال خادمه: صحبتُ سيدي أحمد البدوي أربعين عاماً فما رأيته غفل عن ذكر الله طرفة عين!!.

لم يغفل عن ذكر الله في هذه الأربعين سنة، لا في النوم، ولا في اليقظة، ولا في الحركة، ولا في السكون، ولا في المشي، ولا في القعود، ما هذا؟! يتأسَّى برسول الله، فعن هند بن أبي هالة ﷺ كان يقول في رسول الله ﷺ:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَجْلِسُ وَلا يَقُومُ إِلا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ }[١١١]

لا يقوم إلا على ذكر، ولا يخرج إلا على ذكر، ولا يدخل إلا على ذكر، ولا يجلس إلا على ذكر، ولا ينام إلا على ذكر، وإذا نام كان كما قال:

{ تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي }[١١٢]

يشتغل بذكر الله على الدوام !!!

لكنه ارتفع إلى المقام الأعلى في الذكر !!

فإن الذكر باللسان حسنات، والحسنة بعشر أمثالها، ويضاعف الله لمن يشاء، لكن ذكر القلب للقربات، فكان يذكر الله بقلبه.

والذكر بالقلب لا يراه أحد، فالذاكر الذي يذكر الله بقلبه لو أنك جالسٌ معه فلن تلاحظ شيئاً، لأنه ذكر آخر يقول فيه الإمام أبو العزائم: (القلب يذكر والجميل أمامي) ويقول: (ذكرٌ شهودٌ مشهدٌ جمعيةٌ) فهذا ذكرٌ آخر.

ولذلك كان ﷺ وأرضاه يقول لمريديه عندما يراهم يشتغلون بذكر اللسان ويستديمون على ذلك، ولا يريدون أن ينتقلوا أو يرتقوا: (ذكر اللسان شقشقة) فلن يصلوا إلى شيء، لكن لا بد أن يرتقوا إلى ذكر القلب:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (٢٨الرعد).

---

١١١ الطبراني والبيهقي عن هند بن أبي هالة رضي الله عنه

١١٢ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

التمسك بالشريعة المطهرة

دام على هذا الحال في غار حراء سبع سنوات، ومع هذا ضرب المثل الأعظم في التمسك بشرع الله ﷻ، فغار حراء بينه وبين مكة حوالي خمسة كيلومترات، ولم يكن هناك مواصلات غير الإبل والخيول، لكنه ﷺ كان لا يُصلي فريضة من فرائض الله من الصلوات الخمس إلا في بيت الله الحرام.

لنعرف مع أنه إمام المجذوبين إلا أنه كان يحافظ على الشريعة، فعلامة المجذوب أن يحافظ على المكتوب، فمهما كانت شدة جذبه، إلا أن الله يوقظه في الوقت الذي يُحب أن يناجي خلقه فيه، ليناجي الله مع خلق الله.

فكان يُصلي كل فريضة في البيت الحرام، ولو ذهب أحدكم هناك فإن طلوع الجبل هناك يستغرق ساعتين، والنزول كذلك، فكيف يذهب لمكة؟! وكيف يرجع من مكة؟! لكن هؤلاء الرجال اعتمدوا في حساباتهم على قول الله:

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ (١٥٩آل عمران).

إذا عزم الإنسان على أي أمر بصدق ويقين، فإن الله ﷻ يُسخِّر له ما في السماوات وما في الأرض ليُحقق مراده لأنه لا يريد إلا وجه الله ﷻ.

فيطوي له الأرض، فيقطع الأرض في خطوات، فما يقطعه الناس في ساعات، هو يقطعه في لحظات، ولا تقُل كيف؟! لأن هؤلاء لهم ما يشاءون عند ربهم، ما دام يريد رضا الله ﷻ.

فلا يريد أن تُطوى له الأرض لكي يقول الناس: الشيخ أحمد البدوي له كرامة كذا، فهو يريد ذلك ليُعلن أمام الخلق أن هذا إمام المجذوبين أشد الناس تمسكاً بشريعة رب العالمين.

إذاً أين عُذرنا نحن أجمعين؟!!

فالواحد منا قد يكون بجوار المسجد في الطابق الثالث أو في الطابق الرابع ويتكاسل أن يُصلي في المسجد مع الجماعة، ويُصلي في البيت!.

فانظروا أين أنتم، وأين أهل الفتح؟!!، لا بد أن يكون عند الإنسان العزيمة القوية ليبلغ ما بلغوا، وينال ما نالوا.

وواصل ﷺ وأرضاه خلوته في غار حراء، وكانت عبادته بعد تلاوة كتاب الله، وذكر الله، عبادة سيدنا رسول الله وعبادة الأنبياء والمرسلين وهي التفكر، فكان يقف أمام الغار ويتفكر في مخلوقات الله تعالى، ولكن حالة التفكر هذه لم تكن برؤيا العين، ولكن كانت من باب:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام).

ولذلك يُذكر عنه أنه كان أحياناً يقف أمام الغار أربعين يوماً كاملة، لا يجلس، ولا ينام، ولا يأكل، ولا يشرب، ومأخوذ بما يشاهده من المشاهد العلية التي ورث فيها مقام الخُلة الإبراهيمية:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام).

سياحة العارفين

إلى أن فتح عليه الفتاح ﷻ، وبعد أن فتح الله ﷻ عليه ليُكمل تربيته أمره سيدنا رسول الله ﷺ بالسياحة الجسمانية والملكوتية إلى بلاد العراق، فراح العراق، وزار الصالحين بما فيهم سيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي أحمد الرفاعي، وغيرهم.

ومن الوقائع التي تبين قوة شكيمته، وصدق عزيمته، أنه يقول: عندما توجهتُ إلى العراق أتاني سيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي أحمد الرفاعي وقالا: هاك مفاتيح بلاد العراق – يعني يسلموه مفاتيح العراق – قال: فقلتُ: أنا لا آخذ المفتاح إلا من يد الفتاح!!، انظر إلى قوة العزيمة وقوة الإرادة لهؤلاء الرجال أهل الكمال.

وبعد أن اكتمل في طريق الله، وتوالت عليه الفتوحات الإلهية، وأعظمها وأكرمها المداومة على رؤية الحضرة النورانية المحمدية، وتلقي الأحوال عنها كفاحاً، فجاءه سيدنا رسول الله ﷺ مناماً وقال:

يا أحمد اذهب إلى طنطدا – طنطا في مصر – فإن لك بها حالاً وسُتربي بها رجالاً، وأخذ يعد له: عبد العال، وعبد الرحمن، وعبد المجيد، وذكر له أسماء الرجال الذين سيُربيهم في مجيئه إلى مصر.

إذا أقامك أعانك

والله ﷻ إذا أقام الإنسان في مقام أعانه على بلوغ المراد.

ولذلك قالوا: (إذا أقامك أعانك).

أُمر بالتوجُّه إلى مصر، وكان أيام الحج:

فبينما هو في الحرم إذا برجل يتعرف عليه، وبعد أن تعرف عليه قال له: تعالَ زرنا في بلدنا، فسأله: ما بلدك؟

قال: أنا شيخ بلد اسمها طنطدا في مصر، فتعال اصحبني وأُضيِّفك عندي!!.

أرسل إليه الله من يأخذ بيده، ويجهز له المكان، فجاء في صُحبته إلى طنطا، ويُعرِّفنا أدب الصالحين، فدخل البيت، ومن لحظة أن جاء هنا – لإقامة الله له – أرسل الله إليه أرواحاً تقية نقية تتلقَّى عنه طريق القُرب لله ﷻ.

فقال لصاحب البيت:

أنت تجعل لي سُلَّماً من خارج البيت، وأنا سأبقى على السطح، لأن ضيوفي كثير، فيصعدون لي من الخارج، وأنت وزوجتك وأولادك لا يطلع على عوراتكم أحد، وتكونوا في أمان!، وهذا من الأدب العالي للصالحين رضي الله عنهم وأرضاهم.

وأكرمه الله ﷻ في طنطا، وفتح على يديه لكثير من الصالحين في زمانه، حتى أنه جاءه أُناسٌ من كافة بقاع الأرض، ولقَّنهم الطريق، وظل معهم حتى صاروا من أهل الفتح، ومن الأولياء الذين يُربون غيرهم.

نهجه في التربية هو النهج الذي مشى عليه، وهذا ما نستفيده ونأخذه من قصة هذا الرجل الصالح ﷺ وأرضاه.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا على الدوام حُسن التأسي بالحبيب المصطفى، وحُسن الاتباع لحضرته، وحُسن التأسي بالصالحين والعارفين، ومتابعتهم في كل وقت وحين، حتى يفتح علينا أجمعين فتحاً مبيناً، ويهدينا صراطاً مستقيماً، وينصرنا على أنفسنا نصراً عزيزاً.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

السيد أبو العباس المرسي

رضي الله عنه[١١٣]

زيارة الصالحين التي علَّمها لنا أكابر الصالحين؛ أن الإنسان يستلهم روح العبد الصالح التي توجَّه إليه بالزيارة لكي يأخذ منه قبساً يقول فيه الله:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١١١يوسف)

العبرة من حياة الصالحين

ما العبرة التي يأخذها منه؟ وما الدروس التي يستفيدها منه؟ وخاصة السالكين في طريق الله، والراغبين في عظيم فضل الله، والطامعين في نوال إكرام حبيب الله ومصطفاه ﷺ، لأن هؤلاء القوم يقول قائلهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشـــبُّه بالرجـــال فـــلاح

ولذلك الإستلهامات لا تكون قصصاً فقط، ولكنها مليئة بالدروس والحكم والعظات والإشارات التي نحن جميعاً في أمَّس الحاجة إليها إذا أردنا أن نكون من أهل القرب إلى الله ﷻ.

ماذا تعني كلمة الصالح؟ الذي جاهد نفسه، وأصلح قلبه حتى صار صالحاً لتلقي العطاءات للفتوحات الإلهية، لأن الله ﷻ يتنزَّل على قلوب الصالحين بما يُحبه ويرضاه منهم في كل وقت وحين، وعطاءات الله لا تنزل إلا على القلوب السليمة التي يقول فيها الله:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء).

ولذلك جهاد هؤلاء القوم يبدأ بجهاد النفس، ثم تصفية القلب، ثم التوجُّه بإخلاص وصدق لله، لا طلباً لأمور دنيوية، ولا حتى لعطاءات أُخروية، وإنما كما قال الله في أهل القرب للحبيب ﷺ:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف)

---

١١٣ الإسكندرية – مسجد سيدي علي الموازيني ٧ من رجب ١٤٤٠ هـ ٢٠١٩/٣/١٤م

لا يريدون إلا وجه الله تبارك وتعالى.

هؤلاء الأقوام لهم حالٌ جمَّلهم به الله، لا يحظى به إلا من يُسلِّم لهم أحوالهم، لأنها فضلٌ من الله، وتوفيقٌ من الله جل في عُلاه.

نسبه

سيدي أبو العباس المرسي هو اسمه أحمد، والعباس كُنية باسم ابنه، كسيدي أبو الحسن الشاذلي فاسمه عليّ، والحسن اسم ابنه، كالمعتاد أننا ننادي أي أب باسم إبنه الأكبر، وهذا على سبيل التوقير والإحترام، وهذا أسلوب تبناه الحبيب ﷺ وورثه لنا على الدوام.

وأبو العباس ينتسب إلى سيدنا سعد بن عُبادة الخزرجي الأنصاري، يعني هو من الأنصار من قبيلة الخزرج، وهذه نضع تحتها خطوط، لأن بعض الناس نتيجة العصبية غير المرضية يدَّعي أنه لن ينال الولاية ولا القطبانية ولا الوراثة إلا من كان من ذرية الحسن والحسين، وهذا تحجير لفضل الله ﷻ.

وإلا من الذي نال رتبة الصديقية؟ سيدنا أبو بكر، ومن الذي نال رتبة الفراسة النورانية؟ سيدنا عمر بن الخطاب، وكان ﷺ يقول:

{ إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ }[١١٤]

وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا كلهم أقطاب وأنجاب وأوتاد، وينتسبون روحانياً إلى حضرة الحبيب المصطفى ﷺ، لأن المهم النسب الروحاني.

سيدي أبو العباس المرسي ﷺ سُمي المرسي لأنه وُلد في مدينة مرسية في أسبانيا الآن، وكانت تُسمى بلاد الأندلس، وكانت كلها مسلمين، ونسأل الله أن يردها إلى الإسلام كاملةً إن شاء الله، والحمد لله هناك صحوة إسلامية عظيمة الآن، وبدأوا يرجعون إلى الإسلام، وهذه عظمة دين الله ﷻ.

مع أنهم شنُّوا حرباً شرسة على الإسلام، فعندما نشطت في السبعينيات من القرن العشرين، الجماعات التي تدعو إلى الإسلام سألوهم: من أين عرفتم الإسلام؟

---

١١٤ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

واحد منهم على سبيل المثال قال: جدتي عندما أوشكت على الموت قالت لي: يا بني أنا مسلمة، وأقول: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، وأوصيك بهذا الدين، وإياك أن تنساه.

أكثر من سبعمائة سنة وهم يكتمون هذا الدين إلى أن أظهره رب العالمين في هذه الأيام بفضل الله، وبركة رسول الله ﷺ.

فوُلد في مَرسيّة، وأبوه كان رجلاً من كبار التجار، ولأنه من كبار التجار أرسله للكُتَّاب، فحفظ القرآن، وتفقَّه في دين الله تبارك وتعالى.

وكان للأب ولدان هما أحمد ومحمد، ولم يكن معه غيرهما، وعزم الأب على أن يذهب لحج بيت الله الحرام هو وزوجته وأولاده الإثنين، وركبوا السفينة، وفي وسط البحر مقابل تونس هاج الموج وغرقت السفينة، واستُشهد الأب، واستُشهدت الأُم، ولم ينجوا إلا الولدين أحمد ومحمود، فذهبا إلى تونس.

فمحمد اختار أن يمارس مهنة أبيه وهي التجارة، وأحمد كان شيخه الذي يُحفِّظه القرآن رجلاً من الصالحين من أهل البصيرة، وكان معظم مُحفظي القرآن على هذه الشاكلة، لماذا؟ للحديث الذي يقول:

{ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ }[١١٥]

فكان شيخه من أهل البصيرة، وكان معجباً به، فاختار سيدي أبو العباس أن يُحفِّظ القرآن كشيخه الذي تعلم على يديه في مكتب التحفيظ في بلده مرسية.

في صحبة أبو الحسن الشاذلي

ظهر في هذا الوقت في تونس سيدي أبو الحسن الشاذلي، وسيدي أبو الحسن ﷺ مكث في غار في جبل بجوار بلد اسمها شاذُلة بتونس سبع سنين، ولذلك سُمي الشاذلي، وظل طوال هذه المدة متفرغاً لعبادة الله، وطاعة الله ﷻ، حتى فتح الله عليه وسمع نداءاً من الله ﷻ يقول: يا علي انزل اهد الناس إلينا، قال: قلت: يا سيدي تتركني لخلقك هذا يُطعمني وهذا يحرمني؟ قال: أنفق ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً، إن شئت من الجيب، وإن شئت من الغيب.

يعني تريد أن نضع المال في جيبك وما تحتاجه تأخذه فلا مانع، وإن أردت أن

---

١١٥ صحيح البخاري والترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه

ينزل لك من فضل الله في وقته، فلا مانع، لأن الله إذا أقام رجلاً لدعوته أعانه وقواه بمعونته وتوفيقه ﷻ.

فيحكي سيدي أبو العباس ويقول: جاءني رجلٌ وقال لي: هل زرت الشيخ أبو الحسن الشاذلي؟ فقلت له: لا ، فقال لي: أفلا تأتي معي لنزوره؟ فقلت له: حتى أستخير الله:

{ مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ }[١١٦]

قال: فاستخرتُ الله تعالى فرأيتُ في هذه الليلة رجلاً جالساً يلبس برنوساً أخضر – والبرنوس كالعباءة، ولكن يلبسه أهل المغرب وتونس والجزائر – يقول: ووجدتُ رجلاً عن يمينه ورجلاً عن يساره، فسلَّمتُ عليه فقال لي: وصلت يا خليفة الزمان.

يقول: وفي الصباح قلت للرجل: هيا بنا، فذهبت ووجدتُ الشيخ بهيئته التي رأيتها في المنام، يلبس البُرنوس الأخضر، ورجل عن يمينه، ورجل عن شماله، فسلمتُ عليه، وعندما سلمتُ عليه قال: عثُرت على خليفة الزمان!.

فسألني عن اسمي، فحكيتُ له نسبي إلى سعد بن عبادة الأنصاري ﷺ وأرضاه، فقال: رُفع لي اسمك منذ عشر سنوات وأنا أنتظرك.

وتتلمذ على يد سيدي أبو الحسن الشاذلي، وتربي على يديه، إلى أن وصل إلى حال يقول فيه شيخه سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ: أبو العباس منذ أن وصل إلى الله لم يُحجب أبداً!.

لم يحجبه شيء عن الله طرفة عين ولا أقل، لماذا؟ لأنه مشغولٌ بالكلية بالله ﷻ، وليس له هدف أو غرض فاني أو داني، وإنما غرضه وهدفه كله في رضاء الله تبارك وتعالى.

وذات مرة أراد الدخول على الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ، والشيخ أبو الحسن كان له خادم اسمه الشيخ ماضي بن سلطان، وكان قد انضم إليه عندما كان قادماً من تونس إلى مصر، وكان هذا الخادم هو الذي يُدخل الناس على الشيخ، فمنعه من الدخول، وحدث شدٌّ بين الخادم وبين أبي العباس، فإذا بالشيخ أبو الحسن ينادي على ماضي ويقول له: يا ماضي لا تُعنِّف أبا العباس، فوالله لهو أعلم بأزقة السماء منك بأزقة الإسكندرية!!.

---

١١٦ معجم الطبراني ومسند الشهاب عن أنس رضي الله عنه

يعني يعرف طرق السماء أكثر من معرفتك بطرق الإسكندرية، لماذا؟ لصفائه ونقائه وإقباله بالكلية على الله تبارك وتعالى.

وكما يحدث في كل زمانٍ ومكان، فإن قاضي قضاة تونس وكان اسمه ابن البراء حسد الشيخ أبو الحسن الشاذلي عندما وجد الخلق يلتفون حوله، وقال: لماذا يلتَّف الناس حول هذا الرجل، وأنا قاضي القضاة ولا أحد يلتَّف من حولي؟!!، فوشى بوشاية إلى ملك تونس، وقال له: هذا الرجل علوي، يعني من العلويين، وأتى ليُمهِّد لهم ليأخذوا منك الملك وتكون الدولة تابعة للعلويين.

إلى الإسكندرية

والملوك دائماً يخافون على كراسيهُم، فحدث سوء فهم بينهم، فرحل الشيخ أبو الحسن ﷺ وأرضاه إلى مصر، لأن سيدنا رسول الله جاءه في المنام وقال له: يا علي إذهب إلى الإسكندرية فإنك ستربي هناك أربعين رجلاً: فلان وفلان وفلان ... وأعطاه كشفاً بأسماء الرجال الذين سيربيهم.

فمشى، ومعه أبو العباس، ومعه الشيخ ماضي، ومعه تلاميذه الأجواد، فقال لسيدنا رسول الله في المنام: يا سيدي الطريق طويل، والجو صيفٌ، والماء شحيح، فكيف أمشي؟ فقال ﷺ له: إذا أقمناك أعناك.

فمشى – كما تحكي الروايات – وفوقه سحابة تُظلهم طوال الطريق من تونس إلى الإسكندرية، وكلما نضب الماء الذي معهم أمطرت السحابة الماء، فيشربون ويملأون أسقيتهم، واستمروا في المسير حتى وصلوا إلى الإسكندرية.

خليفة الشيخ

وهنا لنا لحظة لنعلم ما كان عليه السلف الصالح في اختيار من ينوب عنهم بعد انتهاء مدتهم ووفاتهم ...

فالشيخ أبو الحسن كان عنده أولاد من الصُلب، منه ومن زوجته، ولكن الشيخ كان لا يُنيب عنه إلا من يختاره الله، ويُشير إليه رسول الله من خاصة أحبابه ومريديه، وهذا لا شأن له بالنسب.

وكذلك سيدي أبو العباس المرسي كان عنده أولادهلا !!

ولكن لمن أعطى الطريق بعده؟ لياقوت العرش، وهذا شيء من الغرائب، لأنه ذات يومٍ كان جالساً مع أصحابه فقال لهم: اصنعوا لنا اليوم ثريد ولحم، والثريد هو الفتّة، قالوا: ولِمْ؟ قال: الآن وُلد ياقوت العرش ببلاد الحبشة.

وكان في هذه الأيام يذهب التجار إلى هذه البلاد ويمسكون بالأطفال الصغار ويأتون بهم ويبيعونهم على هيئة عبيد، فكان من جملة من أتى به التجار (ياقوت)، وكان التاجر الذي أتى بياقوت من أحباب سيدي أبو العباس المرسي ﷺ وأرضاه.

وأثناء قدومهم هاج الموج في البحر، فقال الرجل: يا رب بحق سيدي أبي العباس المرسي نجنا، ولله عليَّ نذرٌ إن أنجانا الله لأهب هذا العبد لسيدي أبي العباس المرسي، وكان هذا العبد هو ياقوت.

فسكن الموج في الحال، وسارت السفينة، وبعد سيرهم إذا بياقوت يُصاب بمرض جلدي في رأسه، فقال التاجر: هل أُعطي للشيخ هذا العبد المريض؟!، واختار عبداً آخر أجلد منه وأقوى، وقال: هذا الذي أُعطيه للشيخ.

وكان من عادة سيدي أبو العباس المرسي ﷺ أنه كان يخرج تقريباً كل يوم هو وأصحابه من بعد صلاة العصر يمشون على شاطيء البحر يتريضون رياضة بدنية ورياضة روحية، فيتفكرون في آلاء الله، ويوجههم التوجيه الصحيح الذي ينبغي أن يسيروا عليه حتى يصلوا إلى الله.

فذات يومٍ قال لهم: هيا نذهب جهة الميناء، وعند الميناء كانت الباخرة قد وصلت، فنزل التاجر وسلَّم عليه وأخذ يشكره وقال له: ببركتك أنجانا الله، وجاء بالعبد الذي اختاره ليعطيه له، فقال له: لا، بل نريد عبدنا، فقال له: إنه مريض، فقال: وما شأنك؟!.

فأخذه ورباه وزوَّجه ابنته، وصار هو الوارث والخليفة عنه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وسمَّاه بياقوت العرشي لأن قلبه كان دائماً يطوف بعرش الرحمن!.

وذات يوم دخل ملك مصر وهو السلطان حسن على سيدي أبو العباس المرسى، فلم يقُم له، وسلَّم عليه جالساً، ثم دخل عليه ياقوت العرش فقام له، فالسلطان أخذته الغيرة، كيف يُسلِّم عليَّ وهو جالس ويقف لهذا الرجل؟! فقال الشيخ: يا ياقوت أنا صدري ضيق، وأُشعر بحرج وألم شديد، فبكى ياقوت، وكانت السماء صحو، فإذا بالسماء تتلبَّد بالغيوم، فقال: يا ياقوت الحمد لله فرَّج الله عني وشرح صدري !!

فتبسَّم ياقوت، فانقشعت السُحب من السماء!!

فقال سيدي أبو العباس للملك: أنتم ملوكٌ أرضية، وهؤلاء ملوكٌ سماوية.

هؤلاء ملوك في السماء العلوية، ... فإذا كنت تقول في نفسك إنه عبدٌ ... فإن الله يقول فيه:

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ﴾ (٥٩الزخرف)

عبد وأنعم عليه مولاه، فماذا تريد بعد ذلك؟!.

فهذه الوراثة التي رأيناها في الصالحين الصادقين، لا يُورث الخلافة لابنه من صُلبه، كما نرى المشاكل الموجودة في هذا الزمان، وربما ابنه لا يعلم حتى الكيفية الصحيحة للوضوء، ولا يعلم أحكام الصلاة، فهذا لا يجوز من الصادقين في طريق الله تبارك وتعالى، ولكنه يُنيب عنه أشبه الناس به في القرب من ربه، وفي الوصل بنبيه ﷺ.

أقام سيدي أبو العباس المرسى في الإسكندرية مع سيدي أبو الحسن الشاذلي، وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي يحجُّ كل عام.

وفي الحج كانوا يركبون في النيل من الإسكندرية إلى القاهرة، ومن القاهرة إلى قنا، وفي قنا ينزلون ويركبون الإبل إلى شاطئ البحر الأحمر، وهناك بلدة موجودة على شاطئ البحر مقابل جدة، فيركبون منها السفينة إلى جدة، وكان هذا طريق الحج لكل من يحُج من مصر، أو من بلاد المغرب.

والصالحون لهم بصائر يهبها لهم رب العالمين يقول فيها لحبيبه ومصطفاه:

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ (١٠٨يوسف)

ما الشرط الأول الذي تعرف أن هذا الرجل من ورثة رسول الله؟

أن يكون معه شيء من البصيرة، فإن لم يكن معه البصيرة فكيف سيُعرّف غيره؟! هو لا يرى فماذا سيُريه؟!.

فلما وصل الشيخ أبو الحسن الشاذلي في رحلته الأخيرة إلى بلدة أخميم في صعيد مصر، قال للخادم: أحضر فأساً ومقطفاً، فقال له: لماذا؟

فقال: في حُميثرة سوف ترى، فجهز فأساً ومقطفاً.

وكان الشيخ أبو الحسن قد سأل الله ﷻ أن يقبض روحه وهو ساجد، وفي مكان لم يُعص الله فيه قط، يعني لم تظهر فيه أي معصية من المعاصي، وهؤلاء قال فيهم الله:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ﴾ (٣٤الزمر)

كل ما يتمناه يُعطيه له الله على الفور.

وحُميثرة مكان في وسط الصحراء، ولم تكن بلداً، لكنهم كانوا ينزلون بجوارها لأنه كان فيها بئر ليتزودوا بالماء، وإن كان الماء ليس عذباً إلى حد ما ولكنه ماء.

وكان ذاهباً في العشر الأوائل من شهر ذي الحجة، ولذلك مولده يكون في العشر الأوائل من ذي الحجة، وإن كان بعض المدَّعين يرتكبون أموراً تسيئ إليه وإلى طريقه وإلى الدين، فهناك جبلٌ يصعدون إليه يوم عرفة ويقولون: نحن قد حججنا، وهل هذا يصح؟! لا، وهل هو فعل ذلك أو أمر بذلك؟ !!!

! لا، !!! لكن الجُهَّال هم من يفعلون ذلك.

وأعداء الصالحين يقولون: إن الصوفية يفعلون كذا وكذا وكذا، وهؤلاء لا شأن لهم بالصوفية، فهؤلاء جُهَّال لم يمشوا على المنوال الذي كان عليه ﷺ وصحبه البررة الكرام، ولا شأن لنا بهم.

ففي حُميثرة دعا سيدي أبو الحسن المريدين وأوصاهم، وقال لهم: إذا أنا متُّ فعليكم بأبي العباس المرسي، ثم قال لهم: إنه رجلٌ من رجالات الله، وهو بابٌ من أبواب الله ﷻ لمن أراد أن يوصِّله الله إلى رضاه.

وانفرد بأبي العباس بعد أن صرف المريدين وأوصاه بأمور، ثم قال للخادم اعطني شربة ماء من البئر، قال: ياسيدي عندي ماءٌ عذبٌ، قال: أريد شربةً من البئر، فجاءه بشربة من البئر فأخذها وتمضمض بها ثم أنزلها في الكوب وقال له: ألق بهذا الماء في البئر يكون عذباً إن شاء الله، وهذا ما حدث فعلاً، فوضع الماء في البئر فصار ماءه عذباً فراتاً!.

وصرف سيدي أبو العباس المرسي في الثُلث الأخير من الليل ..

وأخذ يُصلِّي، وهو في الصلاة سجد وأطال، قال ابنه:

فظننا أنه نام، فحركناه فإذا هو ميت، فمات وهو ساجد كما طلب، وتحققت نبوءته، فاحتاجوا هنا إلى الفأس والمقطف، وحفروا له ودفنوه.

وقال تلاميذه:

نرجع هذا العام عن الحج، فقال سيدي أبو العباس:

أمرني الشيخ أن أُكمل بكم الحج هذا العام، وأخبرني أن الله سيؤيدنا بآياتٍ في هذا الحج.

وتولى سيدي أبو العباس المرسي خلافة الطريقة الشاذلية.

ومكث في الإسكندرية ثلاثة وأربعين سنة متفرغاً بالكلية للدعوة إلى الله تبارك وتعالى، ليس له شأنٌ إلا بالدعوة إلى الله ...

وإرشاد الخلق إلى المنهج الصحيح الموصِّل إلى حضرة الله ﷻ.

وكان منهجه يقوم على العلم والعمل.

لا بد من العلم الشرعي أولاً.

ثم العمل بما علم، قال ﷺ:

{ مَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ أَوْرَثَهُ الله عِلْمُ ما لَمْ يَعْلَمْ }[١١٧]

وجمع الله عليه الرجال الصالحين.

وفتح الله عليه من الفتوحات الإلهية ما لا تحويه أوراق ولا كلمات الكاتبين.

فكان مثلاً درسه الذي اشتهر به، كان يطلب من أحد تلاميذه أن يقرأ له في بابٍ من أبواب كتاب الرسالة للإمام القُشيري، وكتاب الرسالة كل باب يبدأ بآية قرآنية وحديث، فكان يقرأ الآية ويقرأ الحديث ثم يقول له:

كفى، وينطلق في شرح الحديث بفيوضات إلهية لا عدَّ لها ولا حدَّ لها.

الكلام في شأن سيدي أبي العباس كثيرٌ وكثير !!!

ولكن أكتفي بهذا النزر اليسير.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١١٧ حلية الأولياء لأبي نعيم وأحمد عن أنس رضي الله عنه

السيد إبراهيم الدسوقي

رضي الله عنه[١١٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على هداه، والصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه، ورضي الله تبارك وتعالى عن آله وأصحابه ووراثه والقائمين بدعوته إلى يوم الدين .. آمين.

نحن عندما نتحدث عن أولياء الله نركز على المنهج الذي مشوا عليه وينفذوه، ولا نركز على الكرامات والآيات إلا بقدر معلوم فيما يفيد.

وسيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ وأرضاه نموذج عملي في تربية الرجال.

أبوه كان سيدي عبد العزيز أبو المجد من ذرية مولانا الإمام الحسين ﷺ، وأمه السيدة فاطمة بنت سيدي أبي الفتح الواسطي ﷺ، وسيدي أبو الفتح الواسطي كان تلميذ سيدي أحمد الرفاعي، وهو الذي نشر الطريقة الرفاعية في مصر.

وقد حبا الله سيدي إبراهيم الدسوقي كعادته مع أولياءه والصالحين من عباده بمواهب ربانية وأحوال إلهية قبل نزوله إلى الحياة الكونية:

فقد كان أبوه يزور رجلاً من الصالحين ويتتلمذ على يديه في مدينة قريبة من دسوق تسمى سنهور المدينة، وهذا الرجل هو سيدي محمد بن هارون، وكان تلميذاً لسيدي شعيب بمصر.

ولاحظ المريدون في فترة أن سيدي محمد بن هارون كلما دخل عليه مريده عبد العزيز أبو المجد قام له واقفاً، مع أنه لا يقوم لغيره، فلما تكرر ذلك سألوه؟

لِمَ تقوم لأبي المجد؟! فقال: لا أقوم له وإنما أقوم لنور ولي في ظهره يملأ سيطه المشارق والمغارب!! فراسة نورانية، كما قال ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[١١٩]

---

١١٨ المعادي ١٩ من صفر ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧/٣/٨

١١٩ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

الولاية عناية ورعاية، لا بد لها من عناية سابقة، ثم رعاية لاحقة، وبعد فترة وجدوه لا يقوم لسيدي عبد العزيز أبو المجد، فسألوه: لماذا لم تعد تقم لعبد العزيز أبو المجد؟! قال: لأن نور الولي الذي كان في ظهره انتقل إلى أمه، فسألوا أبو المجد: أزوجتك حامل؟ قال: نعم!.

مولده ونشأته

ولد سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ يوم التاسع والعشرون من شهر شعبان سنة ستمائة وثلاثة وخمسون من الهجرة، وكان الناس في ذاك الوقت يصومون بإشارات الصالحين، فإذا قال الصالحون شهر شعبان كامل فيكملوا، ولم يكن وقتها إذاعات ولا تلفزيون ولا مفتي ولا غير ذلك.

فذهب الناس إلى سيدي محمد بن هارون يوم الثلاثين من شعبان وسألوه: هل هذا اليوم هو المتمم من شهر شعبان أم أول يوم من رمضان؟ فقال: انظروا إلى ابن أبي المجد، فإن كان قد رضع فهذا آخر يوم من شعبان، وإن كان لم يرضع فهذا أول يوم من رمضان، فذهبوا إليه، وكانت أمه مغتمة، وقالت: إنه منذ الفجر لم يلتقم ثديي! فأخبروه، فقال لهم: بشروها أنه ساعة الغروب سيلتقم الثدي، وكان هذا أول يوم من شهر رمضان.

هذه كانت أول الآيات للدليل على العنايات، وهذه رواية صادقة، وما يزيده ويتزيده بعد ذلك المحبون والمريدون ويتغالون في كرامات شيخهم، وما نسبوه إليه أنه قال في كتابه الجوهرة أنه وهو ابن سنتين فعل كذا، وهو ابن ثلاثة سنين فعل كذا، فهذا كلام لا يصح أن نقوله على أولياء الله ﷻ.

لكن الصدق أنه بعد أن شبَّ أرسله والده للكُتَّاب فحفظ القرآن الكريم، ثم تفقه على مذهب الإمام الشافعي، وصار فقيهاً، حتى أنه بعد ذلك ألَّف كتاباً في شرح كتاب الأقناع لأبي شجاع، وهو في فقه الإمام الشافعي، وهذا دليل على رسوخه وتمكنه في الفقه.

وبعد بلوغه ونضجه وحفظ كتاب الله وتفقهه في الدين حبَّبه الله ﷻ في العبادات وهذا منهج الصالحين ..

وجعل له خلوة، وانقطع إلى ذكر الله ﷻ، وخلوته هي موضع قبره الآن.

ومكث في هذه الخلوة اثنتى عشرة سنة!!

وكان أبوه هو الموجه له، والمرشد له في تربيته، وأبوه تربى على منهج سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ، كما كان يزور الشيخ محمد بن هارون تبركاً، كما أخذ العهد على الشيخ أبو الفتح الواسطي الرفاعي أيضاً تبركاً.

ولما توفي أبوه خرج من الخلوة، وأصر عليه المريدين ألا يرجع إليها، فكان هذا أمراً من الله أن يتفرغ لهداية الخلق إلى الله جل وعلا.

منهجه في التربية

منهجه في التربية كمنهج كُمَّل الصالحين:

- أن يتحصن المريد أولاً بالعلوم الشرعية.
- ثم بعد ذلك يُفرِّغ القلب من الأهواء والشهوات والحظوظ الدنيوية.
- ثم بعد ذلك يُقبل على طاعة الله وعبادة الله على نهج الصالحين من عباد الله جل في علاه.

فأكرمه الله ﷻ وكان يحرص في مجالسه على العلم ودروس العلم، وله كتاب اسمه (الجوهرة) وكتاب آخر اسمه (الحقائق) وهي كتب في الطريق، غير كتابه الذي أشرنا إليه في فقه الإمام الشافعي ﷺ وأرضاه.

وربَّى المريدين على هذا المنهاج والتشريع، وتلاوة كتاب الله، وذكر الله، والأعمال الصالحة والنافعة والرافعة، وكان حريصاً أيضاً على العمل لكل مريد، وهو نفسه كان يشتغل في صناعة الفخار، لأنه كان أبِيّ النفس ولا يأخذ شيئاً من المريدين بالكلية، ولا يأكل إلا من عمل يده، ولذلك كان حريصاً على أن يكون لكل مريد مهنة أو صنعة أو عمل نافع يأخذ منه حاجاته التي يحتاج إليها في حياته هو وأولاده.

أكرمه الله ﷻ لصدقه فانتشرت طريقته، حتى ورد أنه كان يحضر مجلسه حوالي خمسة آلاف نفس، وهذا الأمر يوغر صدور العلماء، فيحاولون أن يحطوا من شأن الصالحين والأولياء، وهنا تتجلى كرامات الله ﷻ تأييداً للأولياء، ليس طلباً للكرامة، وإنما تأييداً لهم.

كان يذهب بين الحين والحين للإسكندرية ناشراً لدعوته، ويذهب إلى دمنهور ناشراً لدعوته، ويتجول في أنحاء الأرض لينشر رسالة الله ﷻ، فلما وجد قاضي

الإسكندرية أن عدداً كبيراً من أهلها انضم وانخرط في سلك طريقته دبَّ في صدره داء الحسد، وهو داء العلماء، وفرَّغ حسده في اضطهاد كل من يصل إليه ويعلم أنه من أهل الطريقة البرهامية نسبة إلى سيدي إبراهيم، ويُطلق عليها البرهانية نسبة إلى لقبه برهان الدين، أو الدسوقية نسبة إلى بلده التي نشأ فيها وهي دسوق.

وفي إحدى المرات حدث نزاع بين مريد وبين تاجر في السوق:

فأخذوهما إلى القاضي، فلما علم القاضي أن هذا الرجل تلميذ لسيدي إبراهيم أمر بسجنه ظلماً وعدواناً بدون سبب، فاستغاث المريدون وأرسلوا إلى الشيخ، فأرسل إليه ﷺ وأرضاه وريقة صغيرة مع بعض المريدين !!

وذهبوا إلى القاضي في بيته، وأعطوه الوريقة، وصادف في هذه اللحظة أن القاضي عنده جمع من أصدقاءه يتحدث معهم، فزاد في عتوه وأخذ يشنع على سيدي إبراهيم الدسوقي ويتهمه بما لا يليق، ويقول: وأرسل إليَّ هذه الوريقة، ثم فتحها ليقرأها أمامهم، وكانت هذه الوريقة فيها أبيات من الشعر الرقيق يقول فيها ﷺ:

سهام الليل صائبة المرام ... إذا وترت بأوتار الخشوع
يصوبها إلى المرمى رجال ... يطيلون السجود مع الركوع
إذا أوترن ثم رمين سهماً ... فما يُغني التحصن بالدروع

وعندما قرأ الرجل: (إذا أوترن ثم رمين سهماً) مات في الحال !!

فكانت هذه آية.

ولا بد من هذه الآيات لمن أساء لأهل الله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (٣٨الحج)

{ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ }[١٢٠]

بعدها ذهب إليه جماعة من العلماء لما سمعوا بذلك ليمتحنوه، وكانوا ثمانية، وكانوا معترضين، فركبوا مركباً ونزلوا بساحل دسوق، وأرسل سيدي إبراهيم ﷺ وكيله وقال له: أشر عليهم بهذه العصا، فأشار عليهم بعصاه، فذهبت عقولهم وأخذهم

١٢٠ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

الذهول، ولم يدروا بأنفسهم، إلى أن مر وقت طويل، ثم ردوا إلى حالهم، وقد طالت شعورهم، وطالت أظفارهم.

فأرسل إليهم الخادم وطلبهم، وقال لهم: سلوا ما جئتم من أجله، فقالوا: تبنا إلى الله!!، فقال ﷺ قصيدة طويلة من قصائده المضية:

سقاني المختار بكأس المحبة ... فتهت عن العشاق سكراً بخلوتي
ولاح لنا نور الجلالة لو أضاء ... لصمِّ الجبال الراسيات لدُكَّتِ
وكنت أنا الساقي لمن كان حاضراً ... أطوف عليهم كرة بعد كرة

إلى أن قال في نهايتها:

وكم عالم قد جاءنا وهو منكر ... فصار بفضل الله من أهل خرقتي
وما قلت هذا القول فخراً وإنما ... أتى الإذن كي لا يجهلون طريقتي

انتشر صيته وذاع أمره !!

فضاق بعض العلماء الأكابر بشأنه، وكعادتهم في كل زمان اتجهوا إلى السطان، وقالوا: إن هذا الرجل وحوله هذه الجموع يريد أن يكون هو السلطان، وكان سلطان مصر في ذلك الوقت يسمى الملك الأشرف خليل بن قلاوون وهو من المماليك، وما زالوا به حتى جعلوه يُرسل فرقة من الجيش على رأسها قائد الجيش بنفسه، لأنهم صوروا له أن الأمر مخيف، فنصب قائد الجيش وفرقته خيامهم خارج دسوق، وأرسل إليه أن يسلِّم نفسه، فأرسل إليه ﷺ وكيله، وقال له: قف عنده وقل له: ابق مكانك، فراح عنده وقال له: ابق مكانك، فشُلَّ في الحال!!، ولم يُسلِّم الشيخ نفسه.

فزاد الأمر، وزاد غضب السلطان، وصور له أعوانه أن الأمر أصبح يتعلق بجاه السلطان، وكيف أنه لا يستطيع أن يقضي على رجل من رعيته؟!!

وما زالوا به حتى أرسل سبعاً مفترساً من عنده مع فرقة أخرى وسبَّاع ليأخذونه ويأكله هذا السبع، وأمرهم أن يذهبوا إليه مباشرة ولا يمكثوا خارج المدينة ويُرسلوا إليه.

فذهبوا إليه وهو في خلوته ونادوا عليه، فخرج، وعندما رآه السبع هاج وقطَّع أحباله، وهجم عليه، فخاف المريدون، فقال لهم ﷺ:

لا تخافوا فإنه لا يأكل إلا الغافل!، أما الذاكر فإنه لا يأكله !

وكان العجب أن السبع ذهب إليه وأخذ يتمسح به، ثم تحول جهة المصاحبين له، وهجم عليهم يريد أن يفترسهم!.

فلمَّا علم السلطان بذلك ورأى هذه الآيات، جاء إليه بنفسه لزيارته، وعرض عليه مشيخة الإسلام، وأصدر له قراراً بأن يكون شيخاً للإسلام، وأعطاه القرار، ولكنه رفض لأنه لا يريد مناصب ..

فقال له: أترك لك الأمر، وترك المشيخة خالية لمدة سنة وهو شيخها، ولكنه رفض هذا الأمر، ورفض أن ينتقل من دسوق إلى القاهرة ليتولى مشيخة الإسلام، وعرض عليه أموالاً وغيرها فرفض.

فلما أصر السلطان قال له: إن كان ولا بد فاجعل نصف ريع الجزيرة المواجهة لدسوق في البحر للمريدين، ولم يطلب شيء لنفسه لأنه لا يريد إلا وجه الله ﷻ.

وبشَّره بالنصر على الصليبين، وحقق الله بشراه، فكان انتصار الملك الأشرف على الصليبين في عكا، وقضاءه على آخر موقع للصليبين في فلسطين، وانتهت الحملة الصليبية بهذا ببركة دعاء سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ وأرضاه، حتى كان الملك عندما يُرسل إليه الرسائل بعد ذلك يكتب توقيعه مملوكك خليل!.

وظل سيدي إبراهيم ﷺ يبُلِّغ دعوته ورسالته ..

والعجيب أنه مع هذا الصيت الزائع، ومع هذا العلم العظيم، ومع هذه القصائد التي لا عد لها ولا حصر لها، ومع هذه الفتوحات إلا أنه انتقل إلى جوار ربه وعمره اثنتان وأربعون عاماً!

فانظر إلى بركة الوقت، كيف قيَّض الله له في هذا الوقت القصير كل هذه الأعمال العظيمة؟!! حتى أنه ربى رجالاً فحولاً في هذا الوقت القصير، وذلك من فضل الله ﷻ على الأولياء والصالحين؛ أن الله ﷻ يبارك لهم في الوقت، ويجعلهم في الوقت القصير يَحصُلون ويُحصِّلون ويعملون الكثير، لأن بركة الله ﷻ تشملهم، وعناية الله ﷻ تلحقهم.

ودُفن في مكان خلوته، وتولى الرسالة بعده أخيه سيدي موسى أبو عمران، الذي من عنده بدأت تنتشر الطريقة البرهامية، وإلى وقتنا، والبرهامية أصلها شاذلية.

أما ما يقوله ويردده البعض:

بأن سيدي إبراهيم، وسيدي أحمد الرفاعي، وسيدي أحمد البدوي، وسيدي عبد القادر الجيلاني هم الأربعة الأقطاب المدركين بالكون، وكل واحد منهم يتولى الكون مائة سنة، فهذه من الخرافات التي يجب أن لا نذيعها ولا نشيعها ولا نسمعها !!

لأن لكل زمان رجال، وهؤلاء الرجال شرطهم أن يكونون قائمين بالأبدان، فإن الله حي قائم، ولن يصل إليه واصل إلا بحي قائم!

ولا حرج على فضل الله!

وفضل الله لا ينتهي عند أربعة ولا خمسة ولا غيره ..

وإنما كما قال سيدي إبراهيم ﷺ:

كلما اشتد الظلام قوي النور.

ونحن في هذا العصر الذي انتشرت فيه الظلمات قويت فيه الأنوار في قلوب المُخلِصين والمُخلَصين من عباد الله، وهم كثير، ولكننا ننظر إلى وسائل الإعلام، ونظن أن هذه هي الغاية التي يُظهر الله فيها شأن هؤلاء الأقوام، لكن هؤلاء الأقوام تجهلهم بقاع الأرض وتعرفهم بقاع السماء.

وسائل الإعلام التي تُظهرهم والتي تبحث عنهم وسائل الإعلام الملكوتية، ووسائل الإعلام النورانية، ووسائل الإعلام الربانية !!!

أما وسائل الإعلام الدنيوية فليس لهم شأن بها، وإنما هم يخاطبون المخلَصين، ولا يريدون من الدنيا إلا تربية المريدين لوجه الله ﷻ.

نسأل الله ﷻ أن ينفعنا بالصالحين، وأن ينظمنا في عقدهم، وأن يفتح علينا بفتوحهم، وأن يمتعنا بأنوارهم، وأن يسقينا من علومهم، وأن يُلحقنا بهم.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

السيد أحمد بن عطاء الله السكندري

رضي الله عنه[١٢١]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم – الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

في الحقيقة كتاب الحكم العطائية عهدنا لكل السالكين والعارفين والصالحين أن يطالعوه وينفذوه، لأن أي سالك في طريق الله يحتاج إلى هذا الكتاب.

سيدنا أبو الحسن الشاذلي ﷺ كان شيخ الطريقة الشاذلية، وكان تلميذه ووريثه سيدي أبو العباس المرسي، والإثنان لم يتركا كتب، فسألوا سيدي أبو الحسن ﷺ: أين كتبك؟ فقال: كتبي قلوب أصحابي، فهي التي تحمل علمي وسري الذي تلقيته من الله تبارك وتعالى، وكان معه علوم إلهية كثيرة جداً.

سألوا سيدي أبو مدين الغوث ﷺ: من أين تلقيت العلوم؟ قال: من خمسة بحور أرضية، وخمسة بحور سماوية.

وسيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه قال: لقد زدتُ عن أخي أبي مدين بواحد وثمانين علماً، وبالطبع كلها علوم إلهية من باب:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ (﴿٢٨٢﴾البقرة)

لم يكتبها في كتب ورقية، وإنما كتبها في أفئدة أصحابه الصادقين:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ ﴾ (﴿٢٢﴾المجادلة)

ومثله سيدي أبو العباس المرسي ﷺ، وكان يقول عنه شيخه أبو الحسن الشاذلي: أبو العباس أعلم بطرق السماء منكم بطرق الأرض، وكان يقول: ما من وليٍّ ظهر أو سيظهر إلا وأبو العباس يعلمه.

أطلعه الله على ذلك، ولا حرج على فضل الله ﷻ، وهذا نظام الله مع الصالحين من عباد الله، يُيسر لهم الأمور، ويجعلها تدور كما يحبون وكما يرغبون وكما يريدون، لأنهم

---

١٢١ المقطم – مجمع الفائزين ١٨ من ربيع الآخر١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١١/٢٤م

لا إرادة لهم إلا مراد الله تبارك وتعالى.

مَن الذي سجل هذه العلوم؟ سخَّر الله تبارك وتعالى لهم سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري فترجم للطريقة الشاذلية، وهو الذي ذكر بعض أقوال أبي الحسن، وبعض أقوال أبي العباس، وذكر أحزابهم وأورادهم ومناهجهم ووضعها في كتاب سماه (لطائف المنن في مناقب سيدي أبو العباس المرسي وشيخه أبو الحسن) والكتاب موجود وحققه الدكتور عبد الحليم محمود، ومطبوع طبعة دار المعارف، وهي طبعة عظيمة وراقية.

الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندري صاحب الحِكَم التي تختصر منازل الطريق إلى الله تبارك وتعالى للسالكين والعارفين والواصلين والمتمكنين، ولذلك اهتم السادة الصوفية بشرحها، ولها شروحٌ لا تُعد ولا تُحصر.

شروح الحِكَم

هذه الحِكَم ...

شرحها الشيخ أحمد بن عجيبة، وهو من كبار أولياء المغرب، وكان صاحب إمداد إلهي، وإلهام رباني، وسمَّى شرحه (إيقاظ الهمم في شرح الحِكَم) وما زال يعتبر أفضل شرح موجود لهذا الكتاب إلى الآن، وهو متوفر، وليتكم تقرأوه لأنه سيُحدث معكم فارق كبير.

شرحها أيضاً الشيخ أحمد بن زروق، وكان أيضاً من كُمَّل العارفين وكان متيَّماً بها، حتى أنه شرحها سبع عشرة مرة، وكل شرح غير ما قبله وغير ما بعده، وكلها إلهامات من الله تبارك وتعالى، والدكتور عبد الحليم محمود حقق واحداً منها ونشره.

وشرحها إمام من أئمة المغرب وكان شيخ الإسلام واسمه الشيخ ابن عباد، وشرحه أيضاً متداول ومطبوع.

وشرحها شيخ الإسلام الشيخ عبد الله الشرقاوي، .... وكان شيخ الأزهر أيام الحملة الفرنسية.

وشرحها سيدي علي البيومي صاحب المقام.

وشرحها شيخ الإسلام الشيخ محمد خليل الخطيب القطب الذي بشر بنصر المسلمين في معركة أكتوبر سنة ثلاث وسبعون، وكان شاعراً، فنظم الحِكَم في شعر أولاً

وبعد ذلك شرحها.

وشرحها أناس كثير لا أستطيع أن أجمعهم.

ومن ضمن من شرحوها الإمام أبو العزائم ﷺ، وذُكر أنه شرحها عندما كان في السودان في الخرطوم في المسجد الكبير بها، ولكن شرحه ضاع ولا نعلم أين هو.

وشرحها في العصر الحديث عدد كبير من المعاصرين كالدكتور علي جمعة، وشرحها الشيخ يسري جبر، وشرحها الدكتور محمد مهنا.

وأكبر شرح من هذه الشروح جُمع كان شرح الشيخ البوطي ﷺ وأرضاه في بلاد الشام، شرحها في حوالي خمس مجلدات لأنه شرح مطول وكبير.

نحن كلنا في حاجة لمراجعة كتاب الحِكَم العطائية، ومراجعة شرح من شروحها لتعظم الإستفادة بها، ونكون على علم كاف بها.

الإمام أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ :

كان إماماً في تحصيل علوم الشريعة في الإسكندرية، في الفقه والتفسير والحديث وغيرها من علوم الشريعة، حتى بذَّ وبرز وصار إماماً في علوم الشريعة، وكان وارثاً هذا أباً عن جد، فجده كان من كبار علماء الفقه في الإسكندرية.

وحكى عن نفسه في كتابه المنن يقول:

أنه جلس مع بعض أتباع سيدي أبو العباس المرسي ﷺ في حياته، وكان أيامها متأثراً بأقوال المعارضين للصوفية، فهاجمهم، وكال لهم بالمكيال الأوفى في السخرية والإستهزاء كعادة أهل الإعتراض والإنتقاد.

وانظر إلى فضل الله عندما يوقظ العبد من داخله، يقول:

بعدها قلت لنفسي: أنت رجل عاقل لِمَ وقعت في هذا الرجل وأنت لم تجالسه ولم تسمع منه ولم تدارسه؟!

فاذهب أولاً واجلس معه وتسمع منه وتحدث معه !!!

ثم تحكم.

معرفته بأبي العباس المرسي

فذهب إلى سيدي أبي العباس المرسي، فوجد سيدي أبو العباس المرسي يشرح في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥الفاتحة) ويقول: إياك نعبد شريعة وإياك نستعين حقيقة، إياك نعبد إسلام وإيمان وإياك نستعين إحسان، قال: وأخذ يعد حتى قلت أن هذا الرجل يغرف من بحر ليس له قرار.

لأنه لم يقرأ هذا الكلام قبل ذلك، ولا سمعه قبل ذلك، وسيدي أبو العباس يقول هذا الكلام بكل سلاسة، ولا يفكر قبل نطق الكلام، وهذه علوم الإلهام.

بعد أن عاد إلى بيته حدث له حال، فوجد نفسه في شيء من القبض وغير مستريح، وفي اليوم الثاني ذهب إلى الشيخ أبو العباس، وقال: في هذه المرة وقف الشيخ وتلقاني، وهو قبل ذلك سلم عليه وهو جالس، ثم قال لي: أحوال العبد أربعة لا خامس لها، إذا ابتلي ببلية يصبر، وإذا جاءته نعمة يشكر، وأخذ يشرح حتى قال: فذهبت عني كل الهموم والأحزان التي كانت في صدري.

ولازَمَ بعدها الشيخ ابن عطاء الله السكندري سيدي أبو العباس المرسي، حتى أنه يقول: ذات مرة حدثت نفسي أن أترك العلم الظاهر، وأترك الدنيا، وأتفرغ لمصاحبة الشيخ، يقول: فذهبت إليه فإذا به يقول:

وأنا في مدينة قوص قال بعض الأحباب وكانوا من التجار: نترك ما نحن فيه ونمشي معك ونصحبك، فقلت لهم: لا تتركوا ما أنتم فيه، وما كان لكم عندنا فسيصلكم وأنتم في مكانكم.

وبعد ذلك قال لي:

سيدنا رسول الله ﷺ تجمَّع حوله الأنصار والمهاجرين، فلم يأمر تاجراً أن يترك تجارته، ولا زارعاً أن يترك زراعته، ولا صانعاً أن يترك صناعته، .... ولكن ترك كل واحد في صنعته.

فيقول:

فهمت أنه يقول لي: كن كما أنت، فظل كما هو إلى أن قال له: الزم وسيفتح الله تبارك وتعالى عليك في العلمين، علم الظاهر، وعلم الباطن، وقد كان.

انتقاله إلى القاهرة

ظل إلى أن انتقل سيدي أبو العباس إلى الرفيق الأعلى، وبعد ذلك جاءه سيدنا رسول الله ﷺ في المنام، فقال: يا أحمد لِمَ لا تزور قطب المشرقين والمغربين؟.

وكان يعرف أنه يوجد أحد الصالحين يقولون عنه قطب المشرقين والمغربين بالقاهرة، وهو سيدي عبد الله بن أبي جمرة، وكان قد شرح حوالي ثلاثمائة حديث من أحاديث البخاري في أربع مجلدات، وسماه (بهجة النفوس)، وفي آخر مجلد كتب حوالي سبعين رؤية من الرؤى التي رآها لحضرة النبي ﷺ، والتي كان يوصيه فيها بوصايا ينفذها، كأن يذهب لأحد المرضى وحضرة النبي يقول له: اكتب له كذا، ومُره أن يأكل كذا ويصنع كذا ويعمل كذا، فسجَّل هذه الرؤيات السبعين التي رآها لحضرة النبي.

فقال له النبي في المنام: لِمَ لم تزُر سلطان المشرقين والمغربين، فجاء إلى مصر واستحب المكان الذي فيه سيدي عبد الله بن أبي جمرة، لأن بجواره خلوة السيدة نفيسة التي كانت تختلي فيها عندما تحب أن تختلي بالله وتتلو كتاب الله.

وبجواره كذلك السادة الوفائية، وهؤلاء أكثر من أربعين ولي مدفونين مع بعضهم، فالمكان كله مبارك.

فجاء واستوطن هذا المكان، وأوصى أن يُدفن فيه بعد وفاته، ودُفن فيه، أشار سيدي الشيخ عبد الحليم محمود على رجل من الصالحين ليجدد المسجد، لأن المسجد لم يكن يصلح، فجدده وأصبح مسجداً له رونق وبهاء ومقامه موجود في جانب من جوانب المسجد.

أحد العلماء الفقهاء، وكان إماماً في المذهب الحنفي اسمه الشيخ كمال الدين بن الهُمام الأخميمي، وكان فقيهاً ولكنه كان ولياً، ولذلك كان عندما يزور الأولياء يحدث له حال، وأحياناً تحدث محادثة بينه وبين الأولياء، وقد ذكرت لكم قبل ذلك عندما كان يزور سيدي عبد الرحيم القنائي في مقامه، قال: يا سيدي أوصني، قال: يا بني لا تغفل عن ذكر الله طرفة عين، فأنا كما ترى في روضات عالين، ومع ذلك أقول:

﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦ الزمر)

فكل نَفَسٍ يمر على الإنسان في الدنيا لا يذكر فيه الله سيتحسَّر عليه يوم يلقى

الله تبارك وتعالى.

فالشيخ كمال الدين الأخميمي زار سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري في ضريحه بعد موته، وجلس في مواجهته يقرأ ما تيسر من القرآن بصوت مرتفع، فكان من جملة ما قرأ سورة هود، فلما وصل إلى قول الله تعالى:

﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (١٠٥هود)

إذا بسيدي أحمد بن عطاء الله يخاطبه من الضريح ويقول له: ليس فينا شقيٌّ يا كمال.

فبنى لنفسه قبراً بجوار ابن عطاء الله، وأوصى أن يدفنوه فيه بعد أن يموت، وبالفعل مقامه موجود خلف مقام سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ وأرضاه.

منهج الصالحين في بداياتهم

هذه النبذة البسيطة تعرفنا أن الصالحين والأولياء كان لهم مع الله حال يحتاج أن نطالعه ونمشي عليه ونحاول أن نتلمسه لننال فضل الله تبارك وتعالى.

فسيدي أبو الحسن الشاذلي قبل أن يفتح الله عليه درس علوم الشريعة في بداية الأمر، كالفقه والحديث، ومعها علوم اللغة العربية النحو والصرف والأدب، فلما لم تُشبع نهمه سافر إلى تونس ليُكمل تعليمه الشرعي.

وبعد التعليم الشرعي اتجه إلى العلم الوهبي، فبدأ يبحث عن شيخ يأخذ بيده ليفتح عليه الفتاح من علوم حضرة الكريم الفتاح تبارك وتعالى.

ومثله تماماً أبو العباس المرسي، ومثله تماماً ابن عطاء الله السكندري !!!

كما قلنا برز في الفقه، وبرز في علوم الشريعة، ثم بدأ في علوم الحقيقة، لأن هذا هو المنهج، ولا بد أن نمشي جميعاً عليه لمن أراد أن يكون له عند الله حالٌ عَليّ أو مقامٌ هَنِيّ، البداية شرعية والنهاية صوفية.

لأن أي عمل قبل أن أفعله إن كان لنفسي أو لغيري، لا بد أن أعلم الطريقة الصحيحة الشرعية لأداء هذا العمل، وأنظر إلى أداء الحضرة المحمدية لهذا العمل لأتبعه:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ (٣١آل عمران)

همة المريد الصادق

لا بد أن تكون البداية شرعية، ولا ينفع للمريد أن يسوقه أحد بالعصا ولا بالتوبيخ ولا بالزجر، بل هو الذي يسوق نفسه حتى ينال أمله ويحصِّل ما يرجوه عند مولاه تبارك وتعالى.

وأنا في طوال عمري مع شيخي الشيخ محمد علي سلامة ﷺ وأرضاه لم يقُل لي: اقرأ كذا أو اعمل كذا، ولكني جعلت لنفسي برنامجاً، لأني لا بد أن أكمل نفسي في الفقه على المذاهب الأربعة حتى إذا تعرضت لأي سؤال من أي سائل أجيب عنه بيقين، بعض الأئمة في المساجد حالياً يختلق إجابة بدون يقين منها، لكن هذا خطأ يحاسبه عليه الله حساباً شديداً، لكن إذا لم يعرف الإجابة يسأل من هو أعلم منه حتى يجيب، لكن لا يختلق.

ومن حبي للحضرة المحمدية : قرأت كل ما وصلت إليه يدي ووقعت عليه عيني من الكتب التي تحكي عن الحضرة المحمدية، لأن الإمام الذي أتبعه لا بد أن أقرأ كل شيء عنه ظاهراً وباطناً.

ومن حبي لكتاب الله: أحببت أن أعرف فحوى الأوامر والنواهي والتوجيهات التي جاءت لنا في هذا الكتاب من الله، فلا بد أن أقرأ تفسير مستنير من صاحب بصيرة وسريرة، حتى أكون قد جمعت الناحيتين في دراسة كتاب الله.

وأحب الصالحين وأتمنى أن أكون معهم أو أكون منهم: فلا بد أن أدرس حياتهم، وأعرف كيف وصلوا إلى ما وصلوا إليه، كيف وصل هذا؟ وكيف وصل هذا؟ وكيف وصل هذا؟ حتى أكون مثلهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

وجدت الفقه في الدراسة لا يسعف في الفتاوى العصرية في الأمور المستحدثه الفقهية التي ليست لها إجابة في الكتب الفقهية القديمة، والعصر مليئ بآلاف المسائل الفقهية وليست في الكتب، لكن هناك رجال جالوا في هذا المجال وأتوا بفتاوى:

فألممت بكل الفتاوى العصرية لكل رجال العصر، كالشيخ يوسف القرضاوي والدكتور علي جمعة والشيخ جاد الحق والشيخ عطية صقر، لأنها أمور عصرية، ولا بد أن أعرف الرأي الفقهي فيها، حتى أعرف كيف أن أرد، فلا يجوز أن أجيب بدون يقين، ولا بد أن يكون عندي دليل وبرهان، ومن قال لا أدري فقد أجاب.

الحاجة إلى الصالحين

وبعد ذلك مشينا في الطريق على يد رجل من كُمَّل أهل التحقيق ﷺ وأرضاه، وكان يتابعني في الدروس وفي القراءة.

كنت أقرأ ذات مرة في كتاب (الميزان الكبرى) للشيخ الشعراني، وهو كتاب كبير عمله الشيخ الشعراني ميزان بين المذاهب الأربعة، فيقول: لِمَ هذا أخذ هذا الحكم؟ ولِمَ أخذ هذا الحكم؟ ولِمَ أخذ هذا الحكم؟

فكنت أقرأ في باب أن سيدنا عبد الله بن الزبير ﷺ عندما ذهب للعراق وجد أن الإمام يلتفت بعد الصلاة إلى جهة اليسار، وهم في المدينة كانوا يلتفتون لجهة اليمين، فقال: ما رأينا رسول ﷺ يلتفت إلا إلى جهة اليمين.

بعد فترة قابلت الشيخ فسألني:

ماذا قرأت في التفات الإمام نحو المصلين بعد انتهاء الصلاة؟! – وهذا معناه أنه يتابعني حتى في القراءة ويصححها لي– فقلت له: قرأت فيها كذا، فقال لي:

إلا في المسجد النبوي حتى لا يكون الإمام ظهره لحضرة النبي ..

فأكمل لي المعلومة.

هو يعرف ماذا أفعل، لكنه لم يأمرني بماذا أفعل؟

الذي أمرني نفسي الملكوتية الراغبة في هذه المقامات العلية.

لو أن كل إنسان يكون له آمال يريد تحقيقها عند مولاه، فلا بد من نفسه يسعى في تكميل نفسه.

والكتاب الذي أنصح به الأحباب جميعاً أن يبدأوا به :

شرح الحكم العطائية لابن عجيبة ﷺ وأرضاه.

والكتاب الذي أنصح به في التفسير :

كتاب (البحر المديد في تفسير الكتاب المجيد) أيضاً لابن عجيبة، لأنه يُظهر فيه التفسير اللغوي للألفاظ، وجملة المعنى العام، وبعد ذلك يأتي بإشارات العارفين في هذه الآيات التي ذكرها، فيعطيك الإثنين معا، وهو موجود ومتوفر.

فائدة طلب العلم

والإنسان يقرأ .

ثم يطبق على نفسه حتى يعرف أين مكانته:

لأني لا أظن أن هناك من قرأ شرحاً للحكم وبقي عنده نزعة للرياسة !!

أو نزعة للكبر، أو عنده ركونٌ إلى العُجب !!

أو عنده ركونٌ في طرفة عين إلى دنياه، والتفاتٌ إلى غير مولاه !!

لأنه يصحح الأحوال.

لا بد أن نقرأ! وأول أمر أمرنا به الله هو: ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ (٥العلق).

وهذا الأمر لنا كلنا، رجال ونساء، صغار وكبار !!

فأول أمر أنت مكلف به هو طلب العلم، فطلب العلم فريضة.

كل واحد منا لا بد أن يعرف:

كيف يُصلي؟ وما الذي يصحح الصلاة؟ وما الذي يُبطل الصلاة؟ وكيف يصوم؟ وإذا كان معه مال فيعرف كيف يزكي؟ وإذا أراد أن يحج ماذا يفعل طوال الحج؟ وما الذي يصحح الحج؟ وهكذا.

فنحتاج كلنا إلى العلم.

والعلم يعتبر أكبر عبادة نفلية في الأجر والثواب عند الله:

ولكني أرى في هذه الأيام كثير عندهم زهد في العلم، وزهد حتى في العالِم الذي يُؤتَى العلم، كما قال الله في جماعة سيدنا يوسف:

﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ (٢٠يوسف)

لكن العلم هو الأساس كله:

العلـــم يهتـــف بالعمـــل فاعمـل تنـل كـل الأمـل

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

الإمام أبو العزائم

رضي الله عنه[١٢٢]

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي بنعمته خصَّنا، وبفضله أوصلنا إلى نبينا، وبجوده ﷻ عمَّنا بنعمة الإيمان، وزادها علينا فجعلنا من أهل القرآن، ونسأله ﷻ أن يُديم علينا هذه النعم الإلهية، وأن يجعلنا من أهل القرآن في الدنيا، ومن أهل القرآن ومعية النبي العدنان في الدار الآخرة أجمعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، سرُّ الوجود النوراني، وسبب الهداية الربانية، والرمز الذي جعله سرٌّ عنايته للخلق، صلى الله عليه وعلى آله الذين ساروا على هُداه، وأصحابه الذين أعانوه على إبلاغ رسالات الله، وعلى كل من تبعهم على هذا الهُدى والنور إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

لو نظرنا في كتاب رب العالمين وهو القرآن الكريم، نجد أن الله ﷻ وهو العلي الحكيم، يذكر لنا ليُذكِّرنا قصص الأنبياء والمرسلين السابقين، ولم يكتف بذلك ﷻ، بل ذكَّرنا قبساً من حكايات الصالحين، كالعبد الصالح الذي كان مع موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم والسلام، والجماعة الذين أرسلهم سيدنا عيسى إلى أنطاكية في بلاد الشام ليبلغوا رسالات الله، والرجل الذي جعله الله ﷻ سبباً لنجاة سيدنا موسى من فرعون وقومه، وأهل الكهف، وغيرهم الكثير.

العبرة من قصص الأنبياء والمرسلين

لِمَ ذكر الله ﷻ لنا قصص الأنبياء والمرسلين والمقربين والصالحين؟ قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١١١ يوسف)

عظة وذكرى ودروس يتعلمون منها ما يصحِّحون به أحوالهم، وما يصلحون به أعمالهم، والسبيل الأمثل الذي يسيرون فيه فيصلون فيه إلى رضاء الله ﷻ.

وعلى هذا المنوال ساق سلفنا الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين سير الصحابة، وزوجات النبي أمهات المؤمنين، والتابعين، والعلماء العاملين، والأولياء، والصالحين إلى يوم الدين.

---

١٢٢ المعادي ٢٨ من رجب ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٥/٥م

قد يقول البعض يكفينا قصص الأنبياء والمرسلين، نقول له: لو قلنا بذلك فسيتحجَّج أهل العصر، لأن هؤلاء الأنبياء والمرسلين معصومين من الله، ومؤيدين من الله، ولم يروا ولم يشهدوا ما نحن فيه من ظلمات هذا الزمان، وهذا حتى للصحابة المباركين، ولذلك كان لا بد من ذكر قبس من سير الصالحين المعاصرين، حتى تكون حجة لله ﷻ على عباده أجمعين.

وقد قال السادة العلماء الأجلاء: أقام الله ﷻ الحُجة على الخلق بما أقام فيه الأنبياء والمرسلين، فمن يتعلل في الدنيا أن ملكه أو وظيفته أو عمله شغله عن الله أو طاعة الله، تكون الحُجة القائمة عليه بسليمان بن داود نبي الله، فقد آتاه الله ملكاً لم يأته أحداً قبله ولا بعده من العالمين، ومع ذلك لم يلتفت عن طاعة الله وذكره وشكره طرفة عين ولا أقل.

ومن تعلل بالمرض والسقم والألم، وأنه أصابه مرضٌ أقعده فمنعه من طاعة الله جل في عُلاه، نقول له: وهل مكثت في المرض مدة زمنية أو في معاناة جسدية كنبي الله أيوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام؟ لقد ابتلاه الله ﷻ ثمانية عشرة عاماً وقالت له زوجه: ألا تشكو إلى الله ﷻ ما بك لعله ﷻ ينظر إليك فيشفيك ويعافيك؟ فقال لها: كم عِشتُ صحيح البدن؟ قالت: سبعين عاماً، فقال: إذا حصَّلتُ سبعين مقابل السبعين أشكو إلى الله ﷻ!!، ولذلك قال كما أخبر الله في القرآن:

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٨٣الأنبياء)

وانظر إلى أدب الأنبياء في دعائهم لله جل في عُلاه، كل هذا مسٌّ!! ولم يقل: اكشفه، أو اشفني، وهذا أدب الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وتسليماته أجمعين.

ومن تعلَّل بأن شبابه شغله، ويبحث عن الزواج، وهذا يشغله عن المنعم الحنان المنان ﷻ لكثرة المُغريات، وكثرة الفتن التي يتعرض لها وخاصة في هذا الزمان، نقول له:

هل تعرَّضتَ لفتنة توازي أو تضارع فتنة يوسف الصديق عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام؟! فقد غلَّقت الأبواب، وخلعت ملابسها، وروادته عن نفسها، وقالت: هُيئتُ لك !!

لكنه قال:

﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٢٣يوسف)

قال ﷺ:

{ عَلِّمُوا أَرِقَّاءَكُمْ سُورَةَ يُوسُفَ }[١٢٣]

وفي الأثر: (إن من عُرض عليه شيء في الحرام فأباه، رزقه الله ﷻ إيَّاه في الحلال)، فقد رفض يوسف، وكان في سبيل ذلك سيكون له ملكٌ وسلطان، ولكنه قال:

﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ (٣٣ يوسف)

فكانت النتيجة أن أحياها الله ﷻ، وردَّ لها شبابها بعد ما بلغت من الكبر عتيا، ليتزوجها يوسف في الحلال، وكانت بكراً، لأن زوجها كان ابن عمها، وكان عنّيناً حصُوراً لا يأتي النساء، ولكنها لا تستطيع أن تُفصح عن ذلك، لأن التقاليد في أيامها تمنعها من ذلك، فتزوجها يوسف، وبعد أن تزوجها يوسف اشتغلت بطاعة الله وعبادة الله وزهدت فيما كانت تشتهيه نفسها وهي في بيت العزيز، حتى قال لها يوسف: يا زُليخة إن الله ﷻ أمرني أن آتيكِ ليُخرج منك ولدين صالحين، قالت: سلَّمتُ لأمر الله ﷻ.

فجعل الله ﷻ الأنبياء والمرسلين حُجَّةً على الخلق أجمعين، ولو استطردنا في هذا المقام لاحتجنا إلى وقت طويل وحسبنا ما أشرنا إليه.

وجعل الله ﷻ الأولياء والصالحين حُججاً على أهل زمانهم، فرغم انتشار الفتن، وكثرة الفساد، وتفَشِّي الظلام تجد قوماً يأنسون بالله، ويتمتعون بمناجاة الله، حفظهم الله ﷻ عن الحرام وعن الذنوب والآثام، وجعلهم وهم في الدنيا بيننا كالملائكة الكرام، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولكي تكتمل الحُجَّة على الخلق مكَّنهم الله ﷻ في الدنيا من مناصب ومكاسب ولم يغترُّوا بها، وهيأ الله ﷻ لهم أولاداً وبنات، ولكن تولَّاهم بولايته، وجعلهم بررةً وأتقياء وأنقياء حتى تكون لله ﷻ الحُجَّة البالغة.

ومن حُجج الله ﷻ في هذا الزمان كثيرٌ من الصالحين والعارفين الأحياء والمنتقلين، فجعل الله ﷻ في هذا الزمان كما جعل في كل زمانٍ أئمةً يُقتدى بهديهم، ويتعجَّب الناس من صلاحهم مع حال الزمن الذي هم فيه، حتى تكون لله ﷻ الحُجَّة البالغة.

ومن الرجال الذين رأيناهم الدكتور عبد الحليم محمود، والشيخ محمد متولي الشعراوي، وأشباههم وأمثالهم كثير، لكنهم لا يحبون الظهور، ولا يبغون الشُهرة، ولا يسعون وراء السُمعة، فلا يريدون إلا وجه الله ﷻ.

---

١٢٣ الوسيط في تفسير القرآن المجيد عن أُبي بن كعب رضي الله عنه

وقد مكنَّهم الله ﷻ، لكن كلما زادوا في التمكين زادوا في التواضع لرب العالمين ﷻ.

الدكتور عبد الحليم محمود رحمة الله عليه كان لا يسمع عن صالح في أي موضعٍ في الأرض إلا ويتجشم الصعاب ويذهب إليه، حيَّاً كان أو منتقلاً، لماذا؟ لأنه كان يرى أن هناك حربٌ شعواء على الصالحين وأحباب الصالحين، فأراد أن يُثبت بنفسه القدوة، لأن هذا الأمر من دين الله، ويحبه الله، ويُحبِّذه سيدنا رسول الله ﷺ، ويكفي في ذلك قول الله جل في علاه:

﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ (١٥لقمان)

انظر إلى القوم الذين أنابوا إلى الله، وفتح الله عليهم، فوصلوا واتصلوا، وامشي وراءهم، حتى تتهنَّى بما تهنوا به.

ولذلك عاش رحمه الله عيشة الزاهدين، وانتقل إلى جوار الله في رحاب الصالحين، ولم يملك من حطام الدنيا الفاني حتى شُقَّةً تمليك، فكان يعيش في شُقة بالإيجار في حلمية الزيتون، مع أنه تبوأ أعلى المناصب، وجاءته من كل جهة المكاسب، ولكن كانت يده سخَّاء سخَّاء على الفقراء والمساكين دائماً.

والشيخ محمد متولي الشعراوي رحمة الله عليه عُرض عليه في تفسير القرآن ما لا يُعدُّ من الكويت ومن الإمارات ومن السعودية ولكنه ﷺ قال: جعلتُ خواطري في تفسير القرآن حسبةً لوجه الله ﷻ لتلفزيون جمهورية مصر العربية، ولم يتقبَّل منها مليماً واحداً.

ونعجب إذا علمنا أن الذين أخذوا تفسيره وجمعوه في كتب وطبعوه اغتنوا به، لأن هذه الكتب ليس هو من طبعها، ولكنهم جمعوا كل عدِّة مواضيع في موضوعٍ واحدٍ، مع أنه ﷺ لم ينظر لها من قليل ولا كثير.

وعندما حَصُل على جائزة الإمارات قال: أُشهدكم أني جعلتها لإنشاء عمارات سكنية لطالبات الأزهر الشريف، ورفض أن يأخذ منها مليماً واحداً.

وكان مع ذلك لا ينسى جهاد نفسه طرفة عينٍ ولا أقل، فقد حكى ابنه عبد الرحيم أنه كان معه في محاضرة في جامعة القاهرة في القاعة الكُبرى، وكان أيامها أيام عُنفوان الشيوعية، واستمرت المحاضرة والأسئلة أربع ساعات، وكلما سألوه سؤالاً فأجاب ضجَّت القاعة بالتكبير، وكان نصراً عظيماً للمؤمنين والمسلمين.

وعند عودته قال لابنه ولسائقه: يا بُنيَّ ابحث لي عن مسجد لأني أريد قضاء حاجتي، ونزل وأطال في المسجد، فذهب ابنه ليراه، فوجده قد خلع جلبابه ووضعه على فرش المسجد، وأخذ ينظف مراحيض المسجد، فسأله ابنه: ما هذا يا أبي؟ فقال له: أحسستُ أن نفسي ظنت أنني أصبحتُ شيئاً فأحببتُ أن أُعرفها حقيقتها!.

فهؤلاء هم الرجال، لتعرفوا أن حُجج الله ﷻ باقية إلى يوم الدين:

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ (١٦٥النساء)

كان سيدنا الإمام عليٌّ ﷺ وكرَّم وجهه يقول: ((اللهم لا تُخل الأرض من قائمٍ لك بالحُجَّة، إما ظاهراً مشهوراً أو باطناً مستوراً)) لئلا تخلوا الأرض من قائمٍ لله بحجج الله وبيناته.

وقد يشمئز البعض إذا ذُكر الصالحين، ولماذا يحكون عن حياة الصالحين؟ وقد ذكرنا الحُجة هنا لأن هؤلاء معاصرين لنا، وبشرٌ مثلنا، وهذا أقوى في الحجة، فالأنبياء والمرسلين محفوظين ومؤيدين، والصحابة يكفيهم أن رسول الله كان فيهم، وماذا يريدون بعد ذلك؟! لكننا في هذه العصور الحجة تكون ممن في هذه الظلمات.

فتكون هذه النجوم الباهرات التي لم تشغلهم الدنيا ولا أهواؤها ولا حظوظها ولا شهواتها عن وجه الله طرفة عين، بل قويت عندهم أنوار البصيرة، وصارت أنوار السريرة منيرة، وكأنهم معنيين بقول رب العالمين:

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ (١٠٨يوسف)

ليس وحدك، بل أنت ومن معك، كم سنة؟ مفتوحة إلى يوم القيامة.

من هؤلاء شيخنا الإمام محمد ماضي أبو العزائم ﷺ وأرضاه، هو من سلالة آل البيت الأطهار، فأُمُّه من ذرية الإمام الحسن، وأبوه من ذرية الإمام الحسين، وبينهما توافقٌ رباني فقد كان أبوه اسمه عبد الله، وأُمه اسمها آمنة.

آل البيت عندما تولَّى زمام الحُكم بني أُمية اضطهدوهم، فهاجروا إلى أطراف الدولة الإسلامية بعيداً عن نفوذ بني أُمية، فمنهم من ذهب إلى بلاد المغرب، ومنهم من ذهب إلى بلاد الصين، ومنهم من ذهب إلى تركستان وأفغانستان، وكان ذلك لحكمة إلهية، حيث قاموا في هذه الأماكن وهذه الأسقاع بنشر الإسلام بين هذه البقاع، والتاريخ يحوي الكثير في ذلك.

رجل منهم دخل على يديه في تركستان في يوم واحد سبعين ألف في الإسلام!!

هل لو مكثوا في دمشق أو المدينة كان سيحصل هذا الفضل؟! لا، لكن حكم يعلمها العليم ﷻ.

لما تأسست الدولة الفاطمية، وجاءت إلى مصر، وأسس المعز لدين الله الفاطمي القاهرة، كانت دولة الفاطميين تجذب كل آل البيت من كل الأصقاع، ويريدون أن يُعوضوهم مما تعرضوا له من ظلم وحرمان، فاستقدموا من الجزيرة العربية قبيلة بني هلال، وتحكي كتب التاريخ أن عددهم في ذاك الوقت كان حوالي أربع مائة ألفاً.

أين يسكنون وعددهم كبير؟ فأشاروا إليهم أن يذهبوا إلى جنوب مصر، في محافظات سوهاج وقنا وأسوان، وهم الأشراف هناك الآن.

وحدثت فتنة في زمانهم في تونس، وظهرت دولة اسمها الزناتية واحتاجوا إلى القضاء عليها، وبني هلال كانوا مشهورين بالفروسية والشجاعة، فطلبوا منهم أن يذهبوا للقضاء على هذه الفتنة، فذهب من ذهب، وبقي من بقى، وهي وقائع تاريخية ثابتة تجدونها في التاريخ الإسلامي الحديث.

وبعد أن ذهبوا إلى هناك استقروا بها، وكان من جملتهم ومن جملة أمرائهم رجل اسمه ماضي بن مُقرن، وهو جدُّ الإمام أبي العزائم ﷺ وأرضاه، ذهب إلى الحدود بين الجزائر والمغرب، وبينه وبين البحر حوالي سبعمائة كيلو متراً، وأكرمه الله بعين ماء، وأسَّسَ حولها بلدة، وسُميت البلدة (عين ماضي) وهي موجودة إلى وقتنا هذا.

أبو الحسن الشاذلي

ظهر بعد ذلك سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه، وسيدي أبو الحسن كان يعبد الله في جبلٍ في شاذُله في تونس، إلى أن أتاه النداء: (يا عليُّ انزل اهد الناس إلينا) وسُميَ بالشاذلي بالنسبة للبلدة، وإن كان الصالحون لهم رأيٌ آخر، لأن الصالحين لهم في كل كلمة وعبارة إشارة، فقالوا: الشاذلي يعني الشاذ في عبادته وفي طاعته لي، فهم يُؤولونها على حسب ما في قلوبهم من أنوار وأسرار.

واجتمع الخلق على الشاذلي، فجاءه ابن الأمير ماضي، وتتلمذ على يديه، وكان ذا همة كبيرة وعظيمة وقوية فسمَّاه أبو العزائم ماضي، وكان خادماً لسيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه، ومن حينها صاحَبَهُ، وأصبح الخادم الذاتي له.

وظل معه حتى وصلوا إلي الإسكندرية، وكان سيدي أبو الحسن يحُجُّ كل عام، وكان يسافر إلى قنا، ثم يذهب من قنا ماشياً إلى القُصيِّر، ثم يركب السفينة إلى جدة ليؤدي فريضة الحج إلى بيت الله الحرام.

يحكي الشيخ ماضي فيقول: تزوجتُ امرأةً من الإسكندرية وحملت قبل رحلة الشيخ أبو الحسن الشاذلي الأخيرة، فلما أخبرتها بالسفر كرِهَت ذلك، وأصرَّت على عدم تركها وهي مقبلةٌ على الوضع، قال: فلمَّا لم أجد مفرَّاً أخبرتُ الشيخ، فقال الشيخ: أحضرها، فأحضرتها، فقال الشيخ: يا أم عبد الدايم اتركي ماضي يسافر معنا هذا العام – وعبد الدايم لم يأت بعد – قالت: رضيت ياسيدي، فسافر الشيخ وسافر معه ماضي، ووضعت ولداً وأسمته عبد الدايم!.

والشيخ أبو الحسن الشاذلي عندما وصل إلى قنا طلب فأساً ومقطفاً، فلما سأله لماذا: قال له: في حُميثرة سوف ترى، فجاءه الأجل كما طلب من الله أن يُدفن في موضعٍ لم يُعصَ الله فيه قط، وأن يُقبض وهو ساجد، وكما قال الله:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ﴾ (٣٤الزمر)

لا يؤخر الله لهم طلباً لأنهم لا يطلبون شيئاً لأنفسهم وإنما يطلبون لله جل في عُلاه.

مولد الإمام أبو العزائم

رجع الشيخ ماضي إلى الإسكندرية بعد أداء رحلة الحج، فاستأذن سيدي أبو العباس المرسي أن يذهب إلى ناحية كفر الشيخ ليُبلِّغ دعوة الله ﷻ فأذن له، فظل يمشي حتى استقر في مكان اسمه (محلَّة أبو علي) وسكن فيها، وصنع لنفسه زاوية فيها ليُقيم فيها مجالس الطريقة الشاذلية.

واستقر فيها هو أولاده إلى أن جاء أبو الإمام أبو العزائم وهو السيد عبد الله المحجوب، وكان تاجر غلال، وكان يورِّد الأرز إلى مضرب الأرز في رشيد.

وكان يُحب زيارة الصالحين، وكانت زوجته – ولأنها من آل البيت – تُصِّر أن ترافقه في زيارة الصالحين، فذهب إلى رشيد، وكان هذا اليوم ٢٧ من رجب، وكانوا يزورون في رشيد ضريح سيدي زغلول، ومسجد سيدي زغلول حجمه أضعاف المسجد الأزهر، وفيه ثلاثمائة وستين عموداً، وهو المسجد الذي أُذِّنَ فيه في الحملة الفرنسية

عندما دخلوا رشيد، ووضع الأهالي لهم خطة، على أن كل واحد يدخل بيته ويُغلقه على نفسه، إلى أن يدخل الفرنسيون ويُلقون السلاح ويجلسوا ليستريحوا، فيُؤذِّن المؤذن فيخرجون عليهم ويقتلوهم، وكانت هزيمة فادحة للفرنسيين في رشيد بسبب أذان المؤذن، وخُطة المؤمنين في هذا المكان المبارك.

فدخلا ليزورا ضريح سيدي زغلول، وهي في الضريح جاءها المخاض، ولا يحتمل التأجيل، فحاولوا إخراجها فلم يستطيعوا، فما كان من خادم الضريح إلا أن تركها وأغلق عليها باب الضريح وتركها، فوُلد الإمام أبو العزائم في ضريح سيدي زغلول ﷺ في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب.

وهو نفس اليوم الذي انتقل فيه إلى جوار الله ﷻ، وهي أقدار يجريها بمقدار الواحد القهار:

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ (٨الرعد)

وبعد أن ولدت أعطاها الخادم قماشة من على الضريح فلفَّت بها المولود وخرجت.

هل هناك من وُلد في ضريح قبل ذلك؟ لا يوجد غير الإمام علي، كانت أُمه تطوف حول الكعبة، وكان النبي يقول لها: يا أمي، فجاءها المخاض فجأة، فأين تذهب؟ أدخلوها داخل الكعبة، فولدت الإمام عليّ ﷺ وأرضاه داخل الكعبة، حكِمٌ لا يعلمها إلا الحكيم ﷻ.

وكان الشيخ عبد الله المحجوب نائب السادة الشاذلية في بلده وفي مكانه، وكان رجلاً متصوفاً ومتبحراً في العلم، وليس من المتصوفة الجُهلاء، وكان حريصاً على أن يُربي أولاده على العلم من البداية، فمنذ أن بلغ الإمام أبو العزائم ثلاث سنوات أرسله إلى الكُتَّاب، حتى إذا بلغ سبع سنوات كان قد حفظ كتاب الله ﷻ.

وأحضر له علماء ممن حوله كما كان العُرف المتبع في ذاك الوقت، يعلمونه العلوم التي يعلمونها للطلاب قبل عموم المعاهد الأزهرية في هذا الزمان، فكانوا يعلمونهم مَتن الأجرومية، ويعلمونهم الفقه، فتعلَّم الفقه على مذهب الإمام مالك ﷺ وأرضاه، وكانوا يعلمونهم قبساً من التاريخ الإسلامي.

كل هذه دروس خصوصية، فلم يكن هناك معاهد إلا الجامع الأزهر، وجاء بعد

ذلك المسجد الأحمدي في طنطا، ومعهد أسيوط، لذلك كانت التربية فردية.

ترقَّى إلى أن وصل إلى سن السابعة عشر عاماً، وكان أخوه الذي سبقه قد جاء إلى القاهرة، فجاء مع أخيه، ودخل الأزهر الشريف، ودرس علوم الأزهر.

تربية الصالحين لأتباعهم على المحبة

وننظر إلى طبيعة الصالحين المتقين التي نرجوا الله أن يكون عليها أتباع الصالحين في هذا الزمان، الشيخ عبد الله المحجوب كان نائب السادة الشاذلية، وزاويته فيها أحزاب وأوراد وأذكار السادة الشاذلية، لكن ابنه يحكي عن نفسه فيقول: حُبب إليَّ زيارة الصالحين، فكنتُ كلما سمعتُ عن وليٍّ من أولياء الله أذهب إليه وأزوره، وكنتُ أُحب سماع كرامات الصالحين حتى أنني من كثرة مطالعة كتاب (روض الرياحين في مناقب الصالحين) لليافعي حفظته، فأحب رجلاً اسمه الشيخ غانم الخشَّاب، وهو رفاعي، وأخذ الأوراد منه وتتلمذ على يديه، فلم يؤنِّبه أبوه، ولم ينهه عن ذلك، لأنهم كانوا يعلمون كما يقول القائل:

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ رشفاً من البحر أو غرفاً من الديم

ما الذي ضيَّع هذه الأمور الآن؟

العصبية الجاهلية!!

والعصبية لا ينبغي أن تكون أبداً، وخاصَّةً بين السادة المنتسبين للصوفية.

ننظر إلى السلف الصالح ماذا كانوا يصنعون؟ السلف الصالح كانوا يفعلون أعمالاً تتعجَّب منها القلوب والعقول، فعندما ذهب أحدهم إلى سيدي أبو السعود – ومقامة موجود قريب من السيدة زينب – ليتتلمذ على يديه، فقال له: يا بنيَّ أنت لست تلميذي، أنت تلميذ الشيخ عثمان المغربي، ولمَّا يأتي من المغرب بعد، أُمكث هنا عندي مستمعاً.

وكان الناس يأتون من المغرب فينزلون في الإسكندرية، ويركبون في النيل حتى ينزلوا في الروضة، والروضة كانت تُعتبر الميناء لمصر، وفي يوم من الأيام وبعد صلاة العصر قال الشيخ أبو السعود: أين فلان؟ فجاءه، فقال له: اذهب الآن إلى الروضة فإن شيخك عثمان المغربي سيصل إلى الروضة الآن.

كم مضى على ذلك؟

خمس عشرة سنة، فذهب ليستقبل الشيخ، فنزل الشيخ فسلَّم عليه، وقال: جزى الله الشيخ أبو السعود خيراً إذ حفظك طوال هذه المدة.

فهؤلاء هم الرجال، وهؤلاء هم الذين يريدون فضل الله، وإكرام الله، وعطاء الله، لكن الذي يريد الدنيا أو المال أو المصالح فهذا ما يهدم أحوال الطالبين، يقول: إذا لم تذهب مع الشيخ سيحدث لك كذا وكذا!!، وليس هذا نهج الصالحين ولا سبيل المتقين.

مع الشيخ الحصافي

فجاء الإمام أبو العزائم إلى القاهرة وبدأ يزور آل البيت، والصالحين الأحياء، وكان هناك رجلاً من كُمَّل الصالحين في هذا الوقت، وكان اسمه الشيخ حسانين الحُصافي، وابنه الشيخ عبد الوهاب الحُصافي الذي تربَّى على يديه حسن البنا، وكان يقرأ الورد ويحافظ على الحضرة وأصبح نائباً يقود الجماعة، ولكن قاتل الله السياسة والدنيا.

فأُعجب الإمام أبو العزائم بالشيخ حسانين الحُصافي، وتتلمذ على يديه، فالصالح كان لا يكتفي بواحد، فقد تتلمذ على يدي أبيه، وعلى يد الشيخ غانم الخشاب الرفاعي، وعلى يد الشيخ حسانين الحصافي الشاذلي ﷺ وأرضاه.

وهذا مبدأ الصالحين، فسيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ وأرضاه يقول: (إذا انتقل شيخك ولم تكمل تربيتك فابحث عن شيخٍ حيٍّ يُتم تربيتك) النظام هكذا، فالله حيٌّ قيوم لا يصل إليه واصلٍ إلا بحيٍّ قائم.

نحن نزور الأضرحة على سبيل إجابة الدعاء، وتحقيق الرجاء، والبركة، لكن الذي يريد الفتح الإلهي، والوصول إلى الله، والوصول إلى مقام لا يكون بينه وبين حبيب الله ومصطفاه حجاب ماذا يحتاج؟ يحتاج إلى طبيبٍ حيٍّ، لا يحتاج إلى ابن سينا أو الرازي، ولكن يحتاج إلى طبيبٌ عصري حيٌّ، لأنه سيأخذ بيده ويوجهه ويرشده ويظل معه حتى يُحقق له مناه، وتلك هي السبيل التي بيَّنها لنا كتاب الله، وأوصانا بها رسول الله ﷺ.

في محافظة قنا

فانتهى من الأزهر، وكان في هذا الوقت وزير المعارف قد أنشأ كلية أسماها دار العلوم لتخرّج مدرسين، فالتحق بها، وعُيّن مدرساً بعد ذلك في محافظة المنيا، في بلد اسمها المطاهرة، وبنى فيها بيتاً وسكن فيها، وهنا ننظر إلى حال الصالحين، ماذا كان برنامجه؟

كان يقضي وقته في دروس الفقه والأخلاق والعبادات للناس طلباً لله ﷻ.

ويوم الخميس يأخذ صُرَّةً فيها طعامه، وينزل إلى بلد من بلاد الله، ويجلس في المسجد، ويصلي المغرب، ويشرح للناس بما فتح الله ﷻ عليه به حتى بعد حينٍ من بعد العشاء، ويرفض أن يبيت عند أحد، ويبيت في بيت الله، لكي تكون خالصةً لله، ومعه طعامه، وقبل الفجر بساعة يصعد إلى المئذنة ويُوشِّح – وكانت العادة هكذا – وهذه التواشيح أعطاه الله فيها لسان الإلهام، فكان يُلهمه بقصائد إلهية وقتية.

وهذه القصائد طُبع منها إلى وقتنا هذا عشر مجلدات، وكل مجلد حوالي خمس مائة صفحة!، كلها فتوحاتٌ إلهية وإلهامات ربانية.

وكان الله ﷻ يُقيِّض له من يكتبون وراءه، فقد كان يأخذه سبحاً إلهياً، أشبه بغيبوبة، فإذا انتهى ورُدَّ، قال: أعيدوا عليَّ، فيسمع الكلام الذي كتبوه، فما يراه مناسباً للعقول يقول: دعوه، وما يراه تقف عنده العقول يقول: احرقوه حتى لا يحدث فتنة.

فكان يقف على المئذنة يُردد القصائد، وكما قال سيدنا أنس ﷺ:

((مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلا حَسَنَ الصَّوْتِ))[١٢٤]

وهي حكمة الله، أيضاً لا يوجد وليٌّ وارثٌ إلا حسن الصوت، فالأولياء ورثة الأنبياء.

وحُسن الصوت يكون منحة إلهية، وإمداد من الحضرة المحمدية، قال رسول الله ﷺ لسيدنا أبو موسى الأشعري: يَا أَبَا مُوسَى:

{ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ }[١٢٥]

فكان عندما يراه سيدنا عمر يقول له: تعالَى وذكرنا بكلام ربنا، ولا يشبعوا منه، لماذا؟ لأن حضرة النبي منحه مزماراً من مزامير آل داود، لأنها منحة إلهية من الحضرة المحمدية سر قوله ﷺ:

{ اللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }[١٢٦]

ويظلُّ في المسجد حتى يُصلي صلاة الجمعة، ويُعطي درساً بعدها، ثم ينصرف إلى

---

١٢٤ تهذيب الكمال للمزي

١٢٥ الصحيحين البخاري ومسلم

١٢٦ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

بلدته، وكل جمعة في مكانٍ آخر.

هؤلاء هم الرجال الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، وشعارهم شعار الإمام عليّ:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان)

الدعوة إلى الله

بسر هذا الإخلاص يجمع الله ﷻ الصادقين على الخواص، نحن لا نريد منافقين، وماذا نفعل بهم ولو كانوا ملء الكون؟!!، نحن نريد الصادقين ولو كانوا قليلاً.

فبدأ يتجمَّع حوله رجالٌ صادقون، وأيَّده الله ﷻ بتأييده، وبدأ بعضهم يصحبه في هذه السياحات الروحانية الربانية.

وذات يوم كانوا يسيرون بجوار بلدة اسمها سمالوط في شمال المنيا، عند دير في الصحراء، فوجبت صلاة العشاء، وهو كان يقتدي بسيدنا رسول الله ﷺ حيث قال:

{ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ }[١٢٧]

فقال: هيا يا أحباب، وأمر أحدهم أن يؤذِّن، وصلى بهم، وبعد الصلاة بدأ يشرح في آيات من كتاب الله، وكان من عجيب لطف الله أنه كان يشرح الآيات التي تتحدث عن السيدة مريم وسيدنا عيسى، وإذا بالرهبان يخرجون من الدير، ويجلسون حوله يستمعون، وبعدما استمعوا فترة طلبوا منه أن يدخل داخل الدير ويُكمل الدرس، فدخل الدير، وأكمل الدرس، وهذا الدرس استمر إلى مطلع الفجر، وانتهى بأن كبير الرهبان أسلم، وأسلم من معه، وسمى كبيرهم بالجنيد – وقد رأيته – ثم ألهمه الله بقصيدة:

حبيبي قد شرح صدري ... وآنسني إلى الفجر
وأطلعني على معنى ... من الإحسان والسر
وناولني كئوس الراح ... صرفا من يد البدر
وأشهدني تجليه ... وأوصلني إلى الدير
ورقاني إلى أعلى ... مقام القرب والسر
سمعت حنين رهبان ... لدى نظري إلى الزهر

١٢٧ مسند أحمد وابن خزيمة عن أبي ذر رضي الله عنه

وعنـــد شـــهودهم حســـني تمنـــوا يقتفـــوا أثـــري
فكنـــت إمـــامهم لمـــا دعـــاني ليلـــة القـــدر
أدرت الـــراح مـــن يـــدي ودار الـــشرب مـــن بحـــري
ونـــاداني الإمـــام هيـــا أتـــاك الوصـــل بالـــبشر
فقـــم للـــدير يـــا مـــاضي فـــإني قـــد صـــدر أمـــري
تمـــــلي بي وشـــــاهدني ومـــل عنـــدي عـــن الغـــير
وأنـــبئ مـــن يـــرد قـــربي بحســـني حيـــث لا يـــدري

انظر كيف كان الرجال الصادقون يُلهمهم الله ﷻ دعوة الخلق إلى الله ﷻ؟! لأن المرء إذا صدق فإن الله يتولاه:

﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١٩٦الأعراف)

وهو كبقية الصالحين لم يبدأ الدعوة إلى الله إلا بعد أن جاءه رسول الله ﷺ مناماً وأمره أن يدعُو الخلق إلى الله، ولقنَّه صيغاً في الصلوات على حضرته جمعها في أربع فتوحات، سمَّاها (الفتوحات الربانية في الصلوات على خير البرية).

في الإبراهيمية شرقية

بعد أن عمل فترة في المنيا نُقل إلى بلدة الإبراهيمية بمحافظة الشرقية، وأصبحت الدعوة هي غاية بُغيته، وهي سرُّ كل حياته، لأنه جعل حياته خالصةً لمولاه جل في علاه.

فبدأ يُعطي دروساً في المسجد الكبير في الإبراهيمية، والصالحون والعارفون لهم حالات يمكن لكثيرٌ من المريدين أن يتحدثوا عنها على أنها كرامات، وهي فعلاً إكرامات، لكنهم لم يطلبوها ولم يروها، لكنها تأييدات من الله ﷻ.

كيف؟

يعني يبدأ الكلام مع إنسان، فيصادف أن هذا الكلام هو الواقع الموجود عند هذا الإنسان الذي يتحدث معه، أو الواقع الموجود في المجموعة أو في البلدة، وهذه بلا تعمُّل ولا تعمُّد ولا تحضير، وإنما إلهامٌ محضٌ من العلي الكبير ﷻ.

كنت في درس بعد الظهر بإحدى البلاد، وكنت أتكلم عن الميراث وإعطاء الحقوق لأهلها، ثم جاء بعد الدرس رجل من أهل هذه البلدة وقال: أريدك أن تتكلم عن

الميراث وإعطاء ذوي الحقوق حقوقهم، فقلت له: اسأل الحاضرين عن موضوع الدرس!!.

الإمام أبو العزائم كان يتكلم في أحد دروسه في الإبراهيمية عن أن العرب كانوا مشغولون بتحضير الذهب، وأن جابر بن حيَّان أخذ أسرار صناعة الذهب وأسرار الكيمياء من سيدنا جعفر الصادق ﷺ، ولكن هذه الأسرار تاهت مع الأيام فلم يعرف أحدٌ كيفية تحضير الذهب.

وكان هناك رجل من رجال الأزهر أنهى دراسة الأزهر، ولكنه مكث في بلدته ولم يعمل في الأزهر، وفتح دكاناً، وكان شغله الشاغل كيف يصنع الذهب، وكان اسمه الشيخ الصبيحي رحمة الله عليه، فهُيئ له أن الإمام أبو العزائم يعرف السرَّ، فجاءه يريد أن يتعلم كيف يصنع الذهب؟، فأعطاه بعض الأوراد ليشتغل بها، وكلها ذكر لله، وصلاة وسلام على رسول الله، وطاعة لله.

وبعد انشغاله بالأوراد إذا به يعتريه حالٌ يرى به كل ما في محله ذهباً، يأتيه أحدٌ يطلب عبوة شاى مثلاً، فيجد أن الشاي أصبح ذهباً، فيقول له: لا يوجد عندي، فيقول له الرجل: هذا هو أمامك، فيقول له: لن أبيع لك شيئاً!.

فظن الناس أن به جنونٌ، فأمسك به الإمام أبو العزائم وردَّه، وقال له: كيمياؤنا تقوى الله ﷻ، وليست الكيمياء التي تُحضِّر وتصنع بها الذهب، والتقوى يقول فيها الله:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ (الطلاق)

وهذا ما نحتاج أن نعلِّمه لأولادنا، فالذين يبحثون عن الكنوز، ليُصبحوا أغنياء بدون تعب ولا عناء، فهذه هي الكنوز:

(من أراد الغنى فالقناعة تكفيه)

وتقوى الله ﷻ هي الأساس.

ذهب بعد ذلك لدعوة الله:

فعمل في أسوان، وعمل في ادفو.

وبعد ذلك أحب الإنجليز أن يُقلِّصوا المدرسين فأوعزوا إلى وزارة المعارف أن يفصلوا بعض من المعلمين ويكفي الباقي.

في السودان

بعد ذلك طلب السودان بعثة تعليمية، فتقدم الإمام أبو العزائم، وامتحنوه، وذهب إلى السودان، فأرسلوه إلى بلدٍ اسمها (سواكن) في الجنوب، وبجوارها كان لا يزال بعض الناس يعبدون الأوثان، فانتهز الفُرصة وبدأ يجمع حوله بعض المحبين، ويريدون أن يهدوا هؤلاء الناس إلى دين الله ﷻ، كيف يدخلون؟ وكان المبشرين موجودين؟!.

وأصبحت حرباً بينهم وبين المبشرين، والمبشرين كان معهم الإمكانيات المادية، فدخل هو بطريقة أُخرى، فالناس في الجنوب ليس عندهم ملحٌ، وهم يحبون التعدد في النساء، والكنيسة ليس فيها تعدد، فأوعز إلى أحبابه: ستتاجرون مع الله، وتوصِّلوا دعوة الله، وهو سيغنيكم من فضله جل في علاه، فطالما الإنسان سيشتغل مع الله فسيأخذ خيري الدنيا والآخرة إن شاء الله، وهذه حقيقة الله إلى يوم الدين.

فكانوا يأخذون الملح، ويذهبون به إلى الأسواق، ويجلسوا ليتكلموا مع الناس ويعرضوا بضاعة الإسلام، ويرغَّبوهم في الإسلام، ودخلوا لهم من باب تعدُّد الزوجات، والإسلام يأمر بالتعدد، حتى أن الكنيسة الإنجليزية لأول مرةٍ في تاريخها – وهي واقعة موجودة ومرصودة – أخرجت تشريعاً بِحلِّ التعدد لأهل جنوب السودان لمَّا وجدوا أنه لا فائدة، مع أن هذا الكلام منافٍ لهم.

فأكرم الله ﷻ أهل الجنوب على أيدي هؤلاء، وأحب في نفس الوقت أنه يُطهِّر الصوفية من الخزعبلات التي فيها، والسودان بلدٌ كلهم صوفية، وما أكثر الخزعبلات بين هؤلاء الصوفية.

جهاده في الدعوة إلى الله

وبجوار سواكن هناك جزيرة، والذي كان يسكنها في وقته يُعتبر أكبر شيخ في هذه المنطقة، وكان اسمه الشيخ عبد الرحيم السواكني، فذهب الإمام أبو العزائم على أنه زائر – وانظر إلى جهاد الصالحين – وأخذ يتقرَّب إليه إلى أن صار خادمه الذاتي، وهو الذي يُوضئه، وهو الذي يأتي له بالطعام والشراب لينال الحظوة عنده.

وفي يوم المولد النبوي كان يعمل هذا الرجل صُواناً على حوالي مائة فدان، ويصنعون له كرسياً عالياً، وتاجاً، وثوباً مُزركشاً بكل الألوان، ويأتيه الناس من كل أنحاء السودان ليحضروا هذا المولد، وكان له مكانة خاصة، فقال له الإمام أبو العزائم: لو

أذنتَ لي أن أقول كلمة في الميكروفون، فقال له: تفضَّل لا مانع، فأمسك بالميكروفون وبدأ بالكلام، وكان عندما يتكلم يتغنَّى بكلام الله، ويتغنَّى بالمواجيد، فهو أسماها مواجيد ولم يُسميها قصائد، وقال فيها: (راح قدسٍ قصائدٌ من قصودي) يعني مواجيد عن وجد.

وأثناء الكلام صرخ الشيخ عبد الرحيم السواكني، وقال له: أأنتَ الذي أبحثُ عنه منذ عشرين سنة، وتعمل نفسك خادماً لي وتُوضئني؟!! وخلع ما عليه – وهذا هو الصدق مع الله – وتبع أبا العزائم، وهذا كان فيه إصلاح لكل من حوله ليمشي على النهج القويم، والمنهج المستقيم، والتصوف الذي لا يخرج عن الشرع الحكيم، فإذا وعيَ الرأس فسيُصلح الكل بعد ذلك.

حتى أنهم قالوا أن الشيخ عبد الرحيم بعد ذلك كان لا يستطيع أن يجلس في مجلس فيه الإمام أبو العزائم لأنه لا يطيق أن ينظر في وجهه من الحياء، وأنشد فيه قصائد وقال فيها:

وإذا الجبال تزحزحت عن أرضها ... عن حب ماضي العزم لا نتحوَّلُ
وحيُ السماءِ مُنزَّلٌ ببيوتنا ... وحقائق الآيات عنا تُنقلُ
وإذا تجلي بالجمال حبيبنا ... في الأوليا فلنا المقام الأول
قل للحسود اخسأ فإنك جاهلٌ ... بجنابنا يتوسَّل المتوسلُ

ثم نقلوه إلى وادي حلفا شمال السودان، ووادي حلفا كانت مشهورة بالخمر والمسكرات والملاهي، والمساجد خالية، فماذا يصنع أبو العزائم؟

ذهب للخمارة لأول مرة، وكان هناك مدير عام للسكة الحديد في السودان وكان اسمه كمال، وجلس على المنضدة بجواره، فأشار إلى الجرسون وقال له: هات شاي للشيخ، فقال له الشيخ: لا، هات خمر، وهات معها كبدة نية، فجاء له بالخمر وجاء بالكبدة، فصبَّ الخمر على الكبدة فتفحمَّت، فقال له: انظر كيف تصنع بنفسك؟ وأخذه من الخمارة إلى المسجد، فمشى على هذا المنوال، حتى أن أصحاب الخمَّارات عرفوه.

انظروا كيف كان الدعاة إلى الله يكابدون ويجاهدون؟! فالدعوة إلى الله تحتاج إلى ذلك، لأن من في المساجد مهديين، ولكن من يجلسون في الغُرز، والجالسون في المقاهي، والجالسون في الملاهي يحتاجون أن يذهب إليهم الدعاة ويدعونهم، ولكن باللين والحكمة والموعظة الحسنة.

لكن لو قال لهم: كلكم داخلين جهنَّم، سيضربوه أو يطردوه، لكن الله قال لموسى وهارون:

﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ (٤٣-٤٤طه)

علَّم الإمام أبو العزائم أبناءه هذا المنهج، ولذلك ذهب أحد تلاميذه إلى بورسعيد في شهر رمضان ليُحيي ليالي شهر رمضان، وكانت مدينة بورسعيد وإلى وقتنا هذا تشتهر بالمقاهي، ويجلسون فيها إلى الفجر، فوجد الأحباب هناك قد عملوا له جدولاً بالمساجد، فقال لهم: وماذا أصنع بالمساجد؟ أنا أريد جدولاً بالمقاهي في البلدة، ويأتي معي واحدٌ فقط.

فكان يذهب للمقهى ويجلس وبجواره رفيقه ويتحدث معه بصوتٍ عالٍ، فمن كان بجواره يتقرَّب ليسمع، والآخر يقترب ليسمع، وغيره، وبعد ذلك يوقفوا اللعب بالطاولة والدومينو والكل يسمع، فيصعد على الترابيزة ويتكلم، والكل يسمع، ويظل معهم على هذا الحال حتى يقول لهم: أدركوا السحور.

اليوم في هذا المقهى، واليوم الثاني في مقهى آخر ،وهكذا حتى يأخذهم إلى الله ﷻ.

فهذا جهاد الصالحين، يذهبون للناس المساكين في أماكنهم، ليشدُّوهم لرب العالمين ﷻ، لكننا لو انتظرنا حتى يدخلوا المساجد، فمتى يأتون المساجد؟! حتى من يأتي إلى المسجد الآن فلا يأتي إلا عندما يُقال: قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، حتى في يوم الجمعة، فماذا سمع؟! لا شيء.

فإذا قامت الأوقاف بعمل دروس في المساجد فلا تجد من يجلس في المسجد لسماع الدرس، وماذا نحتاج؟ أن نذهب إليهم لنشدُّهم إلى الله ﷻ، فإذا صدقت النية وأخلصنا الطوية فإن الله ﷻ سيُحقق لنا الأمنية، وسيُمكِّنه الله من تحقيق مناه، ويكفيه شرفاً وفخراً قول حبيب الله ومصطفاه:

{ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ }[١٢٨]

هل يوجد أحدٌ من هؤلاء:

---

١٢٨ البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (﴿٣٣﴾فصلت)

بعد ذلك طلبت كلية الشريعة في الخرطوم أستاذاً للشريعة فتقدَّم وعمل أستاذاً للشريعة وكان إسمها (جامعة غُردون) باسم القائد الإنجليزي الذي كان هناك.

فذهب للخرطوم وعاش بها، وأخذ يُحيي بالمساجد الكُبرى فيها بما فتح الله ﷻ به عليه، والخرطوم يُسمونها العاصمة المثلثة، لأن فيها الخرطوم البحري، والخرطوم القبلي، وفيها أم دُرمان، فكان في المسجد الكبير في أحد هذه البلدان يقوم بتفسير القرآن الكريم، وفي بلد آخر يشرح فيها صحيح البخاري، والمسجد الكبير الثالث كان يشرح فيه الحِكَم لسيدنا أحمد بن عطاء الله السكندري.

وللأسف كل هذه العلوم شبه ضاعت وغير موجودة، فهذا تراثٌ أضاعه ناقلوه، ولم يحافظوا عليه، وهذا أيضاً لحكمة إلهية يعلمها رب البرية ﷻ.

موقفه من الحرب العالمية الأولى

وفي هذا الوقت كان الإنجليز يحكمون مصر والسودان، وكانت الحرب العالمية الأولى، وكانت تركيا ضد تحالف الإنجليز والفرنسيين ومن معهم، وكانت تركيا مع إيطاليا وألمانيا، والإنجليز وصلوا للشريف حسين وكان حاكماً لبلاد الحجاز، وكان مقر حُكمه في مكة، وكان يحكمها الشرفاء، والشريف حسين من ذريته ملوك الأردن الآن.

فذهب الإنجليز إلى الشريف حسين وأقنعوه بأن يتحالف معهم ضد الخلافة العثمانية وضد تركيا.

والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يُعطينا وظيفة الداعي الإسلامي الصحيح في مثل هذه الأمور، فلا بد أن يكون له دور في ايقاظ الوعي الإسلامي وتنبيه المسلمين إلى مكايد الكافرين والمشركين والأعداء الذين يُريدون ضُرَّاً للإسلام أجمعين.

فسافر على أنه ذاهب إلى مكة لأداء العُمرة، وهو ينوي أن ينصح الشريف حسين، فذهب وقابله وطلب لقاءه على انفراد وأوصاه ونصحه أن يقف مع الدولة العثمانية لأنها دولة مسلمة، ولا يقف ضد المسلمين، ولا يستجيب للإنجليز !!

وفي نهاية اللقاء اتفق معه أن يكون هذا اللقاء سرّاً لا يعرف به أحد.

وبمجرد أن عاد الإمام أذاع الشريف حسين ما دار بينهما، فبدأ الإنجليز يضعون الإمام أبو العزائم ﷺ تحت مراقبتهم، وعرفوا أنه ضدهم وليس معهم.

فحاولوا أن يستقطبوه في السودان بالهدايا وبالملاطفات وبالخطابات وبالمُغريات، ولكن هؤلاء القوم لا يخشون إلا الله:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ (٣٩الأحزاب)

فاستدعاه الحاكم الإنجليزي في السودان وقال له: لماذا تقف ضد الإنجليز؟ فقال له الإمام: هل ترضى أن تخون وطنك انجلترا؟ فقال له: كيف أخون وطني وأنا رجلٌ مُثقف ومتعلمٌ، فقال له: وكيف أخون وطني وأنا مُعلِّم؟!!.

فقام الحاكم بعمل اجتماع كبير في نادي الضباط، ودعا الإمام أبو العزائم، فرفض أن يحضره، وذهب إلى المسجد الكبير وأخذ يُفسِّر قول الله ﷻ:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢٢المجادلة)

فكانت النتيجة أن الإنجليز أصدروا قراراً بإقالته من وظيفته، وعدم التصريح له بأي عملٍ حكومي، وأن لا يُصرَّح له باستخدام أي وسيلة مواصلات تحمله، أو تأذن له بالركوب فيها، وأن تُحدَّد إقامته في بلدته المطاهرة في المنيا، وأن لا يُغادرها هو وأسرته.

فانظروا إلى جهاد الأولياء والصالحين، وكان يأخذ أموره كلها بالله، فرأى أن في هذا فتحٌ، فكان كلما نزل ببلدٍ ينزل على مسجدها، ويُلقي الدروس التي تُنبِّه الناس وتعرِّفهم بدين الله ﷻ.

إلى أن وصل إلى المطاهرة، واستقر بها، والله ﷻ يُسبِّب الأسباب للصالحين، لأنه لا يتخلَّى عنهم في كل وقتٍ وحين.

وكان من الذين اعتقدوا فيه واتبعوه وتربوا على يديه رجلاً من كبار أعيان الصعيد

اسمه محمد محمود باشا، وكان قد تقلَّد رئاسة الوزراء، وكان من كبار أهل الصعيد، وكان رجلاً في غاية الأدب، لمَّا حدث ما حدث، قام بعمل عقد وسجَّله حُجَّة في الشهر العقاري بمائة فدان للإمام أبي العزائم، وقال له: يا مولانا لتُنفق منهم على الأحباب وعلى طريق الله ﷻ، فهؤلاء هم المريدون الصادقون، ولأن الصالحين عندهم عزّة نفسٍ كساهم بها رب العالمين، فقال له: ما هذا؟ فقال: له كذا، فقال له: أُنظر خلفي، فنظر خلف الإمام أبي العزائم فوجد خزائن كخزائن البنك القومي كله، ثم قال: من كان عنده هذا فهل يأخذ هذا؟! ورفضها ﷺ وأرضاه.

فهذه أحوال الصالحين، تُعرض عليهم الدنيا فيأبوها لأنهم لا يريدون إلا وجه الله جل في عُلاه.

بعد ذلك كلَّم محمد محمود باشا المسئولين وقال لهم: أنتم لن تستطيعوا مراقبة هذا الرجل جيداً إلا وهو في المدينة – وهذا مخرج لطيفٌ – فاتركوه يذهب للقاهرة فيكون تحت مراقبتكم مباشرة، فتكون المراقبة أشدُّ، لأنهم كانوا مريدين نُبهاء يفكرون بما فيه المنفعة والمصلحة لدعوة مشايخهم.

فأذنوا له أن يأتي للقاهرة، والوجهاء في هذا الوقت كان عندهم خير غير أغنياء زمننا هذا، فالكثير من أغنياء زماننا هذا لأنهم حصلوا على الغنى من السُحت لا يوفقهم الله لإنفاق هذه الأموال في الخيرات.

ولأن هؤلاء كانوا يجمعون هذا المال من حلال، أو وراثة وهو أشد الحلال، فمنهم من كان يُنشئ معهداً دينياً أو أكثر، ومنهم من يبني مستشفى، ومنهم من يبني مسجداً، ومنهم من كان في كل موسم يذبح ثلاثة أو أربعة عجول ويوزِّعهم على الفقراء والمساكين، ومنهم من كان يُنفق على طلاَّب العلم ... فكانوا كلهم خيرة، ومنهم أُناسٌ في زماننا هذا ولكنهم أقل من القليل، فمنهم رجلٌ كان رئيساً لوزراء لبنان وهو رفيق الحريري، فقد أنفق على عددٍ لا يُعد ولا يُحد على أبناء لبنان حتى حصلوا على أعلى الشهادات الجامعية على نفقته الشخصية.

لكن الآخرين مساكين، فقد استولوا على أرض المساكين بملاليم من الدولة، وجلبوا أرضاً بقروض أيضاً من أموال الفقراء من الدولة، وعملوا مشاريع وخرجوا ولم يُسددوا الديون التي عليهم للبنوك، فكانت النتيجة أنهم لا يُوفقون لإنفاقها في الخيرات أبداً.

في القاهرة

فكان رجلاً من الأعيان قد وصل إلى رتبة فريق في الجيش، وكان عنده سرايا ضخمة فوهبها للإمام أبي العزائم ﷺ وأرضاه لتكون مقرَّاً لدعوته.

وهذه السرايا بين شارع مجلس الشعب وشارع بورسعيد، والتي فيها الآن مسجده، ومقر المشيخة، وبعض العمارات لورثة الإمام، لأنها كانت مساحة ضخمة، وكانت تدخلها عربات النقل مُحمَّلة بما يحتاجه المسلمون من المأكولات والمطعومات، وكان كل العمل لوجه الله، والناس كانوا يسارعون في الخيرات كلها لإعانة الصالحين على إبلاغ دعوة الله.

فاستقر الإمام أبو العزائم في هذا المكان ..

وأكرمه الله ﷻ وعمل في جزءٍ من المبني مطبعة أسماها (مطبعة المدينة المنورة) يطبع منها كُتبه، ومجلاته ...

فعمل أولاً مجلة اسمها (السعادة الأبدية) وبعدها غيَّر اسمها وسماها مجلة (الفتح) وبعدها غير اسمها وسماها: مجلة (المدينة المنورة).

وهذه المطبعة هي التي كانت تطبع المنشورات السرية في ثورة ١٩١٩م لثوار سعد زغلول ورفاقه، لأنها كانت حرباً على الإنجليز أينما ذهبوا، وأينما ولُّوا، لأنه لا يوجد من ظلم سكان الأرض أكثر من بريطانيا وأهل بريطانيا.

فكانت المملكة التي لا تغيب عنها الشمس، وكل هذه الثروات أخذوها من هذه الشعوب وهذه البلاد.

القذافي كان كلامه صادق في هذه الجزئية فكان يقول: نحن نريد أن يردُّوا لنا هذه الثروات التي أخذوها منا، وهذه حقيقة !!

فقد قامت أوروبا كلها على أكتاف الثروات التي أخذوها من هذه الشعوب، إن كان إنجلترا وفرنسا وألمانيا وغيرهم، حتى البرتغال وأسبانيا قاموا على أكتاف هذه البلاد، فذهبوا إلى هذه البلاد واستولوا على ثرواتهم، يأخذونها مواد خام ويصنِّعونها، وأصبح لهم سوقاً تجارياً، ثم يبعيونها لهم بأغلى الأسعار، والمغامرين منهم هم من قاموا بإنشاء مصانع عندنا، وعبد الناصر أمَّم بعضها.

فكانت حرباً لا هوادة فيها على الإنجليز !!

والإنجليز أحسُّوا بهذا الأمر، فاعتقلوه وأخذوه لكي يضعوه في قصر النيل !

فأصرَّ أحبابه أن يذهبوا معه، فلم يستطيعوا منعهم فذهبوا معه ! ..

فلما وجدوا أن الأمر كذلك، وكلمهم بعض الأحباب الخارجيين وهم رجال السياسة، وقالوا لهم: هذا رجل دين، والدين له حُرمته، وأنتم الآن ستدفعون الناس لثورة عليكم، فاضطروا للإفراج عنه.

كان في هذا الوقت الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه – وسبحان الله – له اتصال بكل المجاهدين المسلمين في كل أنحاء العالم، عن طريق المكاتبات، ولم يكن في ذلك الوقت غير المكاتبات:

فأرسل إلى الهند وباكستان، فكان في باكستان شوكت علي، وأبو الحسن الندوي وغيرهم، وإخواننا الذين يقومون بالثورة في المغرب عبد الكريم الخطابي، وعبد القادر الجزائري، وأيضا القائمين بالثورة في إندونيسيا أحمد سوكارنوا وغيره ...

وكان على صلة بهم جميعاً.

وكانوا يأتون إليه سراً ليزوروه ويلتقوا بهي..

وأحياناً إخواننا في الهند، والذين يسافرون لإنجلترا ذهب إليهم سراً وقابلهم والتقى بهم وهم في السفينة ليتحدث معهم ويكلمهم، لأنه رجل الدين، وليس لرجل الدين أن يتخلى عن دوره في الوطنية، لأنها مسائل وطنية.

وهذه المكاتبات كان يجمعها عنده في غرفته الخاصة في صندوق خاصٌ به .

ولما أحسَّ الإنجليز بهذه الموضوعات من المنشورات وغيرها، هاجموا بيته ليبحثوا عن هذه المنشورات، وانظر إلى تأييد الله للصالحين، فقد كان له كرسياً في حجرته وبجواره الصندوق، فجلس على الصندوق، وقال لهم: فتشوا كما تريدون، وهو يجلس على الصندوق، ففتشوا فلم يجدوا شيئاً وانصرفوا:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج)

وبعد ذلك حدث في تركيا أن كمال أتاتورك أساء إلى الدين:

فألغى الأذان !! وألغى مدارس القرآن الكريم ..!!

وألغى أجازة الجمعة وجعلها يوم الأحد !!

وقال: نريد أن نعيد تركيا إلى النظام الأوروبي والعلمانية، وأشاع التبرُّج، وأشاع الخمر، وكان أصله يهودي من يهود الدنما، وقد وصل إلى رُتب في الجيش واستغل سلطته، وطرد السلطان عبد الحميد وهو آخر السلاطين العثمانيين.

ومع ضعف السلطان عبد الحميد إلا أنه رفض أن يُعطي لليهود وعداً بوطن قومي لهم في فلسطين، وحاولوا معه وأغروه بالأموال وغيرها فرفض، فكانت النتيجة أن سلَّطوا هذا الرجل وهو كمال أتاتورك ليستولوا على فلسطين.

فبدأ الإمام أبو العزائم ينادي: يا جماعة نحن الدولة الإسلامية لأكثر من مائة سنة، وصحيح أن منصب الخلافة فقد هيبته ولم يعد للخليفة الذي يؤدي هيبةً كما ينبغي في منصبه، ولكن يكفي أنه كان جامعاً للمسلمين، فنريد أن نعيد الخلافة مرةً ثانية لنجمّع المسلمين.

سمع بهذا الكلام الملك فؤاد، والذين حوله قالوا له:

هذه فرصة لأن تكون أنت الخليفة، وخاصة أن الدعوة من مصر، فأراد أن يتكلم مع الإمام أبو العزائم في هذا الموضوع، فأرسل رئيس ديوانه الملكي، وقال له: أن الملك يريدك، فرفض، فسأله لماذا؟ فقال:

إن قوماً فقدوا الإسلام في أنفسهم وأهليهم كيف يعطونه لغيرهم؟! ما له وما للخلافة الإسلامية؟ فهو نفسه لا يمشي على المنهج الإسلامي.

وذهب إلى الحج، ورأس زعماء العالم الإسلامي الذين كان على صلة بهم، لأن هؤلاء هم القادة، وعمل مؤتمراً عاماً للخلافة الإسلامية.

فجاء الملك عبد العزيز آل سعود وأراد أن يكون هو الخليفة، فلما رأى الإمام أبو العزائم أن الأمور دخلت فيها الأغراض الشخصية والأهواء الذاتية، انسحب من هذا الأمر وتفرَّغ بعد ذلك لدعوة الله ﷻ ورسوله ﷺ.

دعوته

وبدأ بعد ذلك يضع سياحاته في كتبه وفي مجلاَّته للدعوة التي ركَّز فيها على اليقظة الإسلامية، لأن المسلمين كانوا غافلين، فأراد أن ينبههم لحقيقة الدين، وإلى الجمع، وإلى الفُرقة التي سببها الإستعمار وغيره.

فبدأ في هذا المجال:

وكان الله ﷻ يؤيده في ذلك، وكان من ضمن الأعاجيب في هذا الباب أنه كان يرى أن الإسلام لن يكون له شأنٌ إلا إذا وضع المسلمون هذه المبادئ الثلاثة تحت أعينهم، أن الإسلام هو الدين، وأن الإسلام هو الوطن، وأن الإسلام هو النسب.

آفة الآفات التي كانت في هذا الزمن وفي كل زمان هي الفُرقة بين المسلمين، فوضع لها كتاباً سمَّاه: (الشفاء من داء التفرقة) لأن سبب المشاكل كلها الفُرقة، فقالوا له: يا مولانا نريد أن ندخل في الطُرق الصوفية، فقال لهم: هل تريد يا بني أن نزيد الطُرق طريقة؟! فهي طريقة واحدة إلى الله:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (١٥٣الأنعام)

فسجلها كجمعية وأسماها: (جمعية آل العزائم).

ولكنه اضطر لتسجيل الطريقة، وهذا بسبب أمرٌ قد حدث، وكان أمراً غريباً:

فكان للإمام أبي العزائم أخاً أصغر منه وكان إسمه محمود، وكان قد جُذب إلى الله ﷻ، وكان في المطاهرة ..

فوصل به حال الجذب إلى أن الإمام أبو العزائم وهو في السودان كان يُملي القصيدة، فيُمليها محمود على إخوانه في الوقت والحال!!.

وفي حالة الجذب هذه حدث له حالة ولَه، فأُخذ ولم يدر بالدنيا من حوله ولا بالمظاهر، فيأتي شهر رمضان فيُفطر، ولا يُصلي عند وقت الصلاة، فحاول الإمام أبو العزائم أن ينصحه أكثر من مرة، وبلا فائدة.

والمصيبة أن الناس يميلون إلى متابعة هذه الأصناف !!

لأنهم يُيسرون لهم الأمر!!

فلا يريد أن يُصلي ولا يصوم ولا شيء من ذلك، ويريد أن يدخل الجنة بغير حساب، وهي مصيبة كبيرة، فوجد حوله هؤلاء، وذات مرة قال له: يا محمود أأتركهم مؤمنين وأرجع أجدهم كافرين؟!.

فلما زاد الأمر ولم يجد فائدة، اضطر إلى أن يُسجل هذه الطريقة الصوفية، ولذلك سجَّلها قبل وفاته بسنتين، ليُعلن البراءة من أفعال هؤلاء، لأنهم كانوا منتسبين إليه، يعني تابعين لأبي العزائم، ولأن محمود كان يقول: أنا أخوه، ولأنهم أساءوا إلى الدين وأساءوا إلى الله ﷻ.

ومازال منهم بقية هناك في المطاهرة إلى وقتنا هذا، ويمشون على الباطل إلى الآن، وللأسف فقد ذهبت إلى هناك ذات مرة، فرأيتهم قد صنعوا له ضريحاً كبيراً جداً، وعندهم عقيدة أن محمود هذا سيُبعث في آخر الزمان، يعني كمثل المهدي المنتظر.

وسبحان الله!!

الباطل يمُدُّه الله، فأرسل لهم رجلاً كان فقيراً، فتاجر في الحديد الخُردة، واغتنى غناءاً زائد عن الحد، فضحكوا عليه فبنى لهم هذه الضريح الكبير جداً، وكانت الثُريَّا – (النجفة) – التي وضعها في الضريح ثمنها ستة ملايين دولار في هذا الوقت من أمريكا.

لأن الباطل يُغري كما قال الله في القرآن:

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ (المائدة ١٠٠)

ولذلك أتباعه يزيدون، لماذا؟

لأن ذلك يعجب الناس.

فهذا الذي جعله سجَّل الطريقة العزمية الشاذلية !!

لأنه شاذلي أباً عن جد.

وأيضاً أخذ عن الشيخ حسانين الحُصافي الطريقة الشاذلية.

وإن كان الله خصَّه بأورادٍ خاصة به، وصلواتٍ خاصة به فهي خصوصية من الحضرة المحمدية، ولكنها في الأصل طريقة شاذلية.

دوره الصوفي

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه كان له الدور العظيم في المجال الصوفي:

لأنه جاء في عصر كان يسيطر على الصوفية الخزعبلات والخرافات والأوهام والخدع، والمشايخ جعلوا الطرق وسيلة للاسترزاق!!!

والمريدون أصبح ما يصلهم أنه ما دام أحب الشيخ فلان فقد ضمن الجنة، حتى ولو ترك الصلاة والصيام، فكانوا يقولون (حِب ونام!!).

ولذلك قمت بعمل كتاب عن الإمام أبي العزائم، وهو أول كتاب شامل عن الإمام أبي العزائم، وكان أول كتاب لي، وكان فيه تأييد من الله ﷻ، والحمد لله كنت حتى الأماكن التي أذكرها في السودان وغيره كان يريني الله إياها في عالم المنام! ..

وسميته (الإمام أبو العزائم المجدد الصوفي) لأن كلمة مجدد كلمة شاملة، ولا يستطيع أحد أن يجدد في كل شيء، فهناك من يجدد في السياسة، ومن يجدد في القانون، وكان هو تجديده الأشمل في المجال الصوفي.

وفي سبيل هذا التجديد قام بعمل دعوى لكل مشايخ الطرق في عصره، وصنع لهم وليمة عظيمة، وجهز لهم أفخر الطعام، وبعد أن انتهوا وقابلهم بكل ترحاب قال لهم: لي كلمة واحدة، قال الله تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ﴾ (١٥٣الأنعام)

فلا يوجد طرق عند الله، والطريق واحد، وأنا أريدكم أن تتفقوا على واحد منكم، ونتنازل له عن المشيخة كلنا، ويكون هو شيخ الطريق، وحتى لا تقولوا أنني جمعتكم لأكون أنا شيخ المشايخ، فسأترككم ساعتين لتختاروا أحدكم شيخاً، وأنا سأكون خادم حذاءه.

وبعد فترة جاءه بعض المريدين وقالوا له:

أدرك فالمشايخ يتشاجرون بالأحذية، فسألهم: هل اتفقتم؟ فقالوا:

اتفقنا على أن لا نتفق!!، لأن الأمور دنيوية، فكيف يتركون هذه المكاسب؟!!

فالمشيخة فيها أُبَّهَة، والشيخ راح، والشيخ جاء، فلِمَ يتركون هذه المشيخة؟!.

فالإمام أبو العزائم عمل ما عليه، لأنه كان يريد أن يجمع شمل المسلمين على

الخلافة الإسلامية، وجمع الصوفية على إمام واحد لتنقية الطُرق الصوفية من مهاتراتها.

فركَّز على الأحباب، وأتي لنا بالمنهج الصوفي المخالف لسائر الطُرق الأخرى، فالطرق الأخرى كانت في هذا الوقت ولا تزال إلى وقتنا هذا تعتبر الرجل صوفياً إذا كان مبتذلاً في ملبسه، وغير مهتم بمظهره ومخبره، وإذا كان عندما يأكل يسيل لعابه على ملابسه، فهذا عندهم صوفيٌ عظيم ويطلبون منه الدعاء.

وإذا كانت ملابسه متسخة، أو مقطعة فهذا رجلٌ مجذوب وله كرامات عظيمة عند علام الغيوب، ولا يزال الناس عندهم هذه العقيدة إلى وقتنا هذا.

وإذا كان تاركاً لزوجته وأولاده، يقولون لزوجته: هذا رجل ترك الدنيا كلها، ويسير مع الله، ويمدحون فيه مع أن الدين يذُّم فيه.

فطهَّر التصوف من هذا الكلام كله، وقال لنا: ((تزوجوا أجمل النساء، والبسوا أفخر الثياب، وكلوا ألذَّ الطعام، واشربوا أهنأ الشراب، على أن يكون ذلك من حلال، وأن تشكر الله بعد ذلك على نعمه)) ..

فلِمَ تُضيِّق على نفسك؟ وهل ديننا حرَّم ذلك علينا؟!

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴾ (٣٢الأعراف)

ما دام الرزق طيباً وحلالاً أحلَّه الله فلم تُحرِّمه أنت.

هؤلاء المرووشين كان الشيخ محمد علي سلامة رحمة الله عليه يقول فيهم: هؤلاء يا بني ليسوا بمجاذيب، فمن يمشي حافياً، أو يمشي عُرياناً فهؤلاء قُواهم العقلية فيها نقصٌ، لأنه لو كانت القوة العقلية سويَّة فلن يفعل ذلك، وهم مخابيل ونحن لا نقتدي بهم، ولكن نقتدي بالرجل الكامل العالم العامل الذي يمشي على شرع الله جل في عُلاه.

فواحد منهم ذهب للشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه وقال له: لِمَ تتركهم يُبرِّدُون لك الماء؟ والمفروض أن تشرب الماء ساخناً؟ فقال له: يا أخي أنا إذا شربتُ الماء البارد أحمد الله بكل جوارحي، وإذا شربتُ الماء الساخن أقول: الحمد لله بكذاذة نفس، وأنا مُتضررٌ لذلك، فأيهما أحسن؟ أحمد الله بكل الجوارح، أم أقول: الحمد لله وأنا متضايق ومُتضرر؟!

وهؤلاء أساطين الصالحين، فسيدنا أبو الحسن الشاذلي كان يلبس أفخر الثياب، ويأكل أحسن الطعام، وهذا بعد مرحلة الجهاد الأولى لنفسه.

وكان على هذه الوتيرة الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه، فأول من اقتنى السيارات في عصره كان هو من جملتهم، وهذه السيارات كانت لإبلاغ دعوة الله، فبدلاً من أن يتنقل من موقف سيارات إلى آخر، فكانت السيارة تُعينه على الدعوة، لأنه يضرب القدوة للآخرين الذين يدعون للتقشف والزهد.

وهذا حتى بين بعض إخواننا، يقول: أنا لا أركب القطار المكيف، لأن ذلك إسراف، ولا أركب إلا قطار الدرجة الثالثة، ونحاول أن نفهمهم ولا فائدة، ويُهيئ له أن هذا هو التصوف، وهذا هو الزهد.

لكن الزهد عندنا هو زهدٌ قلبيٌ، وهو أن يزهد الإنسان في غير الله، وفي أي خاطر لا يقربه إلى مولاه، ولكن إذا أعطاه الله النعمة:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبَّ أَنْ يَرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ }[١٢٩]

فكان هو من أول الناس الذين جلبوا السيارات في مصر، وعيَّن لها سائقاً، والسائق كان نصراني وأسلم على يديه، وسمَّاه صُهيب الرومي، وذات مرة من المرات قال له: يا صُهيب زُر أُمك التي أرضعتك لبن الإسلام.

فتحيَّر، وذهب إلى أُمه، وسألها: من التي أرضعتني وأنا صغير؟ قالت له: يا بني عندما ولدتُك أُصِبتُ بمرضٍ فلم ينزل اللبن، وكان لنا جارة مسلمة فهي التي أخذتك وأرضعتك، فعرَّفه السر الذي جعله يُسلم، ونحن نستهين بهذه الأمور.

سيدنا الإمام الحسن البصري المشهور بالزهد والورع ﷺ وأرضاه أُمُّه كانت خادمة عند السيدة أُم سلمة زوجة النبي ﷺ، والسيدة أم سلمة كانت قد تجاوزت الثمانين، وأمه كانت تعمل، والولد يبكي فتحاول السيدة أم سلمة أن تهدئه فتعطيه ثديها، فنزَّل لبن بعد الثمانين، فقالوا: الرضعات التي رضعها من أُم سلمة هي التي أعطته الفقه والورع والدين الذي اشتهر به بين الناس، لتعرفوا أثر رضاعة لبن الأم.

فكان الإمام أبو العزائم معه السائق، ومعه السيارة، لماذا؟

لدعوة الله ﷻ.

---

١٢٩ جامع الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

وأول ما أن اخترعوا النظارات الشمسية، فكان الإمام أبو العزائم عنده واحدة، لنعرف أن هذا ليس من الزهد والورع، فلِمَ أترك الأشياء العصرية مادام لي فيها مصلحة؟! فالنظارة تمنع أذى الشمس، وحرارة الشمس، فما المانع فيها! لكن الأشياء التي حرمَّها الإسلام : هي التي ليس لي فيها منفعة أو يقع عليَّ بسببها ضررٌ .. لكن ما دام فيها منفعة لي فلِمَ أُحرِّمها؟ ولِمَ أمنعها؟

ومشى على هذا الأساس الإمام أبو العزائم ﷺ في تربية المريدين.

فربَّى المريدين على المنهج الصحيح الإسلامي:

وهو أن أُعطي كل ذي حقٍ حقه:

فتُعطي زوجتك حقها، وتُعطي لأولادك حقهم، وتُعطي لعملك حقه، وتُعطي لربك حقه، ولجيرانك حقوقهم، وللوالدين حقهما، ولذوي الأرحام حقوقهم.

وأكمل الناس قياماً بالحقوق وليس عندهم عقوق هم نحن، ولذلك عندما أجد أخاً من الأحباب عنده عقوق أعجب منه، لأن الدين عندنا أكمل ما فيه هو القيام بالحقوق لأصحاب الحقوق.

فإذا أنهيت هذه الأمور:

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ (الشرح)

لكنك تعمل ولا تهتم بزوجك، مع أن سيدنا رسول الله كان يستأذن من زوجته في أن يقوم الليل، لماذا؟ لأن لها حق فهي ليلتها، والدين هكذا، ... وعندما كلمها بالأسلوب اللطيف الطيب صرَحَّت له.

فالإسلام هو القيام بكل الحقوق ..

وأكمل أعمال المؤمن التي تُقربه إلى الله هو القيام بالحقوق التي أوجبها علينا الله، وبيَّنها لنا رسول الله ﷺ.

فهذه الحقوق عندما نقوم بها فقد وصلنا إلى المراد !!

وماذا عن المجاهدات في الصلاة والصيام والحج وتكراره، ومثل هذه الأمور؟ هذه عبادات، وهؤلاء اسمهم العابدون !!

لكننا نحن العارفون، وهل العابدون كالعارفين؟ لا، هناك فرقٌ كبير !!

فالعابدون آخر شيء لهم الجنة:

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ (٢٣الرعد)

أما العارفون فأول شيء لهم فوق الجنة !! وهو مقام الرضوان:

﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ (٧٢التوبة)

أرأيتم الفرق بين الإثنين:

فمقام العابدين غير مقام العارفين، فلا بد أن نُمَيِّز بين الإثنين.

فهذا منهج الإمام أبي العزائم الذي نحن سائرون عليه:

وأساسه الأول العلم ثم العمل.

وظل ﷺ يجاهد في تصحيح المفاهيم الإسلامية ونشر دعوة الله ﷻ بلا كلل أو ملل، حتى وافته منيته ..

فانتقل إلى جوار ربه في ليلة الإسراء والمعراج وهي نفس الليلة التى ولد فيها.

وكان ذلك في يوم السابع والعشرين من شهر رجب ١٣٥٦هـ الموافق السادس من أكتوبر ١٩٣٧م، عن عمر يناهز ٧٠ سنة ..

قضاها كلها في طاعة الله ﷻ.

وقد دفن ﷺ ببيته وفي موضع خلوته بناء على الوصية الخاصة التى وصى بها في ذلك، وتحول هذا المكان ببركته إلى مسجد كبير يشع منه النور والمعرفة والهدى إلى جميع المسلمين

نسأل الله ﷻ أن يجملنا بجمال العلماء، وأن يُؤتينا حكمة الحُكماء، وأن يفتح علينا بما فتح به على العُرفاء، وأن يجعلنا من الذين ورثوا مقام حُلماء عُلماء فُقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٠ الشيخ محمد علي سلامة

رضي الله عنه[١٣٠]

الحمد لله الذي أنعم على أوليائه بدوام طاعته، وأعانهم على ذكره وشكره وحُسن عبادته، وهيأ قلوبهم لأنوار حضرته، وجعلهم نجوماً مشرقةً للصالحين من بريته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد غوث الأنام ومفتاح الظلام، والشفيع الأعظم للخلائق يوم الزحام، ورضي الله تبارك وتعالى عن أصحابه الكرام، وورثته العلماء العاملين، والصديقين والشهداء والصالحين، وكل من سلك طريقهم وتمسك بهديهم إلى يوم الدين، .. آمين آمين يا رب العالمين.

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ (٢٣الأحزاب)

لأهـــل الله أسرارٌ خفيـــة ... وأحـــوالٌ تُـــرى فـــيهم عليـــة
وأنـــوارٌ تُـــرى مـــنهم جهـــاراً ... يـــرون بهـــا حقـــائقهم جليـــة
وعلـــمٌ غـــامضٌ يُعـــطى بفضـــل ... لأنهـــم تهنـــوا بالمعيـــة
معيـــة ربهـــم حـــال الـــتجلي ... بأفئـــدة مـــن الـــدنيا خليـــة
صَـــفُوا لله مـــن ميـــلٍ وحـــظٍ ... فكـــان القـــرب منـــه لهـــم عطيـــة

مولانا الشيخ محمد علي سلامة ﷺ وأرضاه هو مربي أرواحنا، وإمامنا في طريق الله، وشيخنا بين يدي رسول الله، وشفيعنا في الدار الآخرة عند الله.

في الحقيقة الرجال في طريق الله ﷻ قليل، سيدنا الإمام أحمد الرفاعي ﷺ كان يجتمع في مجلسه أكثر من مائة ألف نفس، فبُلِّغ فيه لدولة الخلافة أن هذا الرجل يجمع الناس ويريد أن يأخذ الخلافة منكم، فذهبوا إليه ومعهم القوات والحشود الشرطية، فقالوا له: ما هذه الحشود؟ فقال لهم: أنا ليس معي غير رجل ونصف.

فقالوا له: فمن هؤلاء؟ فقال: هؤلاء سميعة فقط، وفعلاً هؤلاء كلهم عندما رأوا الشرطة فرُّوا جميعاً، وكل واحد منهم خاف على نفسه، وبقي واحد أخذ يقول: كيف تأخذون الشيخ؟ وأخذ يتكلم معهم، فلما أخذوا الشيخ انصرف، وهذا هو النصف

١٣٠ المعادي ٢٦ من شوال ١٤٣٦ هـ ٢٠١٧/٧/٢٠م

رجل، ولم يبق غير رجلٍ فقال لهم: خذوني مكانه ولن أتركه، وأصرَّ على ذلك، فقال لهم الشيخ: هذا الرجل هو الذي بقي، ولذلك الرجال في طريق الله قليل.

والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه قيل له: أتباعك ما شاء الله كثير، فقال: أنا ربيت في حياتي رجلين ونصف، هم الذين تربوا والباقي سِمّيعة فقط، والسميعة عندما يروا عسكري يجرون، أو محبين بلغة العصر، والمحبين أيضاً مطلوبين ولكنهم ليسوا من أهل المقام.

الشيخ محمد على سلامة من الرجال، والرجال في طريق الله ﷻ قليل، هذا الرجل كان يعمل لله، ولا يهمه أظهره الله أو أخفاه، لأنه يعمل لله، ولا يعمل للظهور بين خلق الله، ويكفينا شرفاً وفخراً أننا تعلمنا على يديه حقيقة التصوف النقي، الذي فيه الصفاء والنقاء والصدق والإخلاص وعزة النفس، وأذكر بعض الأمور الخفيفة حدثت معي في أطوار التربية لنعرف هذا الرجل ومن أي معدن كان.

نحن كنا محبين للإمام أبي العزائم، والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه كانوا يحتفلون – ولا يزالون – بالإسراء والمعراج احتفالاً حاشداً، والأحباب يأتون إليه من كل أنحاء البلاد، وكذلك المولد النبوي، وكانوا يعملون شادراً كبيراً في الشارع هناك، ومسجد الإمام أبي العزائم مسجد صغير ولا يسع كل هؤلاء الضيوف.

وانظر لتربية الرجال لأهل الكمال، فالمريدون يذهبون، فمنهم من ينام على الرصيف، ومنهم من ينام في الخيمة، ومنهم من ينام في المسجد، وكذلك في الطعام، فالعدد كبير، والمكان الذي يأكلون فيه صغير، فكان الطابور طويل جداً، والكل يقف في الدور من أجل الطعام، وعندما يصل إلى دوره يعطوه ملعقة أو ملعقتين من الأرز فقط، وقطعة جلد أو قطعة دهن، ويقولون: هذه بركة، فقال لي الشيخ: هل ستذهب للمولد؟ فقلت: إن شاء الله، فقال لي: لا بد أن تعمل حسابك على بريزتين (عشرون قرشاً) تسافر بهم، فقلت له: نعم، وقال: وتعمل حسابك أيضاً على بريزتين تسكن بهم، ولا تنام في المسجد ولا في الشارع، كان يعلِّمنا العزة، فكنا لا نقف في طابور الطعام، فما دمت أنت ذاهب لله فتناول أي طعام من الخارج.

فكنت أذهب هناك، ومسجد الإمام أبو العزائم قريب من مسجد السيدة زينب، فكنت أذهب للسيدة زينب، وفي مواجهة الضريح فندق، فكنت آخذ حجرة وحدي بحمام، وأترك فيها حقيبتي وأذهب للإحتفال.

والإحتفال كان عبارة عن محاضرات يتخللها قصائد حتى الساعة الثانية عشر، وبعد الساعة الثانية عشرة كانوا يُقدِّمون امرأة من الإخوان صوتها عظيم وشجيٌّ كصوت أُم كلثوم وكان اسمها الشيخة منيرة، فتتغنَّى بقصائد الإمام أبي العزائم وكانت تكاد تُرَقِّص الأحجار بصوت كأصوات الحور العين، وهذه حقيقة.

فكانت تستمر حتى قبل الفجر بحوالي ساعة، فأنتظر هناك حتى قبيل الفجر، ثم أذهب لمسجد السيدة زينب فأُصلي الفجر، وآخذ إفطاري وأذهب لحجرتي وأنام، ثم أستيقظ من نومي وأستحم، وأُفطر وأمكث حتى الظهر، ثم أدخل مطعم في السيدة زينب وأتناول الغذاء، ثم أستعد للإحتفال، فإذا أردنا أن نجلس مع الأحباب نجلس في المقهى بجوار المسجد لنعمرها وننفعها.

بعد أن فعلت هذا الأمر، وفي اليوم التالي عندما ذهبت لمسجد الإمام أبو العزائم قالوا لي: جاء اثنين أو أكثر ودخلوا على النائمين في المسجد وسرقوا ما معهم كلهم!، فكانوا يريدون التوفير وما وفَّروه جاء اللصوص وأخذوه!.

وطبعاً لا كرامة ولا عزة، وبحجة التصوف!، وهذا الكلام يحدث في الموالد الآن، وهذا شيء يندى له الجبين، لأن المسلم يعمل بقول رب العالمين:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨)المنافقون)

بعد ذلك أذن لي في الدعوة إلى الله في البلاد، فكنت أنزل في البلاد، وجعلت لذلك الخميس والجمعة لله، وكان يريد أن يستوثق أولاً، فيسألني عن أُجرة المواصلات والمصاريف، فكنت أقول له: يا مولانا أنا أعتبر نفسي أُدخن سجائر، وثمن سجائري تكون نفقاتي لله ﷻ، فقال لي: يا بني سلفنا الصالح كانوا يقولون: إذا دخل رجل على أهل بلد يستحب أن يكون شبعان، ولا يدخل عليهم وهو جوعان، حتى لا يتوقع ولا ينتظر منهم طعام ولا شراب.

فكنت أنزل البلاد كميت غمر مثلاً، أُصلي المغرب، وأذهب لمطعم وأتعشى، وأذهب للدرس بعد ذلك في المسجد، أو عند الأحباب، فيسألوني نحضر العشاء؟ فأقول لهم: الحمد لله تعشيت، فعلَّمنا هذه النزاهة رضي الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه.

فقال لي: يا بني لو أن الإنسان نزل بلداً ومكث فيها شهرين وفتح الله عليه من كنوز العلم، واجتمع حوله أهل البلدة كلهم !!!

فلو انتظر مقابل هذا العمل الذي عمله أن يسقيه أحدهم كوب شاي، فيحتاج أن يرجع مرة ثانية للتأديب، ليكون العمل لله.

النفس تريد أن تتحدث وتريد أن تقول للشيخ أنا ذهبت لمكان كذا وفعلت كذا، فكان يقول لي: يا بني اعمل لله، لا تعمل لشيخك، إياك أن تعمل ليراك الشيخ، أو يعرف ماذا فعلت، فأنت تعمل لله ﷻ.

وهذا نذرٌ يسير من كثير مما تربينا به على يد هذا الرجل الذي علَّمنا العزة الإيمانية:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون)

والحمد لله، نسأل الله أن يديمها علينا، وأنتم ترونها فينا إلى يوم الدين إن شاء الله، فكما قال لي: (يا بني شيخك من يُعطيك، لا من يأخذ منك) كثير من المشايخ تعودوا عندما ينزلون في البلاد يأخذون نفحة من هذا البيت، ونفحة من هذا البيت، وخليفة البلد لا بد أن يجمع من كل الأحباب شيء من أجل زيارة الشيخ، وسيارة تجمع كل هذا وتذهب به وراء الشيخ!!.

رأيت ذلك مع أحد المشايخ المشهورين من الزقازيق، وكان يأتي في البلد عندنا، ويمكث يوم، ويدخل بيت ويقرأ الفاتحة لفلان، وفي بيت آخر ويقرأ الفاتحة لفلان، وهكذا حتى يمشي، وتمشي سيارة خلفه محملة، فكنت أول مرة أنتبه للسيارة، فرأيت هذا الشيخ في المنام وقد عبأوا له جوالات من القمح والأرز وغيره ويحملها على ظهره، ويطلب من الناس أن يُحمِّلوا عنه فيرفضون، فقلت: سبحان الله!!:

﴿ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (٣١الأنعام)

فربَّانا على هذه العزة الإيمانية الكاملة:

﴿ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ ﴾ (٥١هود)

وأن التعامل لله، والأُخوة لله، والصداقة بيننا لله، والمودة فيما بيننا لله، لأنها بهذا الأمر تدوم لله، فكل أمر لعِلَّة لا يدوم، لا يدوم إلا الأمر الذي هو خالصٌ للحي القيوم ﷻ.

وهذا التصوف الحقيقي الموافق لروح الإسلام، وللحبيب المصطفى وأصحابه الأعلام والسلف الصالح أهل الصفوة الكرام الذين يُشار إليهم بالبنان.

لكن التصوف الذي نراه الآن فيما يحدث في بعض الموالد، والمواكب، واختلاط

الحابل بالنابل، فهذا أمر مُشين للصوفية، ومُشين للإسلام، فالإسلام دين العزة يا جماعة المؤمنين!!، وهذا ما جعلنا نحاول أن نبين العزة في دين الله ﷻ.

فبينما مدَّعي الصوفية تجدهم يجلسون على الأرصفة، وفي الشارع، ومنهم من يجلس في الاسطبل، فإننا نجلس في مكان مكيَّف بفضل الله وإكرام الله ﷻ.

بينما هم يتعاركون على قليل من الدُقَّة، فإننا والحمد لله نأكل طعام خمس نجوم، لنعرِّف الناس أن التصوف الحق الذي فيه عزة الله ورسوله، ونسأل الله أن يكون إخواننا أجمعين على هذا المنهج، وعلى هذا المنوال إلى يوم الدين، ومن خالف هذا الهدي ولو بعد حين فليس منا، وإنما منسوبٌ إلينا، وتحركه نفسه لحظٍ في نفسه، أو لهوى مستكِنٌ في قلبه.

أما أهل العزة الإيمانية هم حملة الشريعة المحمدية، وحمله المعية الرضوانية التي نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

الشيخ محمد علي سلامة ﷺ رجلٍ من كُمَّل العارفين، ومن خاصة خاصة المقربين، ورث العلوم الظاهرة، وعمل بها على هدي النبوة الطاهرة، فأفاض الله عليه من أسراره الباهرة، وصفاته النيرة، وهبه مواهب المقربين، ومشاهد المحبوبين، وصفات كُمَّل الوارثين، وهو بعد ذلك تراه أعين الخلق في تواضع المخبتين، وخشوع الزاهدين، وانكسار المقربين .. وسع الجميع برحمته، وعمَّهم بعفوه ومودته، فهو للصغير أبٌ رءوفٌ رحيم، وللكبير أخٌ شفوقٌ عطوفٌ، وللمساوي يرفع قدره، ويُظهر أمره ويُعلي شأنه، وإن كان دونه في العلم والمنزلة، تحققت أحواله بقول رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ }[١٣١]

مولده ونشأته:

وُلد الشيخ ﷺ في أُسرةٍ مباركة بقرية ههيا بمحافظة الشرقية، وذلك في العشرين من نوفمبر سنة ألفٍ وتسعمائة وعشرين ميلادية.

فتربَّى منذ نعومة أظفاره على التُقى والورع، حفظ القرآن الكريم كله صغيراً، وأتم تجويده، وبعد ذلك ألمَّ بالقراءات السبع المتواترة، ثم التحق بمعهد الزقازيق الديني، وأتم فيه دراسته الإعدادية والثانوية.

---

١٣١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

تعلق بالعلم والعلماء تعلقاً بالغاً وأقبل عليهم بنهمٍ شديد، حتى أنه كان لا يُرى إلا ومعه كتابٌ ديني يطالعه، أو مع عالمٍ يستوضحه ويناظره، أو مشغولاً بعبادة ربه ﷻ.

تعلقت روحه برجل من صفوة الدعاة إلى الله ﷻ، وهو الشيخ عبد السلام الغريب، وهو من صفوة أتباع الإمام السيد الإمام محمد ماضي أبو العزائم رضي الله عنهم، فاقتبس منه العلم النافع، وتلقَّى منه الحال الرافع.

تُوفي والده ﷺ وترك له ولإخوته خيراً كثيراً، وقام له إخوته بالواجب عليهم خير قيام، إلا أنه ﷺ لشدة عفة نفسه آثر أن يبني نفسه بنفسه، ويتولى الإنفاق على نفسه من كدِّه وتعبه.

وتصادف أن أعلنت وزارة الأوقاف عن مسابقة لتعيين أئمة بها بالثانوية الأزهرية، فتقدم إليها ليمارس أمنيته ورغبته في الدعوة إلى الله ﷻ.

عُين إماماً في وزارة الأوقاف بالثانوية الأزهرية في مسجد عزبة العسكر بين مدينة أسوان والخزان، سنة ألف تسعمائة وأربعة وخمسين ميلادية.

التحق بكلية أصول الدين التابعة للأزهر الشريف بمدينة القاهرة، حتى حصل فيها على درجة الإجازة العالية في الدعوة والإرشاد سنة ألف وتسعمائة وستين ميلادية.

تأثر في طريقته في تلاوة القرآن بالشيخ محمد سعيد نور الذي كان يقرأ قرآن الجمعة قبل الصلاة بمسجد الخازندار، فكان يبكي طوال قراءته لشدة تأثره لكتاب الله ويُبكي السامعين.

ترقَّى بعد ذلك في المناصب القيادية بوزارة الأوقاف حتى وصل إلى درجة مدير عام لمديرية الأوقاف ببورسعيد سنة ألف وتسعمائة وثمانين ميلادية.

هذا وقد فاز بالمركز الأول بالمسابقة التي أجرتها وزارة الأوقاف بين السادة الأئمة في كتابة موضوع يبين ناحية من نواحي عناية الإسلام بالإنسان وكان ذلك عام ألف وتسعمائة وتسعين ميلادية، لعام ألف وأربعمائة وعشرة هجرية، وكان بحثه بعنوان: (حقوق الإنسان في الإسلام).

تسلَّم الجائزة من السيد رئيس الجمهورية في الاحتفال الذي أُقيم بهذه المناسبة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شهر رجب لعام ألف وأربعمائة وأحد عشر هجرية، الموافق

الثالث عشر من فبراير لعام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين ميلادية، وكان من جملة التكريم أداء فريضة الحج على نفقة الوزارة في ذلك العام.

جهاده

كان ﷺ من العلماء العاملين الداعين إلى الله ﷻ على بصيرة، وقد نذر نفسه وماله وحياته كلها لله ﷻ، وقام في سبيل ذلك بما يلي:

أولاً: أسَّس جمعية الدعوة إلى الله عام ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين ميلادية، وأعلن أن بُغيتها العمل على انهاء التمزق والتفرق الذي أصاب المسلمين، والعمل على توحيد صفوفهم وجمع شملهم وبيان المنهج الأمثل بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والقدوة الطيبة.

ثانياً: عالج في زياراته التي لم تنقطع، ومحاضراته وكتبه الظواهر الاجتماعية الملحة في عصره، فعالج المشكلات الاجتماعية الكبرى بالوصف والتحليل، ووضع العلاج المناسب لها من القرآن والسنة، كظاهرة الغش، والمشكلات الاقتصادية، وقضية انتشار المخدرات، والمشكلة السكانية، ومعاملة غير المسلمين في المجتمع المسلم، وقيمة الوقت، والتهاون بالصلاة وغيرها.

ثالثاً: تحدث عن هموم العالم الإسلامي ووصف الطريق الصحيح لأحوال المسلمين، وبيَّن الكيفية التي يتم بها عودة الروح الإسلامية، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، ومسئولية الأمة في تبليغ دعوة الله، ودور العلماء الأجلاء في الرد على المستشرقين.

رابعاً: استشرف بروحه الصافية المعارك الإسلامية الكبرى المعاصرة، ووصفها وصف الخبير العالم ببواطن الأمور وذلك قبل وقوعها، كمعارك العاشر من رمضان، وحروب العراق.

خامساً: عالج ظاهرة الخلاف في الصحوة الإسلامية المعاصرة، وأدان شبهاتها ووضَّح الطريقة السديدة في تناولها حتى يظل شمل المسلمين مجتمعاً.

سادساً: لم ينسى أهم أساس في بناء المجتمع المسلم وهي الأسرة، فأولاها عنايته، وبيَّن المنهج الإسلامي في تربية النفس، ومدى عناية الإسلام بالمرأة، وكيفية تكوين الأسرة الفاضلة.

سابعاً: بيَّن بحاله وخُلُقه وقالِه التربية الروحية الصافية التي يحرص عليها التصوف الإسلامي الصحيح، وكشف أحوال المدَّعين والمنتسبين زوراً وباطلا إلى الصالحين، بأن جعل المقياس الصادق للحكم على أحوال الصالحين هو موقفهم من الشريعة المطهرة، وموقف الشريعة منها.

تقدير العارفين لمكانته

يروي الشيخ الأمير محمد الحفني مفتش الدعوة بوزارة الأوقاف آنذاك أن فضيلة الشيخ محمد علي سلامة نزل بصحبته وبعض الرفاق بدار العارف بالله سيدي أبو الوفا الشرقاوي بنجع حمادي، وكان الشيخ أبو الوفا في تلك الآنات مريضاً لا يقابله أحدٌ مهما كان وضعه.

فما أن بلغوا الدار إلا وأحد أبناء الشيخ الكبار يدعوهم للدخول عليه فوراً في حجرته، وهو أمرٌ اعتبروه خارق للعادة، لأن وزير الأشغال الأستاذ محمد عبده الشرباص ومعه وكلاء الوزارة ومفتشوه طلبوا المقابلة، وكان الشيخ أبو الوفا الشرقاوي آنذاك قوياً في صحته، فعاد أحد أبناء الشيخ وأخبرهم أنه يعتذر عن المقابلة، فألَحَّ الأستاذ الشرباص في المقابلة، وألَحَّ الشيخ في الرفض، وبعد أن قُدِّمت إليهم التحية انصرفوا.

ولكن عند قدوم الشيخ محمد علي سلامة والرفاق أذن لهم بالدخول !!!

فدخلوا على فضيلة الشيخ أبو الوفا الشرقاوي وهو في حالة اعياءٍ شديدة!

فطلب منهم الدعاء !!

وامتد بصره إلى الشيخ محمد علي سلامة طويلاً وأمره من بينهم أن يُلقي شيئاً من العلم والموعظة.

فقال الشيخ الأمير للشيخ محمد علي سلامة: لا بد من التنفيذ !

فانطلق الشيخ محمد علي سلامة يتكلم بطلاقة شيقة، وبدت على الشيخ أبو الوفا الشرقاوي علامات البهجة والانشراح في حالة عادت له الحيوية والقوة، وود أن أطال الشيخ محمد علي سلامة في كلمته.

فانظر كيف يعتذر الشيخ أبو الوفا الشرقاوي عن مقابلة العظماء وهو صحيح، ويطلب مقابلة الشيخ محمد علي سلامة وهو سقيم؟!.

منهجه في الدعوة إلى الله

القدوة الحسنة

أقبل على الله ﷻ إقبالاً كلياً، ليله قائماً يتلو كتاب الله بصوتٍ خاشع، فكان يقرأ كل ليلة رُبع القرآن لأنه كان يختم القرآن كل أربع ليالٍ مرة.

تعرف على ذوي الحاجات، فكان يمد لهم يد المساعدة في طي الخفاء، حتى أن أُمَّه رحمها الله كانت تُرسل له ثلاثين جنيهاً كل شهر، وكانت ذات قيمة كبيرة في ذلك الوقت وذلك الزمان، علاوة على راتبه، كل ذلك يُنفقه على أصحاب الحاجات.

حاول أن يقضي على مشاكل عادة الأخذ بالثأر، والتمسك بزواج الأقارب، ورفض زواج الأجنبية عن العائلة، وغيرها.

وحاول أن يقضي على هذه المشاكل باقتلاعها من جذورها بالحكمة والموعظة الحسنة، ... وبالتدرج في تلك الأمور، ... ووصل إلى الغاية المنشودة التي يرجوها في هذا الصدد.

خفَّف من غُلواء التعصب القَبلي، واستطاع بصدقه وإخلاصه أن ينزع الشحناء والبغضاء، وأن يجعل الجميع إخوة متآلفين متحابين.

كان يتقرب ويُقرِّب كل شخصٍ بما يناسبه ليجذبه إلى الله ﷻ، ويُسلِّم على الصبيان ويوزع عليهم الحلوي والنقود تحبباً لهم في طريق الله، ويردد في ذلك حديث سيدنا رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ دَارًا يُقَالُ لَهَا: الْفَرَحُ، لا يَدْخُلُهَا إِلا مَنْ فَرَّحَ الصِّبْيَانَ }[١٣٢]

كان يُكثر من مجالسة الفقراء والمساكين، ويعودهم إذا مرضوا، ويُعزيهم إذا مات لهم قريب، ويُهنئهم ويحضر أفراحهم جبراً لكسر قلوبهم، ويرى أن تلك أعظم عبادة الدعاة للإسلام، لقول رسول الله ﷺ:

{ مَا عُبِدَ اللهُ بَشَيءٍ أَفْضَلُ مِنْ جَبْرِ الخَوَاطِرْ }[١٣٣]

---

١٣٢ أخرجه ابن حجر في اللسان عن أنس رضي الله عنه

١٣٣ كشف الخفا للعجلوني

ومن هنا فقد وضَّح ﷺ الكيفية السليمة للدعوة إلى الله، وهي أن يكون الداعي أصدق الناس إلى العمل بما يقول، وأن يكون صدره رحباً يسع الجميع، ذا شفقة وعطفٍ على الصغير والكبير، صاحب إحساس رقيق وشعور مرهف يتعرف بمجرد النظر في الوجوه إلى ما يتخلل في الصدور.

وكان يرى أن الداعي يجب أن يمكث في المكان الذي يدعو إلى الله فيه، ولا يسارع في الخروج منه إلا بعد أداء مهمته التي قصدها، وإكمال رسالته التي حددها، وذلك تطبيقاً لقول الله ﷻ:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة ٢٤)

الصدق والإخلاص

كان يرى أن أهم ما يلزم الداعي في تحقيق رسالته صدقه في دعوته، وإخلاصه في نيته، فإن هذا يجعل القلوب تستجيب له وتتأثر بهديه، وقد ضرب في هذه أمثلة كثيرةً كانت مثار إعجاب العلماء والصالحين.

كان لا يرجو بحركاته وسكناته إلا وجه الله ﷻ، ولذا كان يفر من الشُهرة، ويُنكر ذاته، وينسب ما قام به من العمل لغيره، وشعاره دائماً كان قول الله ﷻ:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان ٩)

الدعوة إلى الأُلفة ونبذ التعصب

كان ﷺ وأرضاه أحرص ما يحرص عليه هو جمع شمل المسلمين، ونبذ الخلافات والعصبيات من نفوسهم، سواءٌ في المذاهب الفقهية، أو الآراء الدينية، أو في سلوك الطرق الصوفية.

ففي المذاهب الدينية كان يرى أن يلتزم الداعي في المذهب السائد في المكان الذي يدعو فيه حتى لا يُثير خلافات لا داعي لها بين المسلمين.

خاصة وأن المذاهب الفقهية على كثرتها، لا خلاف بينها في الأصول الثابتة، وإنما الخلاف في الفروع، والتي الأمر فيها على السعة، وكلها مرويةٌ عن سيدنا محمد ﷺ.

الوفاء

كان ﷺ وأرضاه يردد كثيراً الحديث الشريف الذي يقول:

{ إِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ }[١٣٤]

كان يتلفظ في كل موقف بالأثر القائل: (من صنع معروفاً أبقاه، ومن زرع زرعاً والاه، ومن غرس غرساً رقَّاه).

الباقيات الصالحات

ترك ﷺ آثاراً باقية، تُضيف إلى رصيده عند الله ﷻ في كل يومٍ جديد، مزيداً من الفضل الكبير، والثواب الجزيل، والأجر الحسن، وإليها الإشارة بقول الله ﷻ:

﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (﴿٤٦﴾الكهف)

الأثر البشري

ترك ﷺ أكثر من ألف رجل في طريق الله ﷻ، ربَّاهم على القيم والمبادئ الفاضلة من الإخلاص، والصدق، والصفاء، والوفاء، والإيثار، والبذل، والتضحية في سبيل الله بكل غالٍ ونفيس، وهذَّب نفوسهم من رعوناتها ونزغاتها، وصفَّى قلوبهم ورقَّاهم إلى المنازل العالية، حتى صاروا أئمة يدعون الناس إلى الله ﷻ، لا لنيل عطاء، أو رغبة في جزاء، وإنما ابتغاء رضوان الله، وطمعاً في حبه ورضاه.

أثره الصوتي

حفى الله الشيخ ﷺ بصوتٍ روحاني، كان يرتل به كلام الله النوراني أثناء دروسه وخطبه، فيترك في نفوس السامعين أثراً بليغاً لرقته وخشيته وعذوبته وطلاوته.

سُئل النبي ﷺ: أي الناس أحسن صوتاً للقرآن؟ فقال:

{ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى }[١٣٥]

كلَّف المرحوم الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف الأسبق مولانا الشيخ

---

١٣٤ الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها
١٣٥ سنن الدارمي ومصنف عبد الرزاق

بترتيل كامل للقرآن الكريم على شريط كاسيت بصوته الندي وخشوعه الروحاني، وقد سجله على واحد وأربعين شريطاً وهو متوفر وموجود الآن.

تراثه العلمي

ترك ﷺ ستة وعشرين كتاباً تشمل كل نواحي الحياة الإيمانية، وقد أملاها ﷺ كلها من عالم الغيب بدون الرجوع إلى مرجع أو كتاب، فقد كان ﷺ يُملي وأحد مريديه النجباء يكتب، وهذا مما يدل على غزارة علمه، وتمكنه في باب المعرفة الإلهية والعلوم الدينية.

كان نهجه في أي قضية يعالجها أن يستخرج الآيات القرآنية التي تتحدث عنها، ثم يقوم بشرحها على حسب ما يفتح الله ﷻ به عليه، ويستنبط بعد ذلك الأحكام والآداب التي يهدف إلى إقرارها.

هذا مع البعد عن الغموض والإغراب، أو إخراج الألفاظ عن مدلولها، أو الآيات عن المعنى الظاهر الذي يسوقه الله ﷻ في ثناياها، حتى أنك عندما تسمع شرحه للآيات القرآنية يرتاح قلبك، وينشرح صدرك، وتشعر أنك تسمع هذه الآيات لأول مرة، ويعيد كلامه بعد ذلك بالأحاديث الصحيحة، وكان يتحرى فيها صحة السند، ثم ما صحَّ من كلام الرجال رضي الله عنهم.

مؤلفاته[١٣٦]

أولاً: الفتاوى والأحكام

مصابيح على طريق الإيمان (ثلاثة أجزاء) – من منابع الدين الحنيف – حكمة الحج وأحكامه – الصوم عبادة ومجاهدة.

ثانياً: العقيدة الإسلامية

التوحيد في القرآن والسنة – علامات وقوع الساعة – حوار حول غوامض الجن – مواقف بعض الرسل في القرآن الكريم – أيام الله – شعُب الإيمان – الإسراء معجزةٌ خالدة.

---

١٣٦ وقد وفقنا الله لتحقيق وطبع الكثير من كتب شيخنا الشيخ محمد على سلامه وطباعتها طباعة حديثة فاخرة ومازلنا نوالي هذا تباعاً.

ثالثاً: الأُسرة المسلمة

توجيهات في بناء الأُسرة – حقوق الإنسان في الإسلام – قبسٌ من معاني سورة النور – خواطر إيمانية حول تنظيم الأُسرة والمشكلة السكانية.

رابعاً: الدعوة الإسلامية

كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله – الإنسان الوسط.

خامساً: التصوف الإسلامي

الإمام أبو العزائم كما قدَّم نفسه للمسلمين – أنوار التحقيق في وصول أهل الطريق – عبادة المؤمن اليومية – شرح الفتوحات الربانية في الصلوات على خير البرية للإمام أبي العزائم – قطرات من بحار المعرفة – الجواب الشافي على أسئلة الحكيم الترمذي في كتابه خاتم الأولياء – ندوة عن التصوف – بريدٌ إلى القلوب (جزءان).

سادساً: الحديث الشريف:

شرح ﷺ مائة واثنين من الأحاديث الشريفة بلغة مبسطة سهلة، وقدَّمها في حلقات بإذاعة القناة وجُمعت في كتاب: (من هدي النبوة) جزءان.

لقاء الله

أجرت وزارة الأوقاف المصرية مسابقة بين الأئمة تشمل كتابة لموضوع يبين ناحية من نواحي عناية الإسلام بالإنسان، وأعلنت أن الجائزة الأولى هي رحلة مجانية على نفقة وزارة الأوقاف، وجهَّز الشيخ ﷺ بحثاً قيماً بعنوان: (حقوق الإنسان في الإسلام) وأُعجبت لجنة المسابقة ببحثه أيما إعجاب، ورشَّحته للجائزة الأولى.

وحُدد يوم الأربعاء الموافق الثامن والعشرين من شهر رجب لعام ألف وأربعمائة وأحد عشر هجرية لتكريم الفائزين في الحفل السنوي الذي تقيمه الوزارة، والذي يوافق ذكرى الإسراء والمعراج لتكريم الدعاة المبرزين، ويحضر الحفل السيد رئيس الجمهورية ليسلم الجوائز بنفسه وبرفقته كبار رجالات الدولة.

وحضر الشيخ ﷺ الحفل الذي أُقيم بقاعة الإمام محمد عبده بالأزهر الشريف، وتسلَّم الجائزة من السيد رئيس الجمهورية.

وأخطرته الوزارة بالاستعداد للحج على نفقة الوزارة.

بدأ الشيخ ﷺ يستعد لأداء فريضة الحج مسروراً، خاصة أن وقفة عرفات في هذا العام كانت ستصادف يوم الجمعة أي أنها ستشبه حجة الوداع التي حجها رسول الله ﷺ، وفي تلك الآونة رأى في منامه رب العزة جل جلاله وخاطبه قائلاً: (إنا اخترناك لتحج عن المسلمين جميعاً هذا العام) فأوَّلها ﷺ بأنها تشير إلى لقاء الله، فقد كُرِّم ظاهراً وباطناً، ونهاية التكريم تكون بلقاء الكريم!.

فسافر إلى بلدته ههيا وسلَّم على الأحباب جميعاً على غير عادته، وودَّعهم وداعاً حاراً، وطلب ﷺ من تلميذه الصادق الأستاذ فوزي محمد أبو زيد خليفته القائم أن يحج معه ذاك العام، وأشار إليه بقوله: من الذي سيُثبِّت الإخوان؟.

وبدأ ﷺ يلمِّح إلى أنه مسافر في الحقيقة ليلقى الله ﷻ في هذه الأماكن المقدسة تلبية لرغبته التي استجابها الله له، وكان يُكرر في دروسه بين الحين والأُخرى: لعلنا لا نتقابل بعد اليوم.

وعند خروجه من منزله مسافراً إلى السويس نظر إلى السيدة زوجته وأطال النظر وقال لها: كنت أود أن أصحبك معي في هذا السفر، ولكن قلت: أتركك لتواسي الأولاد، قالت: ماذا تقصد؟ قال: أشعر أنني لن أعود من هناك.

وكان هذا كلامه الذي يوجهه لجميع أحبابه ومعارفه، بل صرَّح لخادمه الخاص قائلا: يا بني الأنبياء يدفنون حيث يموتون، وكذلك الأولياء – يعني لا يصح نقلهم من بلدٍ إلى آخر – يا بني لمَّا أموت لا تبكي وخليك ثابت لكي تستفيد من هذه المشاهد.

وبشَّر ﷺ إخوانه ومحبيه وتلاميذه بما رآه من رؤية صالحة، فقد رأى رسول الله ﷺ وقال له: أبشر وبشِّر إخوانك بأنك وكل من أحبك معنا في الجنة.

فقام ﷺ مسروراً وهو يردد قول الإمام أبو العزائم ﷺ:

وبشـــرَّني أني ومـــن أحبـــني يفوز ويُعطى منه كل مراده

وقوله أيضاً:

ونـــاداني أيـــا مـــاضي تهـــنَّى فأنت ومن يُحبك في أمانِ

ومن لحظتها كان ﷺ يردد عقب كل صلاة ثلاث مرات:

اللهم تولَّى قبض روحي بيمينك مع شدة الشوق إلى لقائك يا رحمن.

وفي حرم الله أدَّى ﷺ العُمرة يوم الأربعاء غداة وصوله إلى مكة، حيث أنه كان قد نوى التمتع بالعمرة إلى الحج، وخلع ملابس الإحرام، ولبس ملابسه العادية.

ومكث كعادته ... في الدأب لتبصير الحجاج بأمور مناسكهم، ... وتوضيح ما استشكل عليهم من أمور المناسك في كل موقع تطأه قدماه، ... لأنه كان يرى أن ذلك فرضٌ على العلماء.

ثم توالت الأيام المباركة ...

إلى أن ودَّع ﷺ الحجاج من إخوانه وتلاميذه ...

وودَّع حجاج بورسعيد ..

وطلب من الأخ الكريم جابر عباس منشد آل العزائم أن يُنشد قصيدة الإمام أبو العزائم:

لبيك يا داعياً روحي إلى الذات رفقاً بجسمي ففيه سر آياتي

فاعتذر لعدم إسعاف الذاكرة، فقام ﷺ بإنشاد القصيدة بنفسه بصوته العذب.

وفي يوم الأحد الموافق الرابع من ذي الحجة لعام ألف وأربعمائة وأحد عشر هجرية[١٣٧]، توجه ﷺ وبرفقته أخوين كريمين لإلقاء محاضرة دينية كان قد وعد بها حجاج محافظة كفر الشيخ، وحاول الأَخوان الكريمان أن يُركباه سيارة أُجرة، لكنه ﷺ رفض ذلك قائلاً:

وما عليَّ أن أُغبِّر قدمي في سبيل الله ساعة.

ومشى ﷺ يتحدث معهما ... وفجأة وضع يده على كتفيهما وشهق شهقة واحدة فصعدت على أثرها روحه الطاهرة إلى بارئها، لتُنهي حياة رجل نذر نفسه وماله ووقته وبيته وكله لله ﷻ.

وقد تم دفنه في مقبرة المعلا بمكة المكرمة كما أوصى ﷺ وأرضاه.

ولسان حاله كأنه يقول:

---

١٣٧ الموافق للسادس عشر من يونيو سنة ألف وتسعمائة وإحدى وتسعون من الميلاد.

قـــل لإخـــوانٍ رأوني ميتـــاً فبكَـــوني ورثـــوني حُزنـــا
أتظنـــون بـــأني ميِّـــتُكم لـــيس ذاك الميْـــتُ والله أنـــا
فأنـــا اليـــوم أُنـــاجي مَلِكـــاً وأرى الحـــقَّ جهـــاراً علَنـــاً
أســـأل الله لنفـــسي رحمـــةً ورحِـــم الله صـــديقاً أمَّنَـــا
وعلـــيكم مـــني ســـلامٍ طيـــبٌ وســـلامٌ مـــن الله بـــرٌ وثنـــا

وعزاؤنا فيه قول الإمام أبي العزائم ﷺ وأرضاه:

فـروحي لـم تغـب والـروح نـورٌ تواجـه مـن أُحـب بنـور نـورِي

رحمه الله رحمةً واسعة، وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء، بمغفرة ورضوان وخير في الدنيا والآخرة، ونسأل الله ﷻ أن يُلحقنا بمعيته، وأن يحشرنا في زمرته، وأن يكرمنا يوم اللقاء بشفاعته .. آمين يا رب العالمين.

وصيته ﷺ للإخوان

يا إخواني أُوصيكم بالمحافظة على الحقوق فلعلنا لا نلتقي بعد اليوم، فنحن جميعاً مسافرون إلى الله ﷻ، وليس هناك شيئاً أكرم من لقاء الله ﷻ، وإني أُوصي إخواني أن يتمسكوا بإخوانهم الذين قد يقطعونهم، أو يقصرون في حقوقهم، أو يتنكرون لهم، فإن سيدنا رسول الله ﷺ قال لنا جميعاً:

{ لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا }[١٣٨]

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

تمَّ بحمد الله تعالي
وبركة حبيبه ومصطفاه

١٣٨ البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

نبذة عن المؤلف
العارف بالله الشيخ فوزي محمد أبوزيد

۞ ولد الشيخ رضى الله عنه في ١٨/١٠/١٩٤٨م، ١٥/١١/١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، محافظة غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر مشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية لنشر الدعوة الإسلامية، واحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على الشبكة العنكبوتية www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية وجارى إضافة المواد المترجمة.

۞ دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، واحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه: إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ المساهمات الدعوية للشيخ بالإذاعة والتليفزيون:

مساهمات فضيلته أكثر من أن تحصى- بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى، علماً بأن الشيخ يرفض البرامج التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، والشيخ يرحب ببرامج وبقنوات التليفزيون المصرى أو غيرها من التى تعمل جادة على نشر الدعوة الإسلامية الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع، وجمع الشمل، وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

ونذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر:

١- خطبة وصلاة الجمعة: بعض الخطب على الهواء مباشرة منها: *جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة[١٣٩]، جمع من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة، والمسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد، ومسجد الأنوار القدسية بالمهندسين وغيرها. ٢- البرنامج العام: *دعاء الصباح. * المجلة الدينية، ٣- إذاعة القرآن الكريم: أمسيات دينية كثيرة، خطبة وصلاة الجمعة على الهواء.من مساجد متعددة، خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التليفزيون عدة مرات بإذاعة القرآن الكريم و*برنامج "المجلة الإسلامية. ٤- إذاعة وسط الدلتا: * حديث الصباح * الأمسية الدينية. ٥- إذاعة الشباب والرياضة: * برنامج: عصافير الجنة. ٦- إذاعة لقاهرة الكبرى: "أمسيات دينية " من مساجد مختلفة و* برنامج "صفحات من نور" و*برنامج "النورانيات و الإسلاميات". ٧- القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج "من بيوت الله"و * برنامج "فى زمرة الرسول ﷺ" و*برنامج "أحسن القصص". ٨- القناة الثالثة (قناة القاهرة بالتليفزيون): حلقات من *برنامج "واحة القلوب" و حلقات *"برنامج المحبين" و حلقات من *برنامج "فقه المرأة" و*برنامج "جدد حياتك" ولا يزالا مستمرأن إلى تاريخه، وفى شهر رمضان ٢٠١٨ *برنامج "من آيات القرآن"، و كذلك "الدعاء" بعد آذان المغرب طوال الشهر الكريم، وفى شهر رمضان ٢٠١٩ *برنامج "الصائمون يتسائلون". ٩- القناة السادسة (قناة الدلتا التليفزيونية): حلقات من *برنامج "السيرة العطرة". و*برنامج "آيات محكمات". *برنامج "جدد حياتك" ومازال مستمرا. ١- القناة الثامنة: سلسلة حلقات من *برنامج "لقاءات إيمانية". ١١- القناة الثقافية: *برنامج "فتاوى على الهواء" و*برنامج "أهل الذكر". ١٢- القناة التعليمية: حلقات *برنامج "أولياء الله الصالحون".

١٣- المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات ومراكز الشباب والأندية الثقافية والجمعيات الدينية والثقافية والعلمية: أحيى الشيخ عديد من المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادى الرياضية ومراكز الشباب والجمعيات الأهلية والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى.

كما شارك الشيخ وأحيي العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة والمحافظات، ودعى إلى عدد كبير من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدارالسنين الطوال.

وصلى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

---

١٣٩ الشيخ يخطب أول جمعة من كل شهر ميلادى بمسجد النور بالمعادى منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً، كما يخطب آخر جمعة بالشهر الميلادى بمركز الفائزين الخيري بالمقطم.

قائمة مؤلفات ومحققات الشيخ فوزى محمد أبوزيد المطبوعة حتى تاريخ ٢٠٢٢/٤/٢٠م، وهى ست عشرة سلسلة تحوي: ١٣٥كتاباً

م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت

سلسة ١: التفسير الموضوعى للقرآن الكريم: ١٤ كتاباً

٤	نفحات من نور القرآن: (مجلد ٢- ج ١)	١	
٤٨	أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام: (مجلد ٥)	٢	
٩٣	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام:(مجلد ٥)	١	
١٠٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٢)	١	
١٠٥	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٣)	١	
١٠٩	تفسير آيات المناسبات: (مجلد ٤)	١	
١٣١	إعجاز القرآن فى كلمة "نور"	١	
١٤	نفحات من نور القرآن: (مجلد ٢- ج ٢)	٣	
٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية: (مجلد٣ –ج ١)	١	
٩٦	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ١)	١	
١٠٣	حكمة لقمان وبر الوالدين: (مجلد ٥)	١	
١٠٨	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٤)	١	
١١٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٥)	١	
١٣٤	الأفق المبين ﷺ	١	

السلسلة رقم ٢: الفقــه: ١١ كتاب

٢	زاد الحاج والمعتمر	٣	
٥٢	كيف تكون داعياً على بصيرة	٢	
٧١	الصيام شريعة وحقيقة	١	
٩٥	صيام الأتقياء	١	
١٠٤	سنن الهدى	١	
١٣٠	الأحاديث النبوية فى الصيام	١	
٥	مائدة المسلم بين الدين والعلم	٢	
٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٢	
٧٢	إكرام الله للأموات	١	
١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١	
١٢٦	دروس رمضان والتراويح	١	

السلسلة ٣: موسوعة الحقيقة المحمدية: ١٢ كتاباً

٧	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٤	
٢٢	الكمالات المحمدية	٢	
٣٣	واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ	٢	
٦١	السراج المنير	١	
٨٥	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	١	
٩٠	شرف شهر شعبان	١	
١٣	إشراقات الإسراء ج ١	٢	
٢٣	الرحمة المهداة	٢	
٣٥	إشراقات الإسراء ج٢	١	
٧٠	ثانى اثنين	١	
٨٧	تجليات المعراج	١	
١١٤	خصائص النبى الخاتم ﷺ	١	

السلسلة رقم ٤: من أعلام الصوفية: ٩كتب

١	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	٢	
٣	الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة	١	
٤١	المربى الربانى السيد أحمد البدوى	٢	
٤٥	شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقى	٢	
١٣٥	أولياء الله	١	
٥٩	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى	٢	
٩٧	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	١	
١٠٧	الشيخ عبد الرحيم القنائى ومدرسته الروحية	١	
١٣٣	قطبا العراق عبد القادر الجيلانى وأحمد الرفاعى	١	

السلسلة رقم ٥: الدين والحياة: ٧ كتب

٣٤	كيف يحبُّك الله	٤	
٢٦	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام	٢	
٣٩	كونوا قرآنا يمشى بين الناس	٢	
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	١	
٦٧	بنو إسرائيل ووعد الآخرة	١	
٧٥	أمراض الأمة وبصيرة النبوة	١	
٩٢	فقه الجواب (الإجابة على أسئلة الموقع)	١	

السلسلة٦: الخطب الإلهامية للمناسبات: ٧ كتب

١٦	خطب المولد النبوى	١	
١٨	خطب شهر شعبان وليلة الغفران	١	
٢٠	الحج وعيد الأضحى	١	
٥٥	الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية:١	٢	
١٧	خطب شهر رجب والإسراء والمعراج	١	
١٩	خطب شهر رمضان وعيد الفطر	١	
٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	١	

سلسلة ٧: الخطب الإلهامية العصرية: ١ كتاب

٧٨	الأشفية النبوية للعصر	١	

السلسلة رقم ٨: المرأة المسلمة: ٥ كتب

٩	تربية القرآن لجيل الإيمان	٢	
٤٤	فتاوى جامعة للنساء	٢	
١٠٦	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهى	١	
٤٣	المؤمنات القانتات	٢	
٧٤	الحب والجنس فى الإسلام.	١	

م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت

السلسلة رقم ٩: الطريق إلى الله: ١٢ كتاباً

٦	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	٢	
٢٨	المجاهدة للصفاء والمشاهدة	٢	
٣١	رسالة الصالحين	٢	
٦٠	نوافل المقربين	١	
٧٩	دعوة الشباب العصرية للإسلام	١	
٨٩	مجالس تزكية النفوس ج٢	١	
٢٥	طريق المحبوبين وأذواقهم	١	
٣٠	علامات التوفيق لأهل التحقيق	١	
٣٢	مراقي الصالحين	٢	
٦٤	أحسن القول	١	
٨٨	مجالس تزكية النفوس ج١	١	
١٢٥	همة المريد الصادق	١	

السلسة رقم ١٠: الأذكار والأوراد: ٧ كتب

٨	مفاتح الفرج	٦	
٣٧	مختصر مفاتح الفرج	٥	
٤٠	أوراد الأخيار تخريج وشرح	٢	
٧٣	جامع الأذكار والأوراد	٢	
١٥	أذكار الأبرار	١	
٣٨	أذكار الأبرار صغير	٣	
٥٦	نيل التهاني بالورد القرآني	١	

السلسلة ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٧ كتاباً

١٠	الصوفية والحياة المعاصرة	١	
١٢	أبواب القرب ومنازل التقريب	١	
٣٦	المنهج الصوفي والحياة العصرية	١	
٤٩	موازين الصادقين	١	
٥٣	النفس وصفها وتزكيتها	٢	
٦٣	منهاج الواصلين	١	
٦٨	العطايا الصمدانية للأصفياء	١	
٨٣	مقامات المقربين	١	
١٢٨	معرفة الله عند أهل الفناء	١	
١١	الصفاء والأصفياء	١	
٢٩	الصوفية في القرآن والسنة	٣	
٤٢	الولاية والأولياء	١	
٥١	الفتح العرفاني	١	
٥٨	سياحة العارفين	١	
٦٥	نسمات القرب	١	
٧٧	شراب أهل الوصل	١	
٩٨	آداب المحبين لله	١	

السلسة رقم ١٢: الفتاوى: ٧ كتب

٢٤	فتاوى جامعة للشباب	١	
٨٠	فتاوى فورية ج٢	١	
٨٦	فتاوى فورية ج٤	١	
١٢٧	القول السديد	١	
٧٦	فتاوى فورية ج١	١	
٨٤	فتاوى فورية ج٣	١	
١٠١	يسألونك	١	

السلسة رقم ١٣: أسئلة صوفية: ٥كتب

٢٧	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢	
٩٩	إشارات العارفين	١	
١٢٩	جواب العارفين على أسئلة الصادقين	١	
٦٩	الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية	١	
١١١	بينات الصدور	١	

السلسلة رقم ١٤: حوارات مع الآخر: ٣ كتب

٨١	سؤالات غير المسلمين	١	
٩٤	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين	١	
٨٢	حوارات الإنسان المعاصر	١	

السلسلة رقم ١٥: شفاء الصدور: ٥ كتب

٤٦	علاج الرزاق لعلل الأرزاق	٢	
٦٢	بشريات المؤمن في الآخرة	١	
١١٠	الدعاء المستجاب	١	
٤٧	بشائر المؤمن عند الموت	٣	
٦٦	بشائر الفضل الإلهي	١	

سلسلة ١٦: تحقيق الشيخ فوزي محمد أبوزيد: ١٣ كتاباً

٥٧	تحفة المحبين في فضائل عاشوراء للقاوقجي	١	
١١٣	ورد الإستغفار اليومي للحسن البصري	١	

كتب محققة من سلسلة المطبوعات الكاملة للعارف بالله الشيخ محمد علي سلامه

١١٥	أنوار التحقيق في وصول أهل الطريق	٢	
١١٧	الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين	٢	
١١٩	علامات وقوع الساعة	٢	
١٢١	شعب الإيمان	٢	
١٢٣	عبادة المؤمن اليومية	٤	
١٣٢	شرح الصلوات الربانية على خير البرية		
١١٦	الجواب الشافي على أسئلة الحكيم الترمذي	٢	
١١٨	التوحيد في القرآن والسنة	٢	
١٢٠	كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله	٢	
١٢٢	قطرات من بحار المعرفة	٢	
١٢٤	من منابع الدين الحنيف	٢	

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
التوفيقية	٠١١٥٤٤٤٥٩٦١	١أ طاهر شعلان بجوارمسجد الحسين
دار الرازى للنشر والتوزيع	٠١٠٠٢٠٨٤٢٧٣	٣ ش السيد الدواخلى بالجمالية - القاهرة
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
العزيزية	٠١١١٣١٤١٨١٣	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
دار التأليف	٠١٠٠١٤٦٨٤١٧	١١ ميدان حسن العدوى – الأزهر
الأزهرية للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
صبَّاح الأزهرية	٠١٠٠٥٤٦٩٨٦٤	بجوار الجامع الأزهر - الأزهر
القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبده خلف الأزهر
سنابل	٢٣٩٣٥٦٥٦	٥ ش صبرى أبو علم، باب اللوق
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
أصول الدين	٠١٠١٠٦٦٥٩٠٠	أستاذ تامر أمام مستشفى الحسين
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة.
مكتبة ليلى	٠١٠١٧٥٧٦١٥٩	٣٩ ش قصر النيل - وسط البلد
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب – وسط البلد
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
كشك أبو عبدالله	٠١٠١٠٧٧١٣٧٥	تحت كوبرى القبة - كوبرى القبة
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة

إسم المكتبة	رقم الهاتف	الأسكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أستاذ أحمد الأبيض

الأقـاليم		
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
دار عبيد	٠١٠٠٣٣٢٢١٨١	طنطا – آخر تقاطع شارع الحلو مع الإستاد الشرقى، بجوار مسجد مكة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ، شارع السودان أمام السنترال، الأستاذ سامى أحمد عبد السلام
صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة، ش جيهان، مستشفى الطوارىء أستاذ عماد سليمان
الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ. عاطف وفدى
صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة شارع الثانوية، أمام مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم الحاج محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	المنصورة-طلخا، أمام مدرسة صلاح سالم التجارية، مقابل كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،شارع الشهداء، الحاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي، أمام التكوين المهنى
معرض قنا للكتاب (مكتبة الجهاد)	٠١٠٠٦٨٦٦١٦٨	قنا، حاج أسامة رمضان بجوار مديرية أمن قنا
كشك القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا، إسنا، ش السيدة زينب، الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان النوبي
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا - الأقصر

أيضاً بدور توزيع مؤسسات الأهرام و الأخبار والجمهورية، وكذلك بمختلف المكتبات بالقاهرة والأقاليم .

ويمكن تصفح الكتب وتنزيلها من الموقع الرسمى للشيخ فوزى محمد أبوزيد www.fawzyabuzeid.com ، أو موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى.بالشروط المعلنة.

ويمكن أيضا طلبها من داخل الجمهورية وخارجها من جميع أنحاء العالم أون لاين على متاجر شبكة المعلومات

فهرس

مقدمة					٣
تمهيد					٧
الرغبة في معرفة أحوال الصالحين		٨	موالد الصالحين		١٠
الخروج من الكِبر	١٠	البذل والجود	١٢	شغل الوقت بما يفيد	١٢
الباب الأول : أهل بيت النبوة					١٣
السيدة زينب بنت النبي محمد رضي الله عنها					١٥
ميلادها	١٥	صفاتها وزواجها	١٦	الحب والوفاء	١٧
الحوار الكريم	١٨	أخلاق المؤمنين	١٨	هجرتها إلى المدينة	١٩
أولادها	٢١	إسلام زوجها	٢٢	وفاتها	٢٣
السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها					٢٤
نشأتها	٢٤	جهادها	٢٥	وصفها	٢٥
حنان الأُبوة	٢٦	التربية االقويمة للأبناء	٢٨	كرامتها عند الله	٢٩
التسبيح والعمل	٣٠	تقواها	٣١	زواجها	٣٢
تجهيزها لبيت الزوجية	٣٢	الوليمة للفقراء	٣٣	إطعام الطعام	٣٤
أوصاف الإمام علي	٣٥	الزوجة الصالحة	٣٦	بشرى النبي لها	٣٦
الإمام الحسين بن على رضى الله عنه					٣٧
اختيار الزوج الصالح	٣٧	زواج فاطمة من عليّ	٣٨	مهرها وجهازها	٣٨
أولادهما	٣٩	رعاية النبي لأحفاده	٤٠	الوفاء بالنذر	٤٢
طعام المحبة	٤٣	أهل العباءة	٤٣	عبادة الحُسين	٤٤
سخاؤه وجوده	٤٥	جهاده في الفتوحات الإسلامية			٤٥
جهاده في التمسك بالشورى في الحكم	٤٦	في كربلاء	٤٧	رأس الحسين	٤٧
السيدة زينب بنت الإمام علي رضي الله عنها					٥٠
مولدها	٥٠	أدب أهل بيت النبوة	٥٠	تربيتها	٥١
زواجها وزوجها	٥٢	فتنة مقتل عثمان	٥٣	خلافة الإمام علي	٥٣
معركة صفين	٥٤	مؤامرة قتل الإمام عليّ	٥٥	بيعة يزيد	٥٦
معركة كربلاء	٥٦	بطلة كربلاء	٥٨	عودتها إلى المدينة	٥٩
خروجها رضى الله عنها إلى مصر			٥٩	رئيسة الديوان	٦٠
وفاتها ودفنها رضى الله عنها			٦١	عقيلة بني هاشم	٦١
الإمام علي زين العابدين رضى الله عنه					٦٢
إخلاص العمل لله	٦٣	السجَّاد	٦٣	زين العابدين	٦٤
إقباله على العلم	٦٤	المُحدِّث	٦٤	المحسن	٦٥

الحليم	٦٦	برّه بأمّه رضى الله عنه			٦٨
سيدنا زيد بن علي زين العابدين رضى الله عنه					٧٠
السيدة نفيسة رضي الله عنها					٧٣
زواج السيدة نفيسة	٧٣	السيدة نفيسة في مصر	٧٤	نفيسة والشافعي ﷺ	٧٥
نفيسة و ابن حنبل ﷺ	٧٥	من كراماتها	٧٦	صفاتها الشخصية	٧٨
من أقوالها	٧٩	وفاتها			٨٠
الباب الثاني: أولياء الله					٨١
الإمام الشافعي رضى الله عنه					٨٣
نشأته	٨٣	الأم المربية الحكيمة	٨٤	إجادته الافتاء	٨٥
فصاحته	٨٥	مع الإمام مالك	٨٦	ملازمته للإمام مالك	٨٧
القاضي العادل	٨٨	فقه الإمام أبو حنيفة	٨٩	مذهبه الفقهي	٨٩
مؤسس علم أصول الفقه	٩٠	مذهبه الجديد في مصر	٩١	جامعة الإمام الشافعي	٩١
وصيته	٩٢	منازل الولاية			٩٢
السيد ذو النون المصري رضى الله عنه					٩٣
علوم الولاية	٩٤	مولده وتربيته	٩٤	سعة معرفته	٩٥
سر تسميته بذي النون	٩٥	خروجه من أخميم	٩٦	التوجه إلى الله	٩٦
إمام السائحين	٩٧	حكاياته ٩٧	محنته ٩٩	ورعه	١٠٠
علمه	١٠٠	أسس جهاد النفس	١٠١	علامات القلب المريض	١٠٢
اسم الله الأعظم	١٠٣	أقواله الحكيمة	١٠٤	وفاته	١٠٧
الإمام الجنيد رضى الله عنه					١٠٨
مولده ونشأته			١٠٩	طلبه للعلم	١٠٩
تأسيس المذهب الصوفي الوسطي			١١٠	حرفته	١١١
إذنه بالدعوة	١١١	مجالسه العلمية	١١٢	التصوف والشريعة	١١٣
سر فتحه	١١٤	مع شيوخه			١١٥
جمعه بين الشريعة والتصوف	١١٥	موقفه من جهلاء الصوفية			١١٦
محنته	١١٧	أصول منهجه الصوفي	١١٨	تربيته الراقية	١١٩
كتبه رضى الله عنه			١٢١	وفاته	١٢١
السيد عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه					١٢٣
مولده	١٢٣	السفر إلى بغداد	١٢٤	بركة الصدق	١٢٤
من كريم أخلاق اللصوص			١٢٥	طلبه للعلم	١٢٥
عناية الله بالصالحين	١٢٦	لقاء الشيخ المربي	١٢٦	جهاده لنفسه	١٢٧
الإذن بالدعوة			١٢٧	إعانة الله	١٢٨
مدرسته العلمية في بغداد			١٢٩	الطريقة القادرية	١٣٠
تربيته لمريديه	١٣١	وصاياه لتلاميذه			١٣٣

أولاً: البعد عن مجالسة الخلق			١٣٣	٢- إطعام الطعام	١٣٥
الشيخ المرشد	١٣٦	تواضعه للفقراء	١٣٦	آفة الكِبر	١٣٨
السيد أحمد الرفاعي رضى الله عنه					١٣٩
نسبه وتربيته	١٣٩	دراساته العلمية	١٤٠	مجالسه العلمية	١٤١
كلام الحكماء	١٤١	أوصاف المقربين	١٤٣	ريادته للطريق	١٤٥
تربيته لمريديه	١٤٥	زيارة الروضة الشريفة	١٤٧	الأقطاب الأربعة	١٤٧
السيد عبد الرحيم القنائي رضى الله عنه					١٤٩
مولده ونشأته	١٥٠	الشيخ أبو مدين	١٥٣	اتجاهه إلى المشرق	١٥٥
حياته في مكة والمدينة	١٥٦	فتوحاته	١٥٨	جهاده في الصعيد	١٥٩
حياته في قنا	١٦٠	دعوته ١٦١ تلاميذه	١٦٢	هديه في دروسه ووقته	١٦٣
السيد أحمد البدوي رضى الله عنه					١٦٤
العبرة في قصص الصالحين		١٦٤		أنواع الكرامات	١٦٦
ما نحتاجه من حياة الصالحين		١٦٦		أسلوب النبي الحكيم في دعوته	١٦٧
نشأة السيد أحمد البدوى		١٦٧		تربية السيد البدوى ﷺ	١٦٨
زينة السالكين الصمت		١٦٩		عبادته	١٧٠
التمسك بالشريعة	١٧٢	سياحة العارفين	١٧٣	إذا أقامك أعانك	١٧٤
السيد أبو العباس المرسي رضى الله عنه					١٧٥
العبرة من حياة الصالحين			١٧٥	نسبه	١٧٦
في صحبة الشاذلي	١٧٧	إلى الإسكندرية	١٧٩	خليفة الشيخ	١٧٩
السيد إبراهيم الدسوقي رضى الله عنه					١٨٤
مولده ونشأته			١٨٥	منهجه في التربية	١٨٦
السيد أحمد بن عطاء الله السكندري رضى الله عنه					١٩١
شروح الحِكَم	١٩٢	معرفته بأبي العباس المرسي			١٩٤
انتقاله إلى القاهرة	١٩٥	منهج الصالحين في بداياتهم			١٩٦
همة المريد الصادق	١٩٧	الحاجة إلى الصالحين	١٩٨	فائدة طلب العلم	١٩٩
الإمام أبو العزائم رضى الله عنه					٢٠٠
العبرة من قصص الأنبياء والمرسلين			٢٠٠	أبو الحسن الشاذلي	٢٠٥
مولد الإمام أبو العزائم	٢٠٦	تربية الصالحين لأتباعهم على المحبة			٢٠٨
مع الشيخ الحصافي	٢٠٩	في محافظة قنا			٢٠٩
الدعوة إلى الله	٢١١	في الإبراهيمية شرقية			٢١٢
في السودان	٢١٤	جهاده في الدعوة إلى الله			٢١٤
موقفه من الحرب العالمية الأولى			٢١٧	في القاهرة	٢٢٠
الخلافة الإسلامية	٢٢٢	دعوته	٢٢٣	دوره الصوفي	٢٢٥

الشيخ محمد على سلامة رضى الله عنه					٢٣٠
مولده ونشأته	٢٣٤	جهاده	٢٣٦	تقدير العارفين له	٢٣٧
منهجه فى الدعوة إلى الله			٢٣٨	القدوة الحسنة	٢٣٨
الصدق والإخلاص	٢٣٩	الدعوة إلى الأُلفة ونبذ التعصب			٢٣٩
الوفاء	٢٤٠	الباقيات الصالحات	٢٤٠	الأثر البشري	٢٤٠
أثره الصوتى	٢٤٠	تراثه العلمى	٢٤١	مؤلفاته	٢٤١
لقاء الله	٢٤٢	وصيته رضى الله عنه للإخوان			٢٤٥
نبذة عن المؤلف الشيخ فوزي محمد أبوزيد					٢٤٦
قائمة مؤلفات ومحققات الشيخ فوزى محمد أبوزيد المطبوعة					٢٤٨
أين تجد مؤلفات الشيخ فوزى محمد أبوزيد					٢٥٠
الفهرست					٢٥٢

آخر إصدارات الشيخ فوزى محمد أبوزيد

كتاب رقم ١٣٢

تحقيق شرح الفتوحات الربانية فى الصلاة على خير البرية

(المتن للإمام محمد ماضى أبى العزائم،
الشرح للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه)

كتاب رقم ١٣٣

قطبا العراق

السيد عبد القادر الجيلانى والسيد أحمد الرفاعى

كتاب رقم ١٣٤

الأفق المبين ﷺ

==========

وقريباً بالأسواق

✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡

١. أمهات المؤمنين

==========

٢. عجائبُ القلب

==========

٣. الرسول في القرآن

✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡

لحضور مجالس ودروس ومحاضرات العارف بالله

الشيخ فوزي محمد أبوزيد، أون لاين على الهواء مباشرة:

راجع روابط صفحات

الفيسبوك واليوتيوب

والموقع الرسمي للشيخ بصفحة (٦).